شرح كتاب

حلية طالب العلم

لفضيلة الشيخ

بكر بن عبد الله أبو زيد

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين

رحمه الله

دار العقيدة



وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



رقم الإيداع: ٧٧١١ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: X - 061 - 347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فأقيد معالم هذه «الحلية» المباركة عام ١٤٠٨ هـ، والمسلمون - ولله الحمد - يعايشون يقظة علمية، تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط - متقدمة إلى الترقى والنضوج - فى أفئدة شباب الأمة مجدها ودمها المجدد لحياتها؛ إذ نرى الكتائب الشبابية تترى، يتقلبون فى أعطاف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش، والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصراً، فسبحان من يحيى ويميت قلوباً.

لكن؛ لا بد لهذه النواة المباركة من السقى والتعهد فى مساراتها كافة نشراً للضمانات التى تكف عنها العثار والتعثر فى مثانى الطلب والعمل؛ من تموجات فكرية، وعقديِّة، وسلوكية، وطائفية، وحزبية...

هذا ما قاله صحيح..... فى الآونة الأخيرة حصل -الحمد لله- من الشباب طموحات واسعة فى شتى المجالات، لكنها قد تحتاج إلى ضمانات وكوابح تضمن بقاء هذه النهضة وهذا الطموح، لأن كل شىء إذا زاد عن حده فإنه سوف يرجع إلى جدره، وإذا لم يضبط ويكبح فإنه يكون دماراً، ربما دماراً فى المجتمع، وربما دماراً حتى على صاحبه فى قلبه. أرأيتم الخوارج. عندهم من الإيمان بمحبة كون المسلمين على الحق ما لا يوجد فى غيرهم، لكن هذا قد زاد حتى كفَّروا المسلمين وأئمة المسلمين وخرجوا عليهم، فصاروا كما قال النبى ﷺ: **«يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»**[1].

فأنت اضبط قلبك إذا رأيته ينفر بعيداً وسوف يسلك مسلكاً صعباً، فعليك أن ترده وأن تعرف أن المقصود إقامة دين الله لا الانتصار للغيرة وثورة النفس، ومعلوم أنه إذا كان هذا هو المقصود - أعنى الانتصار لدين الله لا الانتصار للغيرة - أن الإنسان سوف يسلك أقرب الطرق إلى حصول المقصود ولو بالمهانة إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٦٩٣٤)، استتابة المرتدين، ومسلم (١٠٦٨) الزكاة، من حديث لسهل بن حنيف عن النبى ﷺ.

وقد جعلت طوع أيديهم رسالة فى «التعالم» تكشف المندسين بينهم خشية أن يردوهم، ويضيعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسيرتهم فى الطلب، فيستلوهم وهم لا يشعرون.

واليوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالة تحمل «الصفة الكاشفة»[1]. لحليتك، فها أنا ذا أجعل سن القلم على القرطاس، فاتل ما أرقم لك أنعم الله بك عينا.[2]

قوله: «فاجعل طوع ...» فيها التفات من الغيبة إلى الحضور، هذا ليس معتاداً عند العلماء من مؤلفاتهم العلمية، لكن كما قلنا أولاً إن الشيخ يعتمد على البلاغات اللغوية، ومعلوم أن الانتقال فى الأسلوب من الخطاب إلى غيبة، أو من غيبة إلى الخطاب أو من مفرد إلى جمع - إذا صح الجمع - من المعلوم أن هذا سوف يوجب الانتباه، لأن الإنسان إذا كان يسير على أسلوب معين مستمر عليه، انسابت نفسه، لكن إذا جاء شيء بغير الأسلوب سوف يتوقف وينتبه، ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: ١٢)، فقال «أخذ الله» هذا غيب، «وبعثنا» حضور.



لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلى بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهدى الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام، وأن العلم - وهو أثمن درة فى تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلى بآدابه، المتخلى عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص؛ كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب المفتى، وآداب القاضى، وآداب المحتسب، وهكذا ...

---

(١) الصفة الكاشفة: هذه من مصطلحات كتب المواد لـ «لسان العرب» ومنه ما فى مادة (ظبأ) من «القاموس»، قال الزبيدى فى «تاج العروس» (١/ ٣٣٢): «الظبأة» هى: الضبع (العرجاء) صفة كاشفة. اهـ. وهذا الوجه من الصفة هو الذى يراد به تمييز الموصوف الذى لا يعلم، ليميز من سائر الأجناس بما يكشفه. انظر: حرف الصاد من «الكليات»: (٣/ ٩٢). (ز)

(٢) أوضحت فى حرف الألف من «معجم المناهى اللفظية» أن هذا اللفظ: «أنعم الله بك عيناً» لا يصح النهى عنه. (ز)

والشأن هنا فى الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعى.

وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب فى حلق العلم آداب الطلب، وأدركتُ خبر آخر العقد فى ذلك فى بعض حلقات العلم فى المسجد النبوى الشريف؛ إذ كان بعض المدرسين فيه، يدرس طلابه كتاب الزرنوجى (م سنة ٥٩٣ هـ) رحمه الله تعالى، المسمى: «تعليم المتعلم طريق التعلم». [١]

فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادى لأقوم طريق، فيدرج تدريس هذه المادة فى فواتح دروس المساجد، وفى مواد الدراسة النظامية وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير فى التنبيه على إحياء هذه المادة التى تهذب الطالب، وتسلك به الجادة فى آداب الطلب وحمل العلم وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا فى مراحل حياته.

فإليك حلية تحوى مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فات أدب منها؛ اقترف المفرط آفة من آفاته، فمقل ومستكثر، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب؛ فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم.

ذكر الآداب . . . فإن كانت مسنونة فضدها مكروهة، وإن كانت واجبة فضدها محرمة. ولكن هذا ليس على إطلاقه، لأن ليس ترك كل مسنون يكون مكروهاً، وإلا لقلنا: إن كل من لم يأت بالمسنونات فى الصلاة يكون قد فعل مكروهاً، لكن إذا ترك آداباً من الآداب الواجبة فإنه يكون فعلاً محرماً فى نفس هذا الأدب فقط لأنه ترك فيه واجب، وكذلك إذا كان مسنوناً وتركه. فينظر، فإن تضمن تركه إساءة أدب مع المعلم، أو مع زملائه فهذا يكون مكروهاً لا لأنه تركه ولكن لأنه لزم منه إساءة الأدب.

والحاصل: أنه لا يستقيم أن نقول كل من ترك مسنوناً فقد وقع فى مكروه، أو كل من ترك واجبا فقد وقع فى المحرم. على سبيل الإطلاق، بل يقيد هذا.

---

(١) طبع مراراً، وهو مع إفادته فيه ما يقتضى التنبه، فليعلم، والله أعلم. (ز)

ومنها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلف، ومنها ما يختص به طالب العلم، ومنها ما يدرك بضرورة الشرع، ومنها ما يعرف بالطبع، ويدل عليه عموم الشرع؛ من الحمل على محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ولم أعن الاستيفاء، لكن سياقتها تجرى على سبيل ضرب المثال؛ قاصداً الدلالة على المهمات، فإذا وافقت نفساً صالحة لها؛ تناولت هذا القليل فكثرته، وهذا المجمل ففصلته، ومن أخذ بها انتفع ونفع، وهى بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله فى علمهم وصاروا أئمة يهتدى بهم، جمعنا الله بهم فى جنته آمين. (١)

بكر بن عبد الله أبو زيد
فى ٥ / ٨ / ١٤٠٨هـ

★ ★ ★

ملحوظة:

قمنا بتخريج الأحاديث الموجودة فى الكتاب مع إثبات تعليقات الشيخ بكر أبو زيد وجعلنا فى آخرها (ز) تمييزاً لها عن تخريجنا.

الناشر

---

(١) من هذه الكتب: «**الجامع**» للخطيب البغدادى رحمه الله تعالى، و«**الفقيه والمتفقه**» له. و«**تعليم المتعلم طريق التعلم**» للزرنوجى، و«آداب الطلب» للشوكانى، و«**أخلاق العلماء**» للآجرى، و«**آداب المتعلمين**» لسحنون، و«**الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين**» للقابسى، و«**تذكرة السامع والمتكلم**» لابن جماعة، و«**الحث على طلب العلم**» للعسكرى، «**وفضل علم السلف على الخلف**» لابن رجب، و«**جامع بيان العلم**» لابن عبد البر، و«**العلم، فضله وطلبه**» للأمين الحاج، و«**فضل العلم**» لمحمد رسلان، و«**مفتاح دار السعادة**» لابن القيم، و«**شرح الإحياء**» للزبيدى، و«**جواهر العقدين**» للسمهودى، و«**آداب العلماء والمتعلمين**» للحسين بن منصور - منتخب من الذى قبله - و«**قانون التأويل**» لابن العربى، و «**العزلة**» للخطابى، و«**من أخلاق العلماء**» لمحمد سليمان، «**ومناهج العلماء**» لفاروق السامرائى، و«**التعليم والإرشاد**» لبدر الدين الحلبى، و« **الذخيرة**» للقرافى، الجزء الأول، والأول من «**المجموع**» للنووى، و«**تشحيذ الهمم إلى العلم**» لمحمد بن إبراهيم الشيبانى، و«**رسائل الإصلاح**» لمحمد الخضر حسين، و«**آثار محمد البشير الإبراهيمى**» وغيرها كثير أجزل الله الأجر للجميع - آمين -. (ز)

الفصل الأول

آداب الطالب في نفسه

١- العلم عبادة [١]:

أصل الأصول فى هذه «الحلية» بل ولكل أمر مطلوب: علمك بأن العلم عبادة؛ قال بعض العلماء: «العلم صلاة السر، وعبادة القلب».

العلم عبادة لا شك، بل هو من أجل العبادات، وأفضل العبادات، حتى أن الله تعالى جعله فى كتابه قسيماً للجهاد فى سبيل الله، فقال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** (التوبة: ١٢٢). «ليتفقهوا» يعنى بذلك الطائفة القائمة. وقال النبى ﷺ : **«من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين»**[٢]. فإذا رزقك الله الفقه فى دينه -والفقه هنا يعنى به العلم الشرعى، فيدخل فيه علم العقائد والتوحيد وغير ذلك- فإذا رأيت أن الله مَنَّ عليك بهذا فاستبشر خيراً، لأن الله أراد بك خيراً.

وقال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شىء لمن صحت نيته. قالوا: وكيف تصح النية يا أبا عبد الله؟ قال: ينوى رفع الجهل عن نفسه وعن غيره.

---

(١) فتاوى ابن تيمية : (١٠/ ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٤٩-٥٤) و (١١/ ٣١٤) و (٢٠/ ٧٧-٧٨). (ز)

(٢) **صحيح:** أخرجه البخارى (٧١) العلم، ومسلم (١٠٣٧) الزكاة، من حديث معاوية.

وعليه: فإن شرط العبادة:

أ - إخلاص النية لله سبحانه وتعالى: لقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: ٥). **الآية.**

وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات ...»[1] **الحديث.**

فإن فقد العلم إخلاص النية؛ انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل: الرياء؛ رياء شرك، أو رياء إخلاص[2]**، ومثل التسميع؛ بأن يقول مسمعا: علمت وحفظت...**

إذا قال قائل: بما يكون الإخلاص في طلب العلم؟ يكون في أمور:

الأمر الأول- أن تنوي بذلك امتثال أمر الله، لأن الله تعالى أمر بذلك فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩). يحث سبحانه وتعالى على العلم، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به.

الأمر الثاني- أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله، لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم ويكون بالحفظ في الصدور، ويكون كذلك بالكتابة، كتابة الكتب.

والثالث- أن تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها، لأنه لولا العلماء ما ضمنت الشريعة ولا دافع عنها أحد، لهذا نجد شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم الذين تصدوا لأهل البدع، وبينوا ضلال بدعهم، نجدهم حصلوا على خير كثير.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١) بدء الوحي، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١) الطلاق، وابن ماجه (٤٢٢٧) اهـ.

(٢) «الذخيرة» للقرافي: (١/ ٤٥) وفيه: «وحقيقة الرياء: أن يعمل الطاعة لله وللناس، ويسمى: رياء الشرك، أو للناس خاصة، ويسمى: رياء الإخلاص وكلاهما يصير الطاعة معصية» انتهى. وانظر مبحثاً في «تهذيب الآثار» للطبري: (٢/ ١٢١-١٢٢) طبع في مطابع الصفا بمكة. (ز)

والرابع- أن تنوى بذلك اتبـاع شريعـة محـمد ﷺ وأنك لا يمكن أن تتـبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة .

★ ★ ★

وعليه؛ فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك فى صدق الطلب؛ كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلماً لأغراض وأعراض من جاهٍ، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك؛ فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية؛ أفسدتها، وذهبت بركة العلم،ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحمى.

ما قاله صحيح. حـماية النية من هذه المقاصد السيئة فـهو صحيح، ومن طلب علما وهو مـا يبتـغى به وجه الله لا يرد إلا أن ينال به عـرضا من الدنيـا لم يجد رائحة الجنة[1]، نسأل الله العـافية، ثم إن هذه المحـمدة والجاه والتـعظيم وصرف وجوه الناس إليك، ستجده إن حصلت العلم حـتى وإن كانت نيتك سليمـة فهو أقرب إلى حصول هذا لك.

★ ★ ★

وللعلماء فى هذا أقوال ومواقف بينت طرفاً منها فى المبحث الأول من كتاب «التعالم» ويزاد عليه نهى العلماء عن «الطبوليات» وهى المسائل التى يراد بها الشهرة. وقد قيل: «زلة العالم مضروب لها الطبل». [2]

وعن سفيان - رحمه الله تعالى - أنه قال: «كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة؛ سلبته». [3]

---

(١) صحيح : يأتى تخريجه قريباً.

(٢) **«الصوارم والأسنة»** لأبى مدين الشنقـيطى السلفى رحمـه الله تعالى. وانظر: **«شرح الإحياء»** وعنه **«كنوز الأجداد»** : (ص٢٦٣). (ز)

(٣) **«تذكرة السامع والمتكلم»** : (ص١٩). (ز)

«الطبوليات» . المسائل التى يراد بها الشهرة، لماذا سميت طبوليات؟ لأنها مثل الطبل لها صوت ورنين، فهذا إذا جاء بمسألة غريبة عن الناس واشتهرت عنه كأنها صوت الطبل، فهذه يسمونها: الطبوليات، ولم أسمع بهذا ولكن وجهها واضح .

«الصـرة»: يعنى من السلـطان، لما أعطاه سلب فـهم القـرآن، وهؤلاء هم الذين يدركون الأمور، ولهذا يتـحرز السلف من عطايا السلطان. يقولون: إنهم لا يعطوننا إلا ليشتروا ديننا بدنيـاهم، فتجدهم لا يقبلونه، ثم إنهم ـ السلاطين ـ فيـما سبق قد تكون أموالهم مأخوذة من غير حلها، فيتورعون عنها أيضا من هذه الناحية.

ومن المعلوم أنه لا يجـوز للعـالم أن يقـبل هدية السلطان،إذا كـان السلطان يريد أن تكون هذه العطية مطيـة له يركبهـا متى يشاء بالنسبـة لهذا العالم، أما إذا كـانت أموال السلطان نزيهة، ولم يكن يقبل الهدية منه لبيع دينه بهـا فقد قال النبى ﷺ لعمر: «**ما جاءك من هذا المال وأنت غير مـشرف ولا سائله فخذه وما لا فلا تتـبعه نفسك**»[1] . وغرض سفيان رحمه الله من ذلك التحذير من هذا وتبكيت نفسه على ما سبق.

فاستمسك ـ رحمك الله تعالى ـ بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب؛ بأن تكون ـ مع بذل الجهد فى الإخلاص ـ شديد الخوف من نواقضه، عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه. ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثورى ـ رحمه الله تعالى ـ قوله «ما عالجت شيئا أشد على من نيتى» .

الإخلاص شـديد، لذلك فإنه مـن قال : لا إله إلا الله خالـصاً من قلبـه فإنه يدخل الجنة وهو أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ [2].

★ ★ ★

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (١٤٧٣) الزكاة، ومسلم (١٠٤٥) الزكاة عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنه .

(٢) «عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قـال: قيل يا رسول الله من أسـعد الناس بشـفاعتك يوم الـقيامـة قال رسول الله ﷺ «**لقد ظننت يـا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحـد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديـث. أسعد الناس بشفاعـتى يوم القيامة من قال لا إلـه إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**» أخرجه البخارى فى العلم (٩٩).

وعن عمر بن ذر أنه قال لوالده: يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني! ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.[1] **وفقك الله لرشدك آمين.**

هذا مثل عظيم ، النائحة الثكلى التى فقدت ولدها هذه تبكى بكاء من القلب والنائحة المستأجرة ما يؤثر نوحها ولا بكاؤها ، لأنها تصطنع البكاء ، ولكن مثل هذا الكلام الذى يرد عن السلف يجب أن نحسن الظن بهم، وأنهم لا يريدون بذلك مدح أنفسهم ، وإنما يريدون بذلك حث الناس على إخلاص النية والبعد عن الرياء وما أشبه ذلك ، وإلا لكان هذا تزكية للنفس واضحة ، والله عز وجل يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢). لكن السلف -رحمهم الله- لعلمنا بمقامهم، وبإخلاصهم يجب أن نحمل ما ورد عنهم مما يحتمل هذا المعنى الفاسد لنحمله على المعنى الصحيح.

ب- الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة: «محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وتحقيقها بتمحض المتابعة وقفو الأثر للمعصوم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١).

لاشك أن المحبة لها أثر عظيم فى الدفع والمنع، إذ أن المحب يسعى غاية جهده فى الوصول إلى محبوبه، فيطلب ما يرضيه وما يقربه منه، ويسعى غاية جهده لاجتناب ما يبغضه محبوبه، ويبتعد عنه. ولهذا ذكر ابن القيم فى «**روضة المحبين**»: أن كل الحركات مبنية على المحبة. كل حركات الإنسان، وهذا صحيح لأن الإرادة لا تقع من شخص عاقل إلا لشىء يرجو نفعه، أو لشىء يدفع ضرره. وكل إنسان يحب ما ينفعه ويكره ما يضره. فالمحبة فى الواقع هى القائدة والسائق إلى الله عز وجل تقود الإنسان وتسوقه، وانظر إلى الذين كرهوا ما أنزل الله، قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ

---

(١) «**العقد الفريد**» لابن عبد ربه. (ز)

أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٩). كانت نتيجتهم الكفر، لأنهم كرهوا ما أنزل الله، فالمحبة كما قال الشيخ هي: الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة.

أما محبة الرسول ﷺ فإنها تحملك على متابعته ظاهراً وباطناً لأن الحبيب يقلد محبوبه حتى فى أمور الدنيا، تجده مثلاً يقلده فى اللباس ... فى الكلام، حتى فى الخط. نحن نذكر بعض الطلبة زماننا كانوا يقلدون الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى خطه، رغم أن خطه ـ رحمه الله ـ ضعيف، ما تقدر تقرأه، ولكن من شدة محبتهم له قلدوه، فالإنسان كلما أحب شخصاً حاول أن يكون مثله فى خصاله.

فإن أحببت النبى ﷺ فإن هذه المحبة سوف تقودك إلى اتباعه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر الآية التى يسميها علماء السلف آية المحنة. يعنى الامتحان، لأن قوماً ادعوا أنهم يحبون الله فقال الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ (آل عمران: ٣١).

أين الجواب؟ الجواب المتوقع: فاتبعونى تصدقوا فى دعواكم. لأن الآن الشرط والمشروط: إن كنتم تحبون الله فاتبعونى تصدقوا فى دعواكم، لكن جاء الجواب: فاتبعونى يحببكم الله، إشارة إلى أن الشأن كل الشأن أن يحبك الله، هذا هو الثمرة، وهو المقصود. لا أن تحب الله، لأن كل إنسان يدعى ذلك وربما يكون ظاهرك محبة الله، لكن فى قلبك شيء، لا يقتضى أن الله يحبك، فتبقى غير حاصل على الثمرة.

★ ★ ★

وبالجملة؛ فهذا أصل هذه «الحلية»، ويقعان منها موقع التاج من الحلة.

فيا أيها الطلاب! ها أنتم هؤلاء تربعتم للدرس، وتعلقتم بأنفس علق (طلب العلم)؛ فأوصيكم ونفسى بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية؛ فهى العدة وهى مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، وهى مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا.

صدق ـ رحمه الله وعفا عنه ـ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩). تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وبين الطاعة والمعصية، وبين أولياء الله وأعداء الله. . . إلى غير ذلك وتارة يحصل هذا الفرقان بوسيلة العلم، يفتح الله على الإنسان من العلوم وييسر له تحصيلها أكثر ممن لا يتقى الله، وتارة يحصل له هذا الفرقان بما يلقيه الله فى قلبه من الفراسة. قال النبى ﷺ : «**إن يكن فيكم محدثون فعمر**»[1] . فالله تعالى يجعل لمن اتقاه فراسة يتفرس بها، فتكون موافقا للصواب.

فقوله: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ يشمل الفرقان بوسائل العلم والتعلم، والفرقان بوسائل الفراسة والإلهام أن الله تعالى يلهم الإنسان التقى ما لا يلهم غيره، وربما يظهر لك هذا فى مجراك فى طلب العلم، تمر بك أيام تجد قلبك خاشعاً منيباً إلى الله، مقبلاً عليه، متقياً له فيفتح الله عليك مفاتح معالم كثيرة ويمر بك أيام غفلة ينفك قلبك، وكل هذا تحقيق لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٩). إذا غفر الله للعبد أيضاً فتح عليه أبواب المعرفة قال تعالى. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ (النساء: ١٠٥-١٠٦). ولهذا قال بعض العلماء: ينبغى للإنسان إذا استفتى أن يقدم استغفار الله حتى يبين له الحق. لأنه قال: ﴿لِتَحْكُمَ﴾ . ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ .

★ ★ ★

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٣٤٦٩) أحاديث الأنبياء، (٣٦٨٩) المناقب، عن أبى هريرة، وأخرجه مسلم (٢٣٩٨)، فضائل الصحابة، والترمذى (٣٦٩٣) المناقب، وأحمد (٢٣٧٦٤) عن عائشة رضي الله عنها.

٢ـ كن على جادة السلف الصالح:

كن سلفياً على الجادة؛ طريق السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم فى جميع أبواب الدين؛ من التوحيد، والعبادات، ونحوها، متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض فى علم الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

هذا من أهم ما يكون، أن الإنسان يكون على طريقة السلف الصالح فى جميع أبواب الدين، من التوحيد والعبادات والمعاملات وغيرها، كذلك يترك الجدال والمراء، لأن الجدال والمراء هو الباب الذى يقفل طريق الصواب، فإن الجدال والمراء يحمل المرء على أن يتكلم وينتصر لنفسه فقط، حتى لو بان له الحق تجده: إما أن ينكره، وإما أن يؤوله على وجه مستكره انتصاراً لنفسه وإرغاماً لخصمه على الأخذ بقوله، فإذا رأيت من أخيك جدالاً ومراء، بحيث يكون الحق واضحاً ولكنه لم يتبعه ففر منه فرارك من الأسد. وقل: ليس عندى إلا هذا، اتركه.

وكذلك الخوض فى علم الكلام مضيعة للوقت، لأنه يخوض فى أشياء من أوضح الأشياء، مرَّ علىَّ اليوم فى دراسة بعض الطلبة. يقول: ما هو العقل؟.

عرفه لى لغة واصطلاحاً وعرفاً وشرعاً !! هذا ما له تعريف، لكن علم الكلام أدخل علينا الأشياء هذه، يجد الواحد مرة: إيش العقل هذا؟ سبحان الله !!

الظاهر أن الذى يقعد يفكر فى تعريف العقل صار مجنوناً لأن هذا أمر واضح ما يحتاج إلى تعريف، لكن هؤلاء ـ أهل الكلام ـ صدوا الناس عن الحق وعن المنهج السلفى البسيط بما يوردونه من الشبهات والتعريفات والحدود وغيرها. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى الرد على المنطقيين، يتبين لك الأمر، أو فى «**نقض المنطق**» وهو مختصر وأوضح لطالب العلم، يتبين لك ما هم عليه من الضلال.

ما الذى حمل علماء جهابذة على أن يسلكوا باب التأويل فى باب الصفات؟ !
إلا علم الكلام . لو كان كذا لكان كذا ، لو كان مستوٍ على العرش حقيقة لزم أن يكون محدوداً . . لماذا؟ لأن العرش محدود، لو كان يُرى لزم أن يكون فى جهة، ولو كان فى جهة لكان جسماً وهلم جره . . . يعطونك من هذا الكلام الذى يضيعك، وهم يظنون أنهم يهدونك سواء السبيل.

فإذاً من المهم لطالب العلم أن يترك الجدال والمراء، وأن يترك ما يرد على ذهنه من الإيرادات، اترك هذه الأشياء، لا تتنطع، اجعل علمك سهلاً ميسراً. يعنى الأعرابى يأتى ببعيره يسأل النبى ﷺ عن مسائل الدين، ثم ينصرف بدون مشقة، لأنه ليس عنده إلا التصديق أما المناقشات والمراء والجدال، فهذا يضر الإنسان، الشيخ بكر - جزاه الله خيراً- ألمح إلى هذا الأمر، وما يجلب الآثام ويصد عن الشرع.

★ ★ ★

قال الذهبى - رحمه الله تعالى[1] : (وصح عن الدارقطنى أنه قال : ما شىء أبغض إلى من علم الكلام. قلت: لم يدخل الرجل أبداً فى علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض فى ذلك ، بل كان سلفيا) اهـ.

يبغضه مع أنه لم يدخل فيه، لكن لما له من مسالب وآثار سيئة، وتطويل بلا فائدة، وتشكيك لما هو متيقن وإرباك للأفكار وهجر للآثار ولهذا ليس شىء فيما أرى أضر على المسلمين فى عقائدهم من علم الكلام والمنطق، وكثير من علماء الكلام الكبار أقروا فى آخر حياتهم أنهم على دين العجائز ورجعوا إلى الفطرة الأولى، لما علموا من علم الكلام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله فى **«الفتوى الحموية»**: وأكثر من يخاف عليهم الضلال، هم المتوسطون من علماء الكلام، لأن من لم يدخل فيه فهو فى عافية منه، ومن دخل فيه وعرف غايته فقد عرف بطلانه وفساده ورجع. اهـ.

---

(١) «السير» (١٦/٤٥٧). (ز)

وصدق رحـمه الله، وهذا هو الذى يخاف فى كل علم، يخـاف من الأنصاف الذين ما عرفـوا الطريق لأنهم لم يروا أنفسهم أنهم لم يدخلوا فى العلم فيـتركوه لغيرهم، ولم يبلغوا غاية العلم والرسوخ فيه فيضلون ويضلون.

لكن علم الكلام خطيـر لأنه يتعلق بصفات الـرب وذاته ولأنه يبطل النصوص تماماً ويحكم العقل، ولهذا كان من قواعدهم: أن ما جاء فى النصوص من صفات الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول- قسم أقره العقل، فهذا نقره بدلالة العقل لا بدلالة السمع.

الثانى- قسم نفاه العـقل، فيجب علينا نفيـه دون تردد لأن العقل نفاه، ولكن عقل من؟!.

قال الإمام مالك رحمه الله: ليت شعرى بأى عقل تنكر الكتاب والسنة، أو ما كلما جـاءنا رجل أجدل من رجل أخذنا بقوله، وتركـنا من أجله الكتاب والسنة، هذا لا يمكن.

الثالث- قسم لم يرد العقل بنفيه ولا بإثبـاته، فمن قال: إن شرط الإثبات دلالة العقل. قال: يرد، لأن العـقل لم يثبته، ومن قال: إن من شـرط قبوله أن لا يرده العقل . قال: يقـبل. وأكثرهم يقول: إنه يرد ولا يقـبل، لأن من شرط إثباته أن يدل عليه العقل.

وبعضهم يتوقف. قالوا: إذا لم يثبته العقل ولم ينفه، فالواجب علينا أن نتوقف وكل هذه قـواعد ما أنزل الـله بها من سلطان، ضلوا بهـا وأضلوا والعيـاذ بالله، وارتبكوا بها وشكوا وتحيـروا، لذلك أكثر الناس شكاً عند الموت هم أهل الكلام. يترددون: هل الله جوهر أم عرض؟ هل هو قائم بنفـسه أو بغيره؟ هل يفعل أم لا يفعل؟ هكذا. . عند الموت فيموت وهو شاك. نسأل الله السلامة والعافية لكن إذا كان الطريق، طريق السلف الصـالح سهل عليه الأمـر ولم يرد على قلبه شك ولا تشكيك ولا تردد.

★ ★ ★

وهؤلاء هم (أهل السنة والجماعة)، المتبعون آثار رسول الله ﷺ ، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ[1] «وأهل السنة: نقاوة المسلمين،وهم خير الناس للناس» اهـ.

فالزم السبيل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

اعلم أن من المتأخرين من قال: إن أهل السنة ينقسمون إلى قسمين: مفوضة ومؤولة، وجعلوا الأشاعرة . والماتريدية . وأشباههم من أهل السنة وجعلوا المفوضة هم السلف، فأخطئوا في فهم السلف وفي منهجهم. لأن السلف لا يفوضون المعنى إطلاقاً، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن القول بالتفويض من شر أقوال أهل البدع، والإلحاد، واستدل بذلك بأننا إذا كنا لا ندرى معانى ما أخبر الله به عن نفسه من أسماء وصفات، جاءنا الفلاسفة وقالوا: أنتم جهال، نحن الذين عندنا العلم، ثم تكلموا بما يريدون، وقالوا: إن المراد بالنص كذا وكذا. ومعلوم أن معنىً للنص خير من التوقف فيه وأنه ليس له معنى. فانتبهوا لهذا، لأن بعض الناس يرى أن أهل السنة والجماعة يدخل فيهم المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم ثم يقول ـ من العجب العجاب ـ أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. سبحان الله!!.

وكيف تكون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهل يمكن أن تكون أعلم وأحكم وليست أسلم؟ بل يلزم من كون طريقة السلف أعلم وأحكم أن تكون أسلم بلا شك. لأن شخصاً يقول: إن هذا النص له معنىً وأنا أؤمن به، أعلم بلا شك وأحكم من شخص يقول: لا أدرى. فلا سلامة إلا بالعلم والحكمة. فهذا تناقض عظيم، ولهذا كان القول الصحيح في هذه العبارة: أن طريقة السلف أعلم وأسلم وأحكم.

---

(١) «منهاج السنة»: (١٥٨/٥) طبعة جامعة الإمام . (ز)

ويلزم من كوننا نحث الطلبة على منـهج السلف، يلزم من ذلك تحريضهم على معرفة منهج السلف، فنطالع الكتب المؤلفة فى ذلك كـ «**سير أعلام النبلاء**» وغيرها حتى نعرف طريقهم، ونسلك هذا المنهج القويم.

★ ★ ★

٣ـ ملازمة خشية الله تعالى:

التحلى بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة، والسمت الصالح. وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ : «أصل العلم خشية الله تعالى».

وهذا الذى قاله الإمام أحمد صحيح: أصل العلم خشية الله، وخشية الله هى الخوف من الله المبنى على العلم والتعظيم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨).

فالإنسان إذا علم الله حق العلم وعرفه حق المعرفة، فتجده يقوم بطاعة الله عز وجل فى قلبه أتم قيام. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

والفرق بين الخشية والخوف: أن الخشية تكون من عظم المخشى، والخوف من ضعف الخائف، وإن لم يكن المخوف عظيماً، لذلك يخاف الصبى من فتى أكبر منه قليلا.

والحاصل: أن الخشية أعظم من الخوف، ولكن قد يقال: خاف الله. ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥). وهنا فى مقابلة فعل هؤلاء الذين يخافون من الناس.

★ ★ ★

فالزم خشية الله فى السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى؛ وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادى ـ رحمه الله تعالى ـ بسند فيه لطيفة إسنادية برواية آباء تسعة، فقال[1]: أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن أكينة بن عبد الله التميمى من حفظه؛ قال: سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبى يقول سمعت على بن أبى طالب يقول: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل» اهـ. وهذا اللفظ بنحوه مروى عن سفيان الثورى ـ رحمه الله تعالى.

قوله: «**لا يعد عالماً**» يعنى عالماً ربانياً، وأما كونه عالم ضد الجاهل، فهذا يقال أن الذى ألف «المنجد» رجل نصرانى وفيه من معرفة اللغة العربية الشىء الكثير، وإن كان فيه غلطات كثيرة وأشياء تؤخذ عليه من الناحية الدينية، لكن العالم الذى يعمل بعلمه هو الذى يصدق عليه أنه عالم ربانى، لأنه يربى نفسه أولاً، وغيره ثانياً.

«**هتف العلم ...**» إذاً لا بد من العمل، لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول ما تسعر بهم النار يوم القيامة.

وعالم بعلمه لم يعمل ... معذبٌ من قبل عُباد الوثن

هذه واحدة، إذا لم يعمل بعلمه أورث الفشل فى العلم، وعدم البركة والنسيان لقول الله تعالى: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** (المائدة: ١٣).

(١) «**الجامع**» للخطيب، «وذم من لا يعمل بعلمه»: (رقم ١٥) لابن عساكر. وراجع لإسناده: «**لسان الميزان**»: (٤/ ٢٦-٢٧) للحافظ ابن حجر. (ز)

وهذا النسيان يشمل النسيان الذهنى والعملى، قد يكون بمعنى ينسونه دينياً، أو بمعنى ينسون: يتركونه، لأن النسيان فى اللغة العربية يطلق بمعنى الترك، أما إذا عمل الإنسان بعلمه فإن الله تعالى يزيده هدى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد:١٧). ويزيده تقوى، ولهذا قال: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧) إذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم، ولهذا روى عن على بن أبى طالب أنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وتروى هذه اللفظة: العلم يهتف بالعمل - يعنى يدعوه - فإن أجاب وإلا ارتحل. وهذا واضح لأنك إذا عملت بالعلم تذكرته كلما عملت.

وأضرب مثلاً: رجل عرف صفة الصلاة من السنة وصار يعمل بها كلما صلى هل ينسى ما علم؟ لا ينسى، لأنه تكرر. لكن لو ترك العمل به نسى. وهذا دليل محسوس على أن العمل بالعلم يوجب ثبات العلم.

★ ★ ★

٤ـ دوام المراقبة :

التحلى بدوام المراقبة لله تعالى فى السر والعلن ؛ سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء؛ فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر . فأقبل على الله بكليتك، وليمتلئ قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه، وحكمه سبحانه.

هذا من المهم: دوام المراقبة لله، وهذا من ثمرات الخشية، أن الإنسان يكون مع الله دائما يعبد الله كأنه يراه ، يقوم للصلاة فيتوضأ وكأنه ينفذ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة:٦). يقوم يتوضأ وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، ويقول: «**من توضأ نحو وضوئي هذا**»[1]. كمال المراقبة. . وهذا أمر مهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٦٠) الوضوء، ومسلم (٢٢٦) الطهارة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقوله : **«يكون سائراً بين الخوف والرجاء فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر»** هذا أحد الأقوال فى هذه المسألة. وهى: هل الأولى للإنسان أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء؟ أم يغلب جانب الخوف؟ أم يغلب جانب الرجاء؟ .

الإمام أحمد رحمه الله يقول: ينبغى أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه.

ومن العلماء من يفصل ويقول: إذا هممت بطاعة فغلب جانب الرجاء فإنك إذا فعلتها قبلها الله منك ورفعك بها درجات، وإذا هممت بمعصية فغلب جانب الخوف حتى لا تقع فيه. وعلى ذلك يكون التغليب لأحدهما بحسب حالة الإنسان.

ومنهم من قال: بحسب الحال على وجه آخر، فقال: أما فى المرض فيغلب جانب الرجاء، لأن النبى ﷺ قال : **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»**.[1] ولأنه إذا غلب فى حالة المرض جانب الخوف فربما يدفعه ذلك إلى القنوط من رحمة الله. فى حال الصحة يغلب جانب الخوف لأن الصحة مدعاة للفساد كما قال الحكيم:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرأ أي مفسدة

والذى أرى: أن الإنسان يجب أن يعامل حاله بما يقتضيه الحال وأن أقرب الأقوال فى ذلك أنه: إذا عمل خيراً فيغلب جانب الرجاء، فإذا هم بسيئة فليغلب جانب الخوف. هذا أحسن ما أراه فى هذه المسألة الخطيرة العظيمة.

إذا قال قائل: تغليب جانب الرجاء هل يجب أن يكون مبنياً على سبب صالح للرجاء، أو يكون رجاء المفلسين.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٧٧) الجنة وصفة نعيمها وأهلها، وأحمد (١٣٧١١) عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر رضي الله عنه.

الإجابة: الأول.

إنسان مثلاً يعصى الله دائماً وأبـداً ويقول: رحمة الله واسعة. هذا غلط، لأن إحسان الظن بالله ورجاء الله لا بد أن يكون هناك سبباً ينبنى عليه الرجاء وإحسان الظن. وإلا كان مجرد أمنية، والتمنى كمـا يقول عامة أهل نجد: التمنى رأس مال المفاليس.[1]

★ ★ ★

٥- خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء:

تحل بآداب النفس؛ من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر؛ من الوقار، والرزانة، وخفض الجناح؛ متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلاً للحق.

قوله: «**تحل بآداب النفس** ...» لأن المقام يقتضى هكذا عند طالب العلم عفة عما فى أيدى الناس، وعفـة عما يتـعلق بالنظر المحرم، وحلم لا يعاجل بالعـقوبة إذا أساء إليه أحد، وصـبر على ما يحصل من الأذى مما يسمعـه إما من عامة الناس، وإما من أقرانه، وإما من معلمه فليصبر وليحتسب، والتواضع للحق وكذلك للخلق. يتواضع للحق بمعنى: أنه مـتى بان له الحق خضع له ولم يبتغ سـواه بديلاً، وكذلك للخلق فكم من طالب فتح على معلمه أبواباً ليست على بال منه ولا تحقرن شيئاً.

وقوله: «**وسكون الطائر من الوقار** ..» هذه أيضاً لـطالب العلم أن يبتـعد عن الخفة سواء فى المشية أو فى معاملة الناس، وألا يكثر من القهقهة التى تميت القلب وتذهب الوقار، بل يكون خافضاً للجناح متحلياً بالآداب التى تليق بطالب العلم.

وقوله: «**متحمـلاً ذل التعلم لعزة العلم**» هذا جيد، يعنى أنك لو أذللت نفسك للتعلم، فإنما تطلب عز هذا العلم، فيكون تذليلها بالتعلم ينتج ثمرة طيبة.



---

(١) انظر للأهمية كلام ابن القيم فى الفرق بين حسن الظن والغرور فى «**الداء والدواء**» طبعة دار العقيدة.

وعليه؛ فاحذر نواقض هذه الآداب، فإنها مع الإثم تقيم على نفسك شاهداً على أن في العقل علة، وعلى حرمان من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء؛ فإنه نفاق وكبرياء، وقد بلغ من شدة التوقي منه عند السلف مبلغا:

الخيلاء تحدث للإنسان طالب العلم، وللإنسان كثير المال، وللإنسان سديد الرأي، وكذلك في كل نعمة أنعم الله بها على العبد ربما يحدث له فيها خيلاء. **والخيلاء هي**: إعجاب بالنفس مع ظهور ذلك على هيئة البدن، كما جاء في الحديث: «**من جر ثوبه خيلاء**»[1]. فالإعجاب يكون بالقلب فقط، فإن ظهرت آثاره فإنه خيلاء.

وقوله: «**فإنه نفاق وكبرياء**» أما كونه كبرياء فواضح، أما قوله: «**نفاق**» فلأن الإنسان يظهر أكبر من حجمه الحقيقي، وهكذا المنافق يظهر بمظهر المخلص الناصح وهو ليس كذلك.

★ ★ ★

ومن دقيقه ما أسنده الذهبي في ترجمة عمرو بن الأسود العنسي المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، فسئل عن ذلك؟ فقال: مخافة أن تنافق يدي . قلت: يمسكها خوفا من أن يخطر بيده في مشيته؛ فإن ذلك من الخيلاء[2].اهـ .

وهذا العارض عرض للعنسي ـ رحمه الله تعالى ـ :

واحذر داء الجبابرة: (الكبر)؛ فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصى الله به[3]، فتطاولك على معلمك كبرياء، واستنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر، وعنوان حرمان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٨٣) اللباس، ومسلم (٢٠٨٥) اللباس والزينة، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «**السير**»: (٤/ ٨٠). (ز)

(٣) «**فهرس الفتاوى**» (٣٦/ ١٩٣). (ز)

العلـــم حــرب للفـــتي المتعـــالى كالســـيل حـــــرب للمكـــان العـــالى

داء الجبابرة وهو «الكبـر» وقد فسره النبى ﷺ بأجمع تفسـير وأبينه وأوضحه فقـال: «**الكبـر بطر الحق، وغـمط الناس**»(1). وبطر الحق هو رد الحق، وغـمط الناس يعنى احتـقارهم وازدرائهم؛ وقوله: «**إن الكبر والحـرص والحسد أول ذنب عـصى الله به**» يريد فـيمـا نعلم لأننا نعلم أن أول من عـصى الله عـز وجل هو الشـيطان حين أمـره الله تبارك وتعـالى أن يسجـد لآدم لكن منعه الكبـرياء. أبى واستكبر وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١).

وقال ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ (الإسراء: ٦٢). وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

فقوله: «**أول ذنب عصى الله به**» يعنى باعتبار ما نعلم، وإلا فإن الله تعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠).

قال أهل العلم: إنما قال الملائكة ذلك لأنه كان على الأرض أمة قبل آدم وبنيه، وكانوا يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء.

ثم ذكر أمـثلة وقال: «**تطاولك على معلمك كـبرياء**» ويكون التطاول باللسان ويكون أيضا بالانفعال، قد يمشى مع معلمـه وهو يتبختر، ويقول فعلت وفعلت، وكذلك أيضا استنكارك عما يفيدك من علومٍ كبرياءً، وهذا يقع أيضا لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشىء وهو دونه فى العلم يستكبر ولم يقبل.

وقوله: «**تقصـيرك عن العـمل بالعلم حـمأة كـبر، وعنوان حـرمان**» نسأل الله العافية. هذا نوع من الكبر، ألا تعمل بالعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩١) الإيمان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله : «**العلم حرب للفتى المتعالى**» يعنى أن الفتى المتعالى لا يمكن أن يدرك العلم، لأن العلم حرب له . «كالسيل حرب للمكان العالى»، صحيح المكان العالى ينفض عنه السيل يميناً وشمالاً ولا يستقر عليه.

★ ★ ★

فالزم - رحمك الله - اللصوق إلى الأرض ، والإزراء على نفسك ، وهضمها، ومراغمتها عند الاستشراف لكبرياء أو غطرسة؛ أو حب ظهور، أو عجب ... ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبة لهيبته، المطفئة لنوره، وكلما ازددت علماً أو رفعة فى ولاية؛ فالزم ذلك؛ تحرز سعادة عظمى، ومقاماً يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله بن الإمام الحجة الراوية فى الكتب الستة بكر بن عبدالله المزنى - رحمهما الله تعالى - قال:

«سمعت إنسانا يحدث عن أبى ، أنه كان واقفاً بعرفة، فرق، فقال: لولا أنى فيهم؛ لقلت: قد غفر لهم». خرجه الذهبى [1] ثم قال «قلت: كذلك ينبغى للعبد أن يزرى على نفسه ويهضمها» اهـ.

وهذه العبارات التى تطلق على السلف، مثل هذا يريدون به التواضع، وليسوا يريدون أنهم يغلبون جانب سوء الظن بالله عز وجل أبداً، لكنهم إذا رأوا ما هم عليه خافوا وحذروا وجرت منهم هذه الكلمات . وإلا فإن الأولى للإنسان أن يحسن الظن بالله ولا سيما فى هذا المقام. وهو مقام عرفة الذى هو مقام تضرع إلى الله عز وجل ومقام استغفار. ويقول مثلاً: إن الله لم ييسر لى الوصول إلى هذا المكان إلا من أجل أن يغفر لى ويسأله المغفرة . والله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) لكن تكررت هذه العبارات من السلف من باب التواضع وسوء الظن بالنفس لا بالله عز وجل.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣٤). وانظر كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى «مجموع الفتاوى»: (١٤/ ١٦٠). (ز)

٦- القناعة والزهادة:

التحلى بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد[١] : «الزهد بالحرام والابتعاد عن حماه؛ بالكف عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما فى أيدى الناس».

التحلى بالقناعة من أهم خصال طالب العلم، يعنى أن يقتنع بما أتاه الله عز وجل ولا يطلب أن يكون من الأغنياء والمترفين، لأن بعض طلبة العلم وغيرهم يريدون أن يكونوا فى مصافِّ الأغنياء والمترفين، فيتكلف النفقات فى المأكل والمشرب، والملبس، والمفرش ثم يسقط كاهله من الديون، وهذا خطأ ؛ لكن عليك بالقناعة فهى خير زاد للمسلم.

قال: «**وحقيقة الزهد ...**» كأنه أراد بالزهد هنا الورع، لأن هناك ورعاً وزهداً. والزهد أعلى مقاماً من الورع، لأن الورع ترك ما يضر فى الآخرة والزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، بينهما فرق.

الفرق الذى بينهما: المرتبة التى ليس فيها ضرر وليس فيها نفع، فالوَرِع لا يتحاشاها، والزاهد يتحاشاها ويتركها، لأنه لا يريد إلا ما ينفعه فى الآخرة.

★ ★ ★

ويؤثر عن الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى[٢] ـ : «لو أوصى إنسان لأعقل الناس؛ صرف إلى الزُّهاد».

الله أكبر!! لو قال : أوصيت لأعقل الناس. يصرف لمن؟ إلى الزُّهَّاد. لأن الزهاد هم أعقل الناس، حيث تجنبوا ما لا ينفعهم فى الآخرة، وهذا الذى قاله رحمه الله ليس على إطلاقه، لأن الوصايا، والأوقاف، والهبات، والرهون، وغيرها ترجع إلى معناها فى العرف، فإذا كان أعقل الناس فى عرفنا الزهاد صرف

(١، ٢)«**تعليم المتعلم**» للزرنوجى: (ص٢٨). (ز)

لهم ما أوصى بـه، وإذا كان أعقل الناس هم ذوو المروءة، والوقـار، والكرم بالمال والنفس صرف إليهم.

★ ★ ★

وعن محمد بن الحسن الشيباني - رحمه الله تعالى - لما قيل له : ألا تصنف كتاباً في الزهد؟ قال:

«قد صنفت كتاباً في البيوع»[1] . يعني «الزاهد من يتحرز عن الشبهات والمكروهات؛ في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف» اهـ .

لأن من تعرف على البيوع وأحكامها، وتحـرز عن الحرام، واستحل الحلال فإن هذا هو الزاهد.

★ ★ ★

وعليه ؛ فليكن معتدلاً في معاشه بما لا يشينه، بحيث يصون نفسه ومن يعول، ولا يرد مواطن الذلة والهون.

وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي المتوفى في ١٧ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ -رحمه الله تعالى- متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: «لقد جئت من البلاد - شنقيط - ومعي كنز قل أن يوجد عند أحد؛ وهو (القناعة) ، ولو أردت المناصب؛ لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين.

هذا الكلام من الشـيخ الشنقـيطي - رحـمه الله - وأشـبـاهه من أهل العلم لا يريدون بذلك تزكية النفس ولكن يريدون بذلك نفع الخلق وأن يقتدي الناس بهم، وأن يكونوا على هذا الطريق لأننا نعلم هنا من أحوالهم. ولأنهم لا يريدون تزكية النفس وهم أبعـد الناس عن ذلك، وهو رحـمه الله كـمـا ذكره الشـيخ بكر من

---

(١) انظر المرجع السابق.

الزهاد، إذا رأيته لا تقول إلا أنه رجل من أهل البادية حتى العباءة تجد أن عليه عباءة عادية ما فيها هذا «الزرى» وكذلك الثياب ولا تجده يهتم بهندمة نفسه وثيابه رحمه الله .

★ ★ ★

٧- التحلي بـرونـق العلـم:

التحلي بـ (رونق العلم) حسن السمت، والهدى الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة؛ بعمارة الظاهر والباطن؛ والتخلي عن نواقضها.

هذا قد يكون فرع لما سبق، فإن حسن السمت، والهدى الصالح من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، والهدى الظاهر قد سبق الإشارة إليها وأنه ينبغي لطالب العلم أن يكون أسوة صالحة في هذه الأمور.

★ ★ ★

وعن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - قال: «كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم».

وعن رجاء بن حيوة - رحمه الله تعالى - أنه قال لرجل: «حدثنا، ولا تحدثنا عن متماوت ولا طعان». رواهما الخطيب في «الجامع»، وقال:[1] «يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعب، والعبث والتبذل في المجالس؛ بالسخف والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه، والذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة» اهـ .

هذا من أحسن ما قيل في آداب طالب العلم. أن يتجنب اللعب والعبث إلا ما جاءت به الشريعة، كاللعب برمحه، وسيفه، وفرسه، لأن ذلك يعينه على الجهاد

---

(١) «الجامع» (١/١٥٦). (ز)

في سبيل الله، وكـذلك في الوقت الحاضر اللعب بالبنادق الصـغيرة هذه لا بأس بها، كذلك العبث، وهو يفعل فعلاً لا داعي له، أو يقول قولاً لا داعي له كذلك التبذل في المجالس بالسخف والضحك، والقـهقهة، وإدمان المزاح، والإكثار منه، لا سيما عند عامة الناس، أما عند أصحابك وأقرانك، فالأمر أهون لكن عند عامة الناس إياك أن تفتح على نفسك باب الامتهـان، فإن ذلك يذهب الهيبة من قلوب الناس فلا يهابونك، ولا يهابون العلم الذي تأتي به.

★ ★ ★

وقد قيل: «من أكثر من شيء؛ عرف به». فتجنب هاتيك السقطات في مجالستك ومحادثتك.. وبعض من يجهل يظن أن التبسط في هذا أريحية.

وعن الأحنف بن قيس قال: «جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه»[١].

لأن هذا يشغل عن طلب العلم، مـثل أن يقول: أكلت البارحة أكـلاً حتى ملأت البطن، وما أشبـه ذلك من الأشياء التي لا داعي لها، أو يتكلم فيمـا يتعلق بالنساء، أما إذا كان يتكلم بما بينه وبين أهله فذلك من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة.

★ ★ ★

وفي كتاب المحدث الملهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء: «ومن تزين بما ليس فيه؛ شانه الله وانظر شرحه لابن القيم - رحمه الله تعالى-.[٢]

المحدث يعني به عمـر بن الخطاب ﷺ لأن النبي ﷺ قال: **«أن يكن فيكم محدثون فعمر»**[٣]، والمراد «بالملهم» الذي يلهـمه الله عـز وجل وكأنه يـحدث بالوحي وقد أشكل هذا على بعض العلماء، حيث قـالوا: إن هذا يقتضي أن عمر

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٩٤). (ز)
(٢) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦١- ١٦٢). (ز)
(٣) سبق تخريجه ص ١٣ .

أفضل الصحابة لأنه قال: «إن يكن فيكم محدثون فعمر»، لكن أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بأن عمر إنما يتلقى الإصابة بواسطة، أما أبو بكر فيتلقاها بلا واسطة، وعلى هذا فيكون أبو بكر أفضل من عمر، ومن رأى تصرف أبى بكر فى مواقع الشدة رأى أنه أقرب إلى الصواب من عمر، ففى كتاب الصلح الذى وقع بين النبى ﷺ ، وقريش، راجع عمر النبى ﷺ فأجابه، ثم راجع أبا بكر فأجابه بما أجابه به رسول الله ﷺ حرفاً بحرف.

وفى قتال أهل الردة، وكذلك فى تنفيذ جيش أسامة بن زيد، وكذلك فى تثبيت الناس يوم وفاة النبى ﷺ كل هذا يدل على أن أبا بكر أصوب رأياً من عمر، لكن الذى أظهر عمر بن الخطاب هو طول خلافته، وتفرغه لأمور المسلمين العامة والخاصة، وكان مشتهراً بذلك رضي الله عنه ولهذا فنحن نقول: أيهما أكثر رواية للحديث أبو هريرة أم أبو بكر؟ أبو هريرة.

هل يعنى، ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه أكثر تلقى للحديث من أبى بكر؟ لا . . لكن أبو بكر لم يحدث بما روى من الرسول وإلا، فأبو بكر صاحب الرسول ﷺ صيفاً وشتاءً، ليلاً ونهاراً، سفراً وإقامة فهو أكثر الناس تلقى عنه، أعلم الناس بأحواله، لكن لم يتفرغ لكى يجلس للناس يحدثهم بما رواه عن النبى ﷺ .

فالحاصل: أن بهذا يتبين الجواب عن الحديث: «إن يكن فيكم..» الحديث. يقول: فى هذا الكتاب الذى كتبه إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء: «من تزين بما ليس فيه شانه الله». هذه حقيقة، إذا تزين الإنسان بأنه طالب علم وقام يضرب الجبلين بعضهما ببعض، وكلما جاءته مسألة شمر عن أكمامه وقال أنا صاحبه: هذا حلال وهذا حرام، هذا واجب وهذا فرض كفاية، وهذا فرض عين، وهذا اشتراطه كذا وكذا، وهذا ليس له شروط، وقام يفصل ويجمل ، ولكن يأتيه طالب علم صغير يقول : أخبرنا عن كذا . فإذا بالله يفضحه ويبين أنه ليس بعالم، وكذلك من تزين بعبادة وأظهر للناس أنه عابد فلابد أن يكشفه الله.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَم

ومهما يكتم الناس فالله يعلمه وسيفضح من لا يعمل لأجله، فهذه عبارة من عمر زن بها كل أعمالك «من تزين بما ليس فيه شانه الله».

قال الشيخ بكر أبو زيد وفقه الله «انظر شرحه لابن القيم رحمه الله تعالى»، شرحه ابن القيم فى كتاب **«إعلام الموقعين»** شرحاً طويلاً حتى تكاد أن تقول: إن جميع الكتاب الذى هو ثلاث مجلدات كبار. كان شرحاً لهذا الحديث، وإن لم يكن شرحاً لألفاظه لكنه لألفاظه من وجه وشرحاً لمعانيه، وحكمه من وجه آخر فلهذا أشار بكر أبو زيد إلى أن تنظر إلى هذا الشرح.

★ ★ ★

٨ـ تحل بالمروءة:[١]

التحلى بـ (المروءة)، وما يحمل إليها ؛ من مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس، والأنفة من غير كبرياء، والعزة فى غير جبروت، والشهامة فى غير عصبية، والحمية فى غير جاهلية.

ما هى المروءة؟ حدها الفقهاء رحمهم الله فى كتاب الشهادات. قالوا: هى فعل ما يجمله ويزينه، واجتناب ما يدنسه ويشينه.

وهذه عبارة عامة. كل شىء يجمله عند الناس، ويزينه، ويكون سببا للثناء عليه فهو مروءة وإن لم يكن من العبادات، وكل شىء بالعكس فهو خلاف المروءة. ثم ضرب لهذا مثلاً. فقال: مكارم الأخلاق. فما هو كرم الخلق؟ أن يكون الإنسان دائماً متسامحاً فى مواضع التسامح. ويأخذ بالعزم فى موضع العزيمة.

ولهذا جاء الدين الإسلامى وسطاً بين التسامح الذى تضيع به الحقوق، وبين العزيمة التى ربما تحمل على الجور. فنضرب مثلاً بالقصاص ـ وهو قتل النفس بالنفس.

(١) فيها مؤلفات مفردة، انظر: **«معجم الموضوعات المطروقة»** : (٣٩٢). (ز)

يُذكر أن بنى إسرائيل انقسمت شرائعهم فى القصاص إلى قسمين: قسم أوجب القتل ولا خيار لأولياء المقتول فيه، وهى شريعة التوراة، لأن شريعة التوراة تميل إلى الغلظة والشدة.

وقسم آخر أوجب العفو. وقال: إنه إذا قتل الإنسان عمداً، فالواجب على أولياءه التسامح. هكذا نقرأ فى الكتب المنقولة ولم نقف على نص فى الإنجيل، وإلا فإن الأصل أن شريعة الإنجيل هى شريعة التوراة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥). لكن فيما ينقل عن بنى إسرائيل نسمع هذا، فجاء الدين الإسلامى وسطا وجعل الخيار لأولياء المقتول إن شاءوا قتلوا قصاصاً ولهم الحق، وإن شاءوا عفوا مجاناً وإن شاءوا أخذوا الدية.

فصار الأمر فى ذلك واسع. ومعلوم أن كل عاقل يُخيَّر فى مثل هذه الأمور سيختار ما فيه المصلحة العامة، ويقدمها على كل شىء.

فمثلا إذا كان هذا الرجل شريراً - أعنى القاتل - وأولياء المقتول يحبون المال، وقالوا نريد أن نعفو إلى الدية لأننا محتاجون ليس عندنا مال. نقول: هذا ليس من الحكمة. انظروا إلى المصالح العامة وأنتم إذا تركتم شيئا لله، عوضكم الله خيراً منه، اقتلوا هذا القاتل.

ولهذا أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية تبعاً للإمام مالك رحمه الله، أوجب قتل القاتل غيلة حتى لو عفى أولياؤه، حتى لو كان له صغار يحتاجون إلى المال، فإنه يجب أن يقتل لأن القتل غيلة لا يمكن التخلص منه، إذ أن الإنسان اغتيل فى حالة لا يمكن أن يدافع عن نفسه، والمغتال مفسد فى الأرض ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ (المائدة: ٣٣).

«**وطلاقة الوجه**» أيضا، هذه من مكارم الأخلاق، وهل مثلاً: أطلق وجهى لكل إنسان حتى لو كان أجرم المجرمين؟ أو على حسب الحال؟ على حسب الحال، أطلق الوجه فى ٦ من ٩ إيش معنى هذا؟ يعنى فى الثلثين، والثلث دعه لما تقتضيه الحال.

ليكن سمتك طلاقة الوجه، هذا أحسن شيء، تجذب الناس إلى نفسك ويحبك الناس، ويستطيعون أن يفضوا إليك ما يفضون من أسرارهم، ولكن إذا كنت عبوساً، تعض على شفتك السفلى، فإن الناس يهابونك ولا يستطيعون أن يتكلموا معك، لكن إذا اقتضت الحال أن لا تطلق الوجه فافعل، ولهذا لا يلام الإنسان على العبوس مطلقاً، ولا يمدح على تركه مطلقاً.

«**إفشاء السلام**» يعني نشره وإظهاره على كل أحد؟ أسأل؟

لا.. على من يستحق أن يسلم عليه؟ على المسلم وإن كان عاصياً، وإن كان زانياً، وإن كان سارقاً، وإن كان مرابياً، وإن كان يشرب الخمر، وإن كان فاسقاً. إلق عليه السلام، لقول النبي ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[1]. فإن فعل المؤمن منكراً ولا سيما إذا كان منكراً عظيماً يخشى منه أن يتفتت المجتمع الإسلامي حينئذ يكون هجره واجباً، إن نفع الهجر.

وإنما أقول ذلك لئلا يرد علينا قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك، فإن الرسول ﷺ أمر بهجره، الناس فهجروه وصاروا لا يتكلمون معه حتى أنه ذات يوم تسور حديقة أبي قتادة رضي الله عنه وهو ابن عمه وأحب الناس إليه فسلم على أبي قتادة، فلم يرد عليه السلام فسلم ثانياً فلم يرد عليه السلام، فسلم ثالثاً فلم يرد عليه السلام. فقال أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ كيف تهجرني وأنا أحب الله ورسوله؟ فلم يرد عليه، ما قال نعم أو لا قال: الله ورسوله أعلم !!

ما أجاب، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ أمرهم، ولو أمرهم أن يفعلوا أكبر من ذلك لفعلوا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٣٧) الاستئذان، ومسلم (٢٥٦٠) البر والصلة.

المهم أن الصحابة هجروه، لأنه تخلف عن غـزوة تبوك وكان هجرهم بأمر من رسول الله ﷺ . يأتى فيـسلم على الرسول ﷺ : فيقـول: فما أدرى . . هل حرك شفتيه برد السلام أم لا. لكن الرسـول يحبه لأنه إذا قام يصلى كعب، جعل النبى ﷺ يسارقه النظر . . ينظر إليه.[1]

فهل هذا الهـجر الذى وقع من الصحابة لـكعب بن مالك هل أثر أم لم يؤثر؟ أثر . . . رجوعـاً عظيمـاً إلى الله عز وجل **﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾** (التوبة: ١١٨). لجأوا إلى الله ففرج الله عنهم.

فالحاصل: إفشاء السلام . . . الأصل فيه أنه عام لكل أحد من المسلمين إلا من جاهر بمعصية، وكان من المصلحة أن يهجر فليهجر.

أما غـير المسلمـين فقد قـال النبى ﷺ : **«لا تبدءوا الـيهود والنـصاري بالسلام»**[2].

فيحرم علـينا أن نبدأ اليهود والنصارى بالسلام، ومن سـواهم أخبث منهم فلا نبدأهم بالسلام، وإن سلموا نرد عليهم، لقول الله تعالى: **﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾** (النساء: ٨٦). فإذا قـالوا السلام عليكم. نقـول عليكم السلام صراحة، لأن الآية ناطقة بذلك **﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾** . ولأن النبى ﷺ إنما أمر أن نقول: «**وعليكم**» لأنهم يقولون: «السام عليكم» كما جاء ذلك مصرحاً به فى حديث عبد الـله بن عمر أنه قال: «**إنما اليهود أو أهل الكتـاب يقولون السام**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤٤١٨) المغازى، ومسلم (٢٧٦٩) التوبة من كعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك.

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢١٦٧) السلام بلفظ: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام» عن أبى هريرة رضي الله عنه . وأخـرجـه بلفظ المؤلف: التـرمذى (٢٧٠٠) وقـال أبو عـيسى: «حـديث حـسن صحيح». وبلفظ آخر عن أبى هريرة رواه البخاري فى «الأدب المفرد» (١١٠٢) وانظر الصحيحة (٧٠٤، ١٤١١).

عليكم، فإذا سلموا فقولوا: وعليكم»[1]. ما يستثنى من ذلك شيء آخر؟ .

الطلبة بعضهم مع بعض، يستثنى هذا.. يعنى الطالب لا يفشى السلام مع إخوانه، وزملائه، وأصدقائه، لأن الخواطر طيبة والقلوب سليمة، والسلام تحية وبشاشة، تقبل وقبول. فلا حاجة يقولون «يغنى ما فى القلوب عن التعبير» ما تقولون فى هذا الاستثناء؟ .

هذا الاستثناء باطل! الطلبة فيما بينهم أحق الناس بإفشاء السلام. يستثنى من ذلك أيضا عند بعض الناس من خالفك فى المنهج، ووافقك فى الهدف.

فى الآن زمر ـ ولا نقول أحزاباً ـ بعضهم ينتمى إلى جماعة دون الأخرى، لكن ليت أن بعضهم سلم من بعض، بل بالعكس هم والعياذ بالله متناحرون بالألسن، ولا أدرى لو حصل أن يتناحروا بالسيوف أيفعلون أم لا؟ الله أعلم، لكن بالألسن متناحرون . . . يسب بعضهم بعضا وينفر بعضهم من بعض، ويمضى أوقات كثيرة فى مجالس عديدة للقذف فى الطائفة الأخرى. مع أن الهدف واحد، كلهم يريدون الوصول إلى تحقيق العبادة، وإلى الإقبال إلى الله وربما يكون هناك من أهل البدع المصرحين لمخالفة السنة من لا يتكلمون عليه، وهذه محنة لمسناها في بعض الزمر التي كل زمرة تنحاز إلى شيء معين أو إلى منهج معين فتجد بعضهم يضلل بعض وهذه محنة، فمثل هذه الزمر يجب أن يسلم بعضهم على بعض، ويجب أن ينصح بعضهم بعضاً، وأن يبين كل واحد لأخيه ما هو مخطئ فيه حتى يصحح الخطأ وتتألف القلوب.

وأما أن تضرب القلوب بعضها ببعض والعياذ بالله من أجل خلاف فى المنهج مع الاتحاد فى الهدف فهذا غلط عظيم.

★ ★ ★

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٢٥٧) الاستئذان، ومسلم (٢١٦٤)، والترمذي (١٦٠٣) السير، وأبو داود (٥٢٠٦) الأدب، وأحمد (٤٥٤٩)، عن ابن عمر رضي الله عنه.

وعليه؛ فتنكب (خوارم المروءة)؛ في طبع، أو قول، أو عمل؛ من حرفة مهينة، أو خلة ردیئة، کالعجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب.

لما ذكر المروءة وأنه ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها. قال «**تنكب**» يعني: أبعد عن خوارم المروءة في طبع، أو قول، أو عمل، يعني في طباعك .

حاول أن تكون طباعك ملائمة للمروءة، ومن المعلوم أن ليس التكحل في العين كالكحل، وليس التطبع كالطبع، ولكن الإنسان مع ممارسته للشيء ربما يكون الكسب غريزة، والتطبع طبيعة، وإلا فإن الإنسان لو حاول ما يحاول من أخلاق وطبعه ليس كذلك سيجد صعوبة لكنه مع التمرن يحسن أو يحسن حاله، وهذا مجرب، لقد سمعنا عن بعض الناس الذى كان بعيداً عن طلب العلم، أو طالب علم كانت له أخلاق سيئة ثم لما منَّ الله عليه بالعلم والهداية صارت أخلاقه طيبة لأنه مرن نفسه على هذه الأخلاق حتى صارت كأنها من طباعه وغرائزه.

قوله: «**من حرفة مهينة أو خلة رديئة**»، الخلة يعني : الخصلة، والحرفة المهينة: كل ما يحترف به الإنسان من عمل، ثم ضرب لذلك أمثلة. فيقول :

كالعجب أن يعجب الإنسان بنفسه، فإذا استنبط فائدة قال: ما شاء الله، هذه الفائدة ما استنبطها أكبر عالم، ثم أعجب بنفسه، ورأى نفسه كبيراً وانتفخ.

الرياء: أن يرائى الناس بأن يتكلم في العلوم أمامهم حتى يروا أنه عالم فيقال أنه عالم.

البطر: رد الحق . وهذه تحصل في المجادلات والتعصب لرأى من الآراء أو لمذهب من المذاهب، تجده يغمط الآخرين، يرد الحق لأنه خلاف ما يرى .

الخيلاء: نتيجة العجب، يعني يظهر نفسه بمظهر العالم الواسع العلم ومن ذلك أن يكون للعلماء في بلد ما، زى خاص في اللباس، فيأتي هذا الإنسان البادئ بالعلم فيلبس لباس كبار العلماء ليظن الظان أنه من كبار العلماء، هذا من الخيلاء.

كذلك أيضا احتقار الآخرين فالبطر -هو احتقار الآخرين- هو الكبر كما قال عليه الصلاة والسلام : «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١). أي: احتقارهم.

«**وغشيان مواطن الريب**» التي تكون محل الشك فيه، وفي مروءته، وأخلاقه يتجنبها. رحم الله امرءا كف الغيبة عن نفسه .

وإذا كان رسول الله ﷺ أطهر الخلق قال للرجلين الأنصاريين وهو مع زوجه صفية: «**إنها صفية**»(٢)، **فكيف بغيره ؟ !**

فالحاصل: إنك لا تثق بنفسك وتقول : إن الناس لا يظنون بي شيئا فأنت وإن كنت عند الناس في هذه المثابة، لكن الشيطان يلقى في قلوبهم الشر حتى يتهموك بما أنت منه برىء فتجنب مواطن الريب حتى تسلم من الريبة .

★ ★ ★

٩- التمتع بخصال الرجولة :

تمتع بخصال الرجولة ؛ من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال . وعليه : فاحذر نواقضها : من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قولة الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده .

هذه كالتكميل للأول، لأن التمتع بخصال الرجولة من المروءة بلا شك، فإن الإنسان إذا نزل نفسه منزلة الرجال، الذين هم رجال بمعنى الكلمة فإنه سوف يتمتع بما ذكره من الشجاعة، وشدة البأس، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٣٨) الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) السلام، عن علي بن الحسين عن صفية زوج النبي ﷺ

يعنى: حتى لا يهم أحد أن يسبقك بما أنت عليه من هذه الخصال . فالشجاعة الإقدام فى محل الإقدام، فإذا كانت الشجاعة هى الإقدام فى محل الإقدام لزم من ذلك أن تسبق برأى وتفكير وحنكة، ولهذا قال المتنبى

الرأي قبل شجاعة الشجعان	**هو أول وهي المحل الثاني**
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة	**بلغت من العلياء كل آمال**

فلابد من رأى ؛ لأن الإقدام فى غير رأى تهور وتكون نتيجته على عكس ما يريده هذا المقدم، كذلك شدة البأس فى الحق، بحيث يكون قوياً فيه، صابراً على ما يحصل من أذى أو غيره فى جانب الحق .

«مكارم الأخلاق» سبق الكلام عليها، وأنها تشمل كل خلق كريم يحمد الإنسان عليه.

«البذل فى المعروف» البذل يشمل بذل المال، والجاه، والعلم، وكل ما يبذل للغير لكن فى سبيل المعروف، لكن البذل فى سبيل المنكر فهو منكر، والبذل فيما ليس بمعروف ولا منكر قد يكون من إضاعة المال.

★ ★ ★

١٠- هجر الترفـــه :

لا تسترسل في (التنعم والرفاهية) ؛ فإن «البذاذة من الإيمان»[١]، وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه المشهور، وفيه : «وإياكم والتنعم وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا ... » .[٢]

قوله: «**لا تسترسل فى التنعم والرفاهية**» وهذه النصيحة تقال لطالب العلم ولغير طالب العلم لأن الاسترسال فى ذلك مخالف لإرشاد النبى ﷺ فقد كان ينهى عن كثرة الإرفاة ويأمر بالاحتفاء أحيانا[٣]، والإنسان الذى يعتاد الرفاهية يصعب عليه مواجهة الأمور، لأنه قد تأتيه الأمور من وجه لا يستطيع فى الرفاهية.

ولنضرب لهذا مثلاً : الذى ذكرناه فى الحديث «**يأمر بالاحتفاء أحيانا**» بعض الناس لا يحتفى دائما، عليه الجورب وعليه الخف، لا تجده يمشى. هذا الرجل لو عرض له عارض، وقيل له تمشى ٥٠٠ متر بدون وقاية للرجل، لوجدت ذلك يشق عليه مشقة عظيمة، وربما تدمى قدمه من مماسة الأرض، لكن لو عود نفسه على الخشونة، وترك الترفه دائماً لحصل له خير كثير، ثم إن البدن لو لم يعود على مثل هذه الأمور لم يكن عنده مناعة فتجده يتألم من أى شىء من ذلك، لكن إذا كان عنده مناعة لا يهتم به لهذا تجد أيدى العمال الآن أقوى بكثير من أيدى طلبة العلم، ما فى مانع لطلبة العلم لأنها تعودت على ذلك، حتى أن بعض العمال فيما سبق لما كانوا يعانون الطين واللبن إذا مسستها كأنك مسست حجراً. . من خشونتها، ولو أنه ضم أصابعه على يدك لآلمك كثيرا، لأنه اعتاد على ذلك. فترفيه الإنسان نفسه لا شك أنها ضرر عليه كبير.

---

(١) كما صح عن النبى ﷺ راجع: «**السلسلة الصحيحة**» (رقم ٣٤١) و«تعظيم قدر الصلاة» رقم (٤٨٤) لابن نصر المروزى. (ز)

(٢) «**مسند على بن الجعد**»: (١/٥١٧، رقم ١٠٣٠)، وعنه «**الفروسية**» لابن القيم: (ص٩) و«**أدب الإملاء والاستملاء**»: (ص٨١١) وأصله فى «الصحيحين» وغيرهما. (ز)

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤١٦٠) الترجل، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

قوله: **«البذاذة من الإيمان»** ما هى البذاذة؟ البذاذة عدم التنعم والترفه . **«وإياكم وزى العجم»** هذه الجملة تحذيرية، لأن العرب عندهم جمل تحذيرية، وعندهم جمل إغرائية، فإن وردت فى مطلوب فهى إغراء، وإن وردت فى محذور فهى تحذير فإن قلت لشخص: الأسد الأسد . فهذا تحذير، ولو قلت : الغزال الغزال هذا إغراء . أما «إيا» فهى للتحذير . قال ابن مالك :

إياك والشر ونحوه نصب ... محذر بما استتر وجب

«إياكم والتنعم» هذه الواو للعطف، وقيل للمعية . والمعنى: أحذركم مع التنعم. أى: أن تكونوا مع التنعم باللباس، بالبدن، بكل شىء. والمراد بذلك: كثرته. لأن التنعم بما أحل الله على وجه لا إسراف فيه من الأمور المحمودة، ومن ترك التنعم بما أحل الله من غير سبب شرعى، فهو مذموم.

وقوله: **«زى العجم»** ما هو زى العجم؟ شكله . سواء كان هذا فى الحلية، أو كشكل شعر الرأس وما أشبه ذلك أو كان باللباس، فإننا منهيون عن زي العجم، وليس المراد بالعجم أمة إيران، بل المراد بالعجم كل من سوى العرب، فيدخل فيه الأوربيون، والشرقيون فى آسيا، وغيرهم، لكن المسلم من العجم التحق بالعرب حكماً لا نسباً، لأنه اقتدى بمن بعث فى الأميين رسولا ﷺ .

وقوله: **«اخشوشنوا»** فهو من الخشونة التى هى ضد الليونة والتنعم. وكل هذه وصايا من عمر رضي الله عنه . . . وصايا نادرة، لو أن الناس عملوا بها سواء من طلبة العلم أو غير طلبة العلم لكان فيه خير كثير، لكن الآن فى البلاد التى مَنَّ الله عليها بالأمن، وطيب العيش، وكثرة المال، صار الأمر بالعكس فالتنعم موجود لا يريد الإنسان إلا أن يركب مركباً مريحاً، ويبنى قصراً مشيداً، ولا يناله شىء من الأذى لا برد فى برد، ولا حر فى حر، ولا يمسه شىء، متنعم تماماً، ولهذا كثر فيهم الأوبئة التى تترتب على عدم الحركة، مثل: السمنة، والضغط، وضيق التنفس. بعض الناس تجده شاباً، تصعد أنت وإياه الجبل لا ينتصف الجبل إلا وقد سارع نفسه حتى كاد يخور بدنه، وأنت مستريح. لماذا؟ لأنك تعودت وهو لم يتعود رغم أنه شاب، لكن لم يعود نفسه.

زى العجم الآن موجود، يترقبون كل موضة تخرج حتى يقلدوها، وقد أتعبت النساء رجالها فى هذا الباب. تأتى صباح النهار بلباس من أحسن الألبسة نظيف، ساتر، واسع، ثم تنزل إلى السوق فى آخر النهار، فإذا بموضة جديدة فتصيح . . أريد أن أشترى هذا الثوب. مع أنه أضيق من الأول وأسوأ من الأول، وأردأ من الأول . . لكن هذا شيء جديد لا بد أن تأخذه، خصوصاً من منَّ الله عليها بالمال، كبعض المدرسات وغيرهن، تجده ما يهم تشترى ما تريد . هذا غلط، ولهذا كثر الآن بين أيدى النساء مجلات تسمى «البوردا» تأخذها المرأة وتنظر ما يروق لها، حتى لو كان لباساً ما يتناسب مع الشرع، لكنه جديد. نسأل الله السلامة والهداية.



وعليه: فازْوَرَّ عن زيف الحضارة؛ فإنه يؤنث الطباع، ويرخى الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، ويصل المجدون لغاياتهم، وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق فى ملبسك، وإن كان منها شيات ليست محرمة ولا مكروهة لكن ليست سمتا صالحا، والحلية فى الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، بل تحديد له، وهل اللباس إلا وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؟!

فكن حذراً فى لباسك؛ لأنه يعبر لغيرك عن تقويمك؛ فى الانتماء، والتكوين، والذوق، ولهذا قيل: الحلية فى الظاهر تدل على ميل فى الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطى للناظر تصنيف اللابس من : الرصانة والتعقل، أو التمشيخ والرهبنة، أو التصابى وحب الظهور. فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالاً لقائل، ولا لمزاً للامز، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لبسك بما يلتقى مع شرف ما تحمله من العلم الشرعى؛ كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قربة؛ إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق. وفى المأثور عن

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [1]«أحب إلى أن أنظر القارئ أبيض الثياب».

أى: ليعظم فى نفوس الناس، فيعظم فى نفوسهم ما لديه من الحق والناس. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض[2] . فإياك ثم إياك من لباس التصابى، أما اللباس الإفرنجى؛ فغير خاف عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتى بلباس مشوه، لكنه الاقتصاد فى اللباس برسم الشرع، تحفه بالسمت الصالح، والهدى الحسن.

وتطلب دلائل ذلك فى كتب السنة والرقاق لاسيما فى «الجامع» للخطيب[3]. ولا تستنكر هذه الإشارة؛ فما زال أهل العلم ينبهون على هذا فى كتب الرقاق والآداب واللباس[4]، والله أعلم.

لما ذكر ـ وفقه الله ـ هجر الترف، أطنب فى ذكر اللباس الظاهر لأن اللباس الظاهر عنوان على اللباس الباطن، لذلك فإنك تجد رجلان كلاهما عليه ثوب مثل الآخر فتزدرى أحدهما ولا تهتم بالآخر، تزدرى بمن لباسه ينبغى أن يكون على غير هذا الوجه إما فى الكيفية، وإما فى اللون، وإما فى الخياطة أو غير ذلك.

والثانى- لا ترفع له رأسا ولا ترى فى لباسه بأسا لأن لكل قالب ما يناسبه فمثلاً: العقال هو فى الأصل لا بأس فيه، بل إن بعضهم يقول: إنه العمامة العصرية.

العمامة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لفافة تطوى على الرأس، وكانت تحتاج إلى تعب فى طيها ونقلها، لكن هذا مطوى جاهز ليس عليك إلا أن تضعه على

---

(١) «الإحكام» للقرافى: (ص٢٧١). (ز)

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ١٥٠). (ز)

(٣) «الجامع»: (١/ ١٥٣-١٥٥). (ز)

(٤) «أدب الإملاء والاستملاء»: (ص١١٦-١١٩) «اقتضاء الصراط المستقيم» «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٥٣٩) وانظر: «الروح» لابن القيم: (ص٤٠).

رأسك، فهو العمامة إلا أنه عمامة ميسرة، ولهذا كان بعض الناس فيما سبق يجعلون (العقل) بيضاء لتكون كالعمامة تماماً . هذه (العقل) لا يلبسها كل الناس على حد سواء. يمر بك رجلان كلاهما قد لبس العقال، أحدهما تزدريه والثانى لا تهتم له، لأن الأول لبس ما لا يلبسه مثله، والثانى لبس ما يلبسه مثله. وأشياء كثيرة من هذا النوع.

وقول الشيخ بكر- وفقه الله: «**يعبر لغيرك عن تقويمك فى الانتماء والتكوين والذوق**» هذا أيضاً صحيح، لأن كل إنسان قد يزن من لاقاهم بحسب ما عليهم من اللباس كما أنه يزن بالنسبة لحركاته، وكلامه، وأقواله، وخفته، ورزانته، كذلك فى اللباس ثم حذر من لباس التصابى. بأن يلبس الشيخ الكبير السن ما يلبسه الصبيان من رقيق الثياب وما أشبه ذلك فهذه أيضاً من الأمور التى لا ينبغى للإنسان أن يمارسها.

«**أما اللباس الإفرنجى فغير خاف عليك حكمه**». وحكمه التحريم، لقول النبى ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» (1). ولكن ما هو اللباس الإفرنجى؟ اللباس الإفرنجي هو المختص بهم، بحيث لا يلبسه غيرهم، بحيث إذا رآه الرائى قال: إن لابسه من الإفرنج، وأما ما كان شائعاً بين الناس من الإفرنج وغير الإفرنج فهذا لا يكون بالتشبه، ولكن قد يحرم من جهة أخرى، مثل أن يكون حريراً بالنسبة للرجال، أو قصيراً بالنسبة للنساء أو ما أشبه ذلك.

ثم لما خاف أن الذهن يمضى بعيداً . قال : «**ليس معنى هذا أن تأتى بلباس مشوه**» كما يفعل بعض الناس إظهاراً للزهد، تجد ثوبه ينشق . يقول : اتركه لا يهتم به يتوسخ . يقول: ما يهم . . . أنا مآلى إلى التراب . هذا ما هو طيب : الإنسان ينبغى أن يعرف نفسه، وما يأتى بما يكون هزؤاً فى حقه، لأنه مأمور بأن يدفع الريبة عن نفسه. رحم الله امرأ كفَّ الريبة عن نفسه .

---

(1) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥٠٩٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقال الألبانى: حسن صحيح، وانظر الإرواء (١٢٦٩).

١١ـ الإعـراض عـن مجالـس اللـغـو :

لا تطأ بساط من يغشون فى ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب؛ متغابياً عن ذلك، فإن فعلت ذلك؛ فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة .

أما قوله: **«الإعراض عن مجالس اللغو»** فاللغو نوعان :

الأول. لغو ليس فيه فائدة ولا مضرة .

والثانى. لغو فيه مضرة .

أما الأول فلا ينبغى للعاقل أن يذهب وقته فيه، لأنه خسارة .

وأما الثانى فإنه يحرم عليه أن يمضى وقته فيه، لأنه منكر محرم .

والمؤلف كأنه حمل الترجمة على المعنى الثانى الذى هو : اللغو المحرم، ولا شك أن المجالس التى تشتمل على المحرم لا يجوز للإنسان أن يجلس فيها لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

فمن جلس مجلس منكر وجب عليه أن ينهى عن هذا المنكر، فإن استقامت الحال فهذا هو المطلوب، وإن لم يستقم وأصروا على منكرهم فالواجب أن ينصرف. خلافاً لما يتوهمه بعض العامة يقولون : فإن الرسول ﷺ قال: **«فإن لم يستطع فبقلبه»**[١]. وأنا كاره لهذا المنكر فى قلبى .

يقال له : لو كنت كاره حقاً ما جلست معهم، لأن الإنسان لا يمكن أن يجلس على مكروه، إلا أن يكون مكرهاً، أما شيء يكره وأنت جالس باختيارك فأنت فى دعواك ـ كراهيته ـ ليست بصحيحة .

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٤٩) الإيمان، والترمذى (٢١٧٢) الفتن، والنسائي (٥٠٠٨) الإيمان وشرائعه، وأبو داود (١١٤٠) الصلاة، وابن ماجه (٤٠١٣) الفتن، وأحمد (١٠٦٨٩) عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدرى.

قوله : **«فإنه جنايتك على العلم وأهله عظيمة»** أما كونه جناية على نفسه فالأمر ظاهر، يعنى : لو رأيت طالب علم يجلس مجالس اللهو واللغو والمنكر، فجنايته على نفسه واضحة وعظيمة، لكن كيف تكون جناية على العلم وأهله؟ بأن الناس يقولون : هؤلاء طلبة العلم هؤلاء العلماء . . . هذا نتيجة العلم وما أشبه ذلك فيكون قد جنى على نفسه وعلى غيره .

★ ★ ★

١٢ـ الإعراض عن الهيشات :

التصون من اللغط والهيشات؛ فإن الغلط تحت اللغط؛ وهذا ينافى آداب الطلب.

«الهيشات» يعنى بذلك هيشات الأسواق . كما جاء فى الحديث[١] التحذير منها لأنها تشمل على لغط وسب وشتم، وبعض طلبة العلم يقول : أنا أقعد فى الأسواق من أجل أن أنظر ماذا يفعل الناس، وماذا يكون بينهم .

فنقول : هناك فرق بين الاختبار والممارسة .

يعنى لو ذكر لك أن فى السوق الفلانى كذا وكذا، فهنا لا حرج عليك أن تذهب وتختبر بنفسك، لكن لو كان جلوسك فى هذا السوق مستمراً، تمارسه كل عصر تروح إلى السوق لكان هذا خطأ بالنسبة لك لأنه إهانة لك ولطلبة العلم عموماً وللعلم الشرعى أيضاً.

★ ★ ★

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب «الوسيط فى أدباء شنقيط» وعنه فى «معجم المعاجم» : «أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى فى الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالما، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤٣٢) الصلاة، والترمذي (٢٢٨) الصلاة، وأبو داود (٦٧٤) عن أبى معشر عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ

القبيلة الأخرى فقال الشيخ باب بن أحمد : مثل هذا لا قصاص فيه. فقال القاضى : إن هذا لا يوجد فى كتاب. فقال : بل لم يخل منه كتاب، فقال القاضى: هذا «القاموس» . يعنى أنه يدخل فى عموم كتاب . فتناول صاحب الترجمة «القاموس»، وأول ما وقع نظره عليه : (والهيشة : الفتنة، وأم حبين [1] وليس فى الهيشات قود) ؛ أى : فى القتيل فى الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار فى ذلك الموقف الحرج. اهـ . ملخصاً .

هؤلاء القبيلة حدثت بينهم فتنة فقتلت من إحدى القبيلتين أربعة رجال فحضروا إلى القاضى . فقال الشيخ واسمه باب بن أحمد : مثل هذا لا قصاص فيه. قال القاضى الحاكم : إن هذا لا يوجد فى كتاب .

أى: أين الدليل على أنه لا يوجد فى كتاب . فقال : بل لم يخل منه كتاب فقال القاضى : هذا القاموس . أى أنه يدخل فى عموم كتاب .

كلمة **«كتاب»** عامة تشمل كل الكتب . العقيدة، والفقه، والنحو، والأدب، وكل شئ لأن كتاب نكرة فى سياق النفى تكون للعموم .

«القاموس» كتاب لغة .

«أم حبين» دويبة تشبه الخنفساء .

★ ★ ★

---

(١) هى دويبة. (ز)

١٣ـ التحلـــى بالـرفـــق :

التـزم الـرفق فى القـول ؛ مـجـتنبـاً الكلمـة الجـافـيـة ؛ فـإن الخـطاب اللين يتـألف النفوس الناشزة. وأدلة الكتاب والسنة فى هذا متكاثـرة.

هذا من أهم الأخلاق لطالب العلم، سواء كـان طالباً أم مطلوباً -أى : معلم- فالرفق كمـا قال النبى ﷺ : «**إن الله رفيق يحب الـرفق فى الأمر كله**»[١]. و«**ما كان الرفق فى شىء إلا زانه وما نزع من شىء إلا شانه**»[٢].

لكن لابد أن يكون الإنسان رفيقاً من غير ضعف، أما أن يكون رفيقاً يمتهن لا يؤخذ بقـوله ولا يهتم به فهذا خـلاف الحزم، لكن يكون رفيقـاً فى مواضع الرفق وعنيفـاً فى مواضع العنف، ولا أحد أرحم بالخلـق من الله عز وجل، ومع ذلك يقول : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور: ٢). فلكل مقـام مقال، لو أن الإنسان عـامل ابنه بالرفق فى كل شىء حتى فى موضع الحزم ما استطاع أن يربيه.

★ ★ ★

١٤ـ التـــأمــــل :

التـحلى بالتـأمل ؛ فـإن مـن تأمل أدرك، وقـيل : «تأمـل تدرك» . وعليـه؛ فـتـأمـل عند التكلم : بماذا تتكلم ؟ وما هى عائدته؟ وتحـرز فى العبـارة والأداء دون تعنت أو تحـذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين ؟ وهكذا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البـخارى (٦٩٢٧) استتابة المرتدين، مـسلم (٢٥٩٣) البر والصلة والآداب، وابن ماجه (٣٦٨٩) الأدب عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أحمد (١٦٣٦٠)، وأبو داود (٤٨٠٧) عن عبد الله ابن مغفل، وابن ماجه (٣٦٨٨) الأدب عن أبى هريرة.

(٢) **صحيح**: أخرجه مـسلم (٢٥٩٤) البر والصلة، وأبو داود (٢٤٧٨) الجهـاد، وأحمد (١٣١١٩) عن عائشة.

«التأمل» يريد بذلك : التأنى، وألا تتكلم حتى تعرف فيما تتكلم، وماذا تكون النتيجة.

ولهذا يقــولون : لا تضع قدمك إلا حـيث علمت السلام . لأن الإنســان يخطو، ويمشى. لا يضع قدمه إلا فى حفرة، أم شوكاً، أم حصى حتى يعرف أين يضع قدمه، فالتأمل هذا مهم، ولا تتعجل إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولذلك قال الشاعر :

قـد يدرك المتأني بعض حـاجـته وقـد يكون مع المسـتعـجل الزلل

وربما فات قوم جـــل أمـــرهـــم مع التـأني وكان الرأي لو عجلوا

فإذا دار الأمر بين أن أتأنى وأصبر، أو أتعـجل وأقدم . فأيهما أقدم؟ الأول . لأن القولة أو الفعلة إذا خـرجت منك لا يمكن أن ترجع . لكن ما دمت لم تقل ولم تفعل فأنت حـر .فتأمل بماذا تتكلم به، وما هى فـائدة الكلام، ولهذا قال النبى ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[1].

«تحـرز فى العـبـارة والأداء» وهذا أيضـا من أهم مـا يكون . يـعنى: لا تطلق العبـارة على وجه تؤخـذ عليك بل تحرز إما بقـيود تضـيفهـا إلى الإطلاق، وإما بتخصـيص تضيفه إلى العمـوم، وإما بشرط تقول إن كان كذا أو مـا أشبه ذلك . ولكن أقول دون تعنت أو تحذلق .

«وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد».

لعله أراد تأمل عندمـا المذاكرة، أى عـندما تذاكـر غيـرك فى شىء وتناظره، فاختر القالب المناسب للمعنى المراد .

«وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين» وكذلك فى الجواب وهو الأهم، لأن السؤال يسهل على المسـئول أن يستفهم من

(1) صحيح: أخرجه البخـارى (٦٠١٨) الأدب، مسلم (٤٧) الإيمان، والترمذي (٢٥٠٠)، وأبو داود (٥١٥٤) وأحمد (٦٥٨٤) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

السـائل ماذا تريد ؟ أريد كـذا وكذا . . فـيتبـين الأمر، لكن الجـواب إذا وقع مجملاً فإنه عند الناس على تفاسير متعددة، كل إنسان يفسر هذا الكلام بما يريد وبما يناسبه.

★ ★ ★

١٥ـ الثبـات والتثبـت :

تحل بالثبات والتثبت لا سيما فى الملمات والمهمات، ومنه : الصبر والثبات فى التلقى، وطى الساعات فى الطلب على الأشياخ، فإن «من ثبت نبت» .

هذا أهم ما يكون فى هذه الآداب، هو التثبت فيما ينقل من أخبـار، والتثبت فيما يصدر منك من الأحكام .

فالأخبـار إذا نقلت فلابد أن تتثبت أولاً. هل صحـت عمن نقلت إليه أو لا ؟ ثم إذا صحت فلا تحكم حتى تتثبت فى الحكم، ربما يكون الخبر الذى سمعته مبنياً على أصل أنت تجـهله فـتحكم بأنه خـطأ، والواقع بأنه ليس بخطأ، ولكن كـيف العلاج فى هذه الحال؟ .

العلاج بأن تتـصل بمن نسب إليه الخطأ وتقول : نقل عنك كذا وكـذا فهل هذا صحيح ؟ ثم تناقـشه . فقد يكون اسـتنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمـعته لأنك لا تدرى ما سبب هذا المنقول . ويقال : إذا علم السبب بطل العجب.

«**الثبات والتثبت**» هذان شيئان متشابهان لفظاً، ومختلفان معنى .

فالثبات : معناه الصبر والمصابرة، وألا يمل ولا يتضجر وألا يأخذ من كل كتاب نتفة، أو من كل فن قطعة ثم يترك . لأن هذا هو الذى يضر الطالب، يقطع عليه الأيام بلا فائدة إذا لم يثبت على شىء . تجده مرة فى الأجرومـية، ومرة فى متن قطر الندى، ومـرة فى الألفيـة . فى المصطلح، مرة فى النـخبة ومـرة فى ألفـية

العراقى، ويتخبط فى الفقه مرة فى زاد المستقنع، ومرة فى عمدة الفقه، ومرة فى المغنى مرة فى شرح المهذب وهكذا . هذا فى الغالب أنه لا يحصل علم، ولو حصل علماً فإنما يحصل مسائل لا أصول المسائل، كالذى يلتقط الجراد واحدة بعد أخرى، لكن التأصيل، والرسوخ، والثبات هذا هو المهم .

اثبت بالنسبة للكتب التى تقرأ وتراجع، واثبت بالنسبة للشيوخ أيضاً الذين تتلقى عنهم لا تكن ذواقاً كل أسبوع عند شيخ، كل شهر عند شيخ، قرر أولاً من ستتلقى العلم عنده، ثم إذا قررت ذلك فاثبت.

فإن من ثبت نبت، ومن لم يثبت لم ينبت. ولم يحصل على شيء.

★ ★ ★

الفصل الثاني

كيفية الطلب والتلقي

١٦ـ كيفية الطلب ومراتبه:

«من لم يتقن الأصول : حرم الوصول»[١]، و«من رام العلم جملة ؛ ذهب عنه جملة»[٢]، وقيل أيضاً : «ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم»[٣].

وعليه ؛ فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذاً الطلب بالتدرج.

قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء: ١٠٦). **وقال تعالى:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: ٣٢). **وقال تعالى:** ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ (البقرة: ١٢١).

«**كيفية الطلب**» وهذه أيضاً مهمة، ليبني الإنسان طلبه على أصول ولا يتخبط خبط عشوائي. يقول «من لم يتقن الأصول، حرم الوصول» وقيل بعبارة أخرى: «من فاته الأصول حرم الوصول» . لأن الأصول هي العلم والمسائل فروع كأصل الشجرة وأغصانها، إذا لم تكن الأغصان على أصل جيد فإنها تذبل وتهلك.

ما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أم هي القواعد والضوابط؟ أو هذا وهذا ؟ الثاني هو المراد . تبنى على الأصول من الكتاب والسنة وتبنى على قواعد وضوابط مأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة ترجع إليها أحكام الكتاب والسنة، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم . متى تجد المشقة تجد التيسير . هذا أصل من الأصول مأخوذ من الكتاب والسنة.

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص١٤٤). (ز)
(٢) «فضل العلم» محمد رسلان: (ص١٤٤). (ز)
(٣) «شرح الإحياء»: (١/ ٣٣٤). (ز)

من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨). ومن السنة قول النبى ﷺ لعمران بن حصين: **«صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلي جنب»**[١]. وقال: **«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**[٢]. هذا أصل لو جاءت ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بناء على هذا الأصل، لكن لو لم يكن لديك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أشكل عليك الأمر.

كذلك أيضا قال: «من رام العلم جملة ذهب عنه جملة» هذا أيضاً له وجه صحيح إذا أراد الإنسان أن يأخذ العلم جميعاً فإنه يفوته العلم جميعاً، لأن هذا لا يمكن، لابد أن تأخذ العلم شيئا فشيئاً، كسلم تصعد عليه من الأرض إلى السطح، ليس العلم بمأكول كتبت فيه العلوم، تأكل ثم تقول انتهى هضمت هذا العلم .. لا العلم يحتاج مرونة، وصبر، وثبات، وتدرج.

وقيل أيضاً: «ازدحام العلم فى السمع مضلة الفهم» يعنى كثرة استماع العلم توجب أن تضل فى فهمك. وهذا أيضاً ربما يكون صحيحاً، فالإنسان إذا ملأ سمعه بما يسمع أو بصره بما يقرأ ربما ازدحمت العلوم عليه ثم تشتبه عليه ثم يعجز عن التخلص منها.

قال: «وعليه، فلا بد من التخصيص والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن». لا بد من هذا ولو على شيخ أعلى منك بقليل، لأن بعض الناس إذا رأى طالباً من الطلبة يتميز عنه بشيء من التميز جعله شيخاً وعنده شيوخ أعلم من هذا بكثير، لكن يجعل هذا الصغير شيخه لأنه بذّه بشيء من

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (١١١٧) الجمعة، والترمذي (٣٧١) الصلاة، وأبو داود (٩٥٢) الصلاة، وابن ماجه (١٢٢٣) إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (١٩٣١٨) عن عمران بن حصين.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخارى (٧٢٨٨) الاعتصام، مسلم (١٣٣٧) الحج، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ.

مسائل العلم. وهذا غـير صحيح. بل اختر المشايخ ذوي الاتـقان، وأيضاً نضيف إلى الاتقان وصفاً آخـر وهو الأمانة لأن الاتقان قوة، والقوة لابد فـيها من أمانة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦). ربما يكون العالم عنده اتقان، وعنده سعـة علم، وعنده قدرة على التفـريع، وعلى التقـسيم، وعلى كل شيء، لكن ليس عنده أمـانة، فربما أضلك من حيث لا تشـعر . «**لا بالتحصيل الذاتي وحده**» يعني لا تأخذ العلم بالتحصـيل الذاتي، أن تقرأ الكتب فقط دون أن يكون لك شيخاً معتمداً، ولهذا قيل: «**من كان دليله كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه**». أما من أخذ عن عالم، عن شيخ فإنه يستفيد فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى ـ قصر المدة .

الفائدة الثانية ـ قلة التكلف .

وفيه فائدة ثالثة ـ هي أن ذلك أحرى بالصواب، لأن هذا الشـيخ عالم متعلم مرجع، فيـعطيك الشيء ناضجاً، وإن كان عنده شيء من الأمـانة فإنه يمرنه على المراجعة والمطالعـة . أما من اعتمد على الكتب فإنه لا بد أن يكـرس جهوده ليلاً ونهـاراً، ثم إذا طالع الكتب التي يقـارن فيـها بين أقـوال العلماء، فـسيـقت أدلة هؤلاء، وأدلة هؤلاء . من يدله على أن ذلك أصوب ؟ يبقى متحيراً . ولهذا نرى أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ عندما يناقش قولين لأهل العلم سواء في «**زاد المعاد**» أو في «**إعـلام الموقعـين**» إذا سـاق أدلة هذا القول وعللـه . تقول : هذا هو القـول الصواب . ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال، ثم ينقض ويأتي بالقول المناقض ويأتي بالأدلة وعلله . فتقول هذا هو القول الصواب .

«**آخذاً الطلب بالتدرج**» ثم استدل بالآيات .

★ ★ ★

فأمامك أمور لابد من مراعاتها فى كل فن تطلبه :

١ـ حفظ مختصر فيه .

٢ـ ضبطه علي شيخ متقن .

٣ـ عدم الاشتغال بالمطولات، وتفاريق المصنفات قبل الضبط والاتقان لأصله .

٤ـ لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

٥ـ اقتناص الفوائد، والضوابط العلمية .

٦ـ جمع النفس للطلب، والترقى فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل، والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة .

«**أولاً ـ حفظ مختصر فيه**» فمثلاً إذا كنت تطلب النحو فاحفظ مختصراً فيه، فإن كنت مبتدءاً فلا أرى أحسن من متن الأجرومية، لأنه واضح جامع وفيه بركة ثم متن الألفية، ألفية ابن مالك . لأنها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه.

أحصى من الكافية الخلاصة كما اقتضى فناً بلا خصاصة

فى الفقه : احفظ «زاد المستقنع» لأن هذا الكتاب مخدوم فى الشروح والحواشى والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه، إلا إنه أحسن منها من وجه آخر من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنه مخدوم بالشروح والحواشى وغير ذلك .

فى الحديث : متن عمدة الأحكام وإن ترقيت فبلوغ المرام . وإذا كنت تقول إما هذا أو هذا فبلوغ المرام أحسن لأنه أكثر، ولأن الحافظ ابن حجر رحمه الله يبين درجة الحديث، وهذا مفقود بالنسبة لعمدة الأحكام، وإن كان درجة الحديث فيها معروفة لأنه لم يضع فى هذا الكتاب إلا ما اتفق عليه الشيخان. البخاري ومسلم .

فى التوحيد : من أحسن ما قرأنا كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وقد يسر الله فى الآونة الأخيرة من خرج أحاديثه، وبين ما فى بعضها من ضعف، والحق أحق أن يتبع .

فى الأسماء والصفات : من أحسن ما قرأت **«العقيدة الواسطية»** لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهى كتاب جامع مبارك مفيد . وهلم جرا . . . خذ من كل فن تريد طلبه كتاباً مختصراً فيه واحفظه .

«**ثانياً - ضبطه على شيخ متقن**» ولو قال : ضبطه وشرحه لكان أولى، لأن المقصود ضبطه وتحقيق ألفاظه، وما كان زائداً أو ناقصاً، وكذلك الشرح . استشرح هذا المتن على شيخ متقن، وكما قلنا فيما سبق أنه يجب أن يضاف إلى الاتقان صفة أخرى وهى الأمانة .

«**ثالثاً - عدم الاشتغال بالمطولات**» وهذه مهمة جداً لطالب العلم، أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ المختصرات بذهنه ثم بعد ذلك يفيض إلى المطولات لكن بعض الطلبة قد يغرب، فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلساً قال : قال صاحب **«المغنى»**، قال صاحب **«المجموع»**، قال صاحب **«الإنصاف»**، قال صاحب **«الحاوى»** يظهر أنه واسع الاطلاع وهذا خطأ . نحن نقول ابدأ بالمختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم فى ذهنك، ثم إذا منّ الله عليك فاشتغل بالمطولات .

«**رابعاً - لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب فهذا من باب الضجر**» التنقل من مختصر إلى آخر، أو كتاب فوق المختصر إلى آخر هذه آفة عظيمة، تقطع على الطالب طلبه وتضيع على الطالب أوقاته، كل يوم له كتاب، بل كل ساعة له كتاب . وهذا خطأ، إذا عزمت أن يكون قرارك الكتاب الفلانى فاستمر، لا تقل أقرأ فصلاً فى هذا الكتاب ثم تقول أنتقل إلى آخر، فإن هذا مضيعة الوقت .

أما إذا كان هناك موجب، كأن لم تجد أحداً يدرسك فى هذا المختصر ورأيت شيخاً موثوقاً باتقانه وأمانته يدرس مختصراً آخر فهذا موجب لا حرج عليك أن تنتقل من هذا إلى هذا .

«خامساً - اقتناص الفوائد والضوابط العلمية» وهذا أيضاً من أهم ما يكون الفوائد التى لا تكاد تطرق على الذهن، أو التى يندر ذكرها والتعرض لها، أو التى تكون مستجدة تحتاج إلى بيان حكم فيها، هذه اقتنصها قيدها، لا تقل هذا أمر معلوم عندى ولا حاجة إلى أن أقيدها، إن شاء الله أنا لا أنساها. فإنك سرعان ما تنساها.

أما الضوابط فناهيك بها، فأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط ما يذكره الفقهاء تعليلاً للأحكام فإن كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط، لأنها تنبنى عليها الأحكام، فهذه أيضاً احتفظ بها. لأن كل علة ينبنى عليها مسائل كثيرة، إذا أن العلة ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة .

مثلاً إذا قال: إذا شك فى طهارة الماء أو نجاسته، فإنه يبنى على اليقين، هذا على كل حال تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً أيضاً يعلل، لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك فى نجاسة طاهر فهو طاهر، أو فى طهارة نجس فهو نجس لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان.

ولهذا لو أن الإنسان كلما مرَّ عليه مثل هذه التعليلات ضبطها وحررها ثم حاول فى المستقبل أن يبنى عليها مسائل جزئية لكان فى هذا فائدة كبيرة له ولغيره.

«سادساً - جمع النفس للطلب والترقى فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة» هذا أيضاً مهم، أن الإنسان يجمع نفسه للطلب فلا يشتتها يميناً ويساراً يوماً يطلب العلم، يوماً يفكر أن يفتح مكتبة، يوم ثانى يقول: لا . . أروح إلى مبيع الخضار. هذا ما هو صحيح.

جمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك فاجمع نفسك عليك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقى فيه، لا تبقى ساكناً فكر فيما

وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك، ولا تستح أن تقول يا فلان ساعدنى على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب الفلانية . الحياء لا ينال العلم به أحد .

قوله : «**التحرق للتحصيل** .. » معناه أن الإنسان يكون معه شغف كبير تحترق نفسه لينال فوق المنزلة التى هو فيها حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة.

★ ★ ★

وكان من رأى ابن العربى المالكى [1] . أن لا يخلط الطالب فى التعليم بين علمين، وأن يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن . لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تساعد على هذا، وأن المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه ؛ لأن الولد مادام فى الحجر؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ ؛ صعب جبره .

أما الخلط فى التعليم بين علمين فأكثر ؛ فهذا يختلف باختلاف المتعلمين فى الفهم والنشاط . وكان من أهل العلم من يدرس الفقه الحنبلى فى «زاد المستقنع» للمبتدئين، و «المقنع» لمن بعدهم للخلاف المذهبى، ثم «المغنى» للخلاف العالى، ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس فى درس الثانية ... وهكذا ؛ دفعاً للتشويش .

قوله: «**تقدم تعليم العربية**» وذلك لأنه لا يمكن أن يعرف القرآن إلا إذا تعلم العربية، ولكن من كان عربياً فليس من المسلم بأن نقول : تعلم العربية بمعنى توسع فيها .

«**والشعروالحساب**» كيف نقدم الشعر والحساب على القرآن . هذا ليس بمسلم.

قوله: «**لا يجمع بين علمين**» الناس يختلفون فى الفهم والاستعداد، فقد يكون سهلاً على المرء أن يجمع بين علمين . وقد يكون من الصعب أن يجمع بين علمين، وكل إنسان طبيب نفسه، فإذا رأى من نفسه قدرة وقوة فلا بأس أن يجمع

---

(١) «تراجم الرجال» للخضر حسين : (ص١٠٥) و «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٣/ ٥٤-٥٥) مهم. (ز).

بين علمين ولكن ليحذر النشاط أو نشاط البـدء فإن نشاط البدء بمنزلة السفر، لأن بعض الناس أول ما يبدأ يرى نفسـه نشيطاً فيريد أن يلتهم العلوم جمـيعاً، فإذا به ينكص على الوراء لأنه كـبر اللقمـة ومن كبر اللقـمة فـلا بد أن يغص، حتى إذا رأيت من نفسك قدرة فلا تكلفها ما لا تطيق اتزن حتى تستمر .

قوله: «وكان من أهل العلم ...» صحيـح من أهل العلم من يفعل ذلك إذا كان يدرس فى الفقه الحنبلى يدرس «زاد المستـقنع»، لأن «زاد المستقنع» اختصار المقنع ثم ينتـقل إلى تدريس المقنع، لأن المقنع فيـه ذكر الروايتين، والوجـهين، والقولين فى المذهب بدون تعليل ولا دليل . وبعضـهم ينتقل من بعد المقنع إلى الكافى قبل المغنى، لأن الكافى يذكر فيه الخلاف المذهبى مع الأدلة، وبهذا يمتاز على المقنع، فهو يذكر الخلاف والأدلة سواء كـانت الأدلة سمعية من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القـياس الصحيح . أو عقليـة . ثم بعد ذلك المغنى، لأن الخلاف فى المغنى ليـس مع أصحاب الإمـام أحمد، بل مع أصـحاب المذاهب، فيرتقى من هذا إلى هذا .

الموفق -رحمـه الله- سلك هذا التدرج، لـكن له كتاب قـبل المقنع، سلم للمقنع وهو «عـمدة الفقه» كـتاب مختـصر أقل بكثير من «زاد المسـتقنع» من حيث المسـائل، لكنها تشـتمل على بعض الدلائل، يعنى ليـست جافـة كزاد المستقنع، لكن فيها أدلة.

فالحاصل: أن ينبغى أن المعلم يرتقى بالطلبة درجة درجة حتى يتقنوا ما تعلموه.

قـال: «ولا يسـمح للطبـقـة الأولى أن تجـلس فى درس الثـانيـة وهكذا دفـعـاً للتشويش»، لكن فى النقطة الأخيرة لا أستطيع، ولهذا أجمع بين الصغير والكبير فيما ندرسه من الكتب ونقول هذا الصغير الآن يذهب، ثم يبـدأ يمشى شيئاً فشيئاً

حتى تقله رجلاه، وسبب ذلك أن الطلاب عندنا يتواردون شيئاً فشيئاً ولو راعينا الوافدين لأهملنا حق السابقين .

لو قلنا مثلاً: لو جاء أناس جدد رجعنا مثلاً من «زاد المستقنع» إلى باب الطهارة، ووصلنا مثلاً إلى كتاب الصلاة. جاء العام الثانى وفد ماذا نفعل؟ رجعنا لباب الطهارة، كان هذا ظلم للسابقين. ومعناه سنبقى دائماً أبداً من أول الكتاب هذا ما يستقيم.

واعلم أن ذكر المختصرات فالمطولات التى يؤسس عليها الطلب والتلقى لدى المشايخ تختلف غالباً من قطر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القطر من اتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره .

هذه الفقرة معناها صحيح . مثلاً : قد يكون الإنسان فى بلد ينتحلون مذهب الشافعى . ستجد العلماء يبنون أصول التدريس على كتب المذهب الشافعى، فى بلد ينتهج فيه أهله مذهب الإمام أحمد تجد العلماء يدرسون كتب مذهب الإمام أحمد . . . وهلم جره.

والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم، وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن، وتوقده .

نعم . وهناك أيضاً أسباب أخرى وهى : قوة الاستعداد للعلم وتلقيه وضعف ذلك، وكذلك كثرة المشاغل وقلتها . المهم أن الاختلاف وارد فى كل شىء، لكن ما ذكره أولا مبنى على الغالب .

وقد كان الطلب فى قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ فى دروس المساجد : للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين :

ففى التوحيد: «ثلاثة الأصول وادلتها»، و «القواعد الأربع»، ثم «كشف الشبهات» ثم «كتاب التوحيد»، أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى . هذا فى توحيد العبادة .

وفى توحيد الأسماء والصفات : «العقيدة الواسطية» ثم «الحموية» و «التدمرية» ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فـ «الطحاوية» مع «شرحها» وفى النحو : «الأجرومية . ثم «ملحة الإعراب» للحريرى، ثم «قطر الندى» لابن هشام، و «ألفية ابن مالك» مع «شرحها» لابن عقيل .

وفى الحديث : فى «الأربعين للنووى» -رحمه الله تعالى -، ثم «عمدة الأحكام» (للمقدسى) ثم «بلوغ المرام» لابن حجر - رحمه الله تعالى -، و «المنتقى» للمجد ابن تيمية - رحمهم الله تعالى - فالدخول فى قراءة الأمهات الست وغيرها .

يقول رحمه الله وأطال فى طاعته : ففى التوحيد: ثلاثة الأصول وأدلتها . . . هذا فى توحيد العبادة . يعنى يبدأ بالأصغر فالأصغر . ثلاثة الأصول تدور حول: من ربك، وما دينك، ومن نبيك ؟ .

« **القواعد الأربع** » تدور على قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ١-٢). الآية «**كشف الشبهات**» شبهات بعض أهل الشرك التى أوردوها وأجاب عنها الشيخ -رحمه الله- بما تيسر .

وفى توحيد الأسماء والصفات «**العقيدة الواسطية**» التى ألفها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهى من أخصب كتب العقيدة، وأحسن كتب العقيدة، وسميت بالواسطية نسبة إلى واسط، لأن بعض قضاتها قدم إلى الشيخ -رحمه الله- وطلب منه أن يكتب ملخص فى عقيدة السلف، فكتب هذه العقيدة المباركة .

قال : ثم «**الحموية**» و «**التدمرية**» وهما رسالتان أوسع من العقيدة الواسطية لكنها أجمع منهما لأنه ذكر فيها الأسماء، والصفات، والكلام على الإيمان، واليوم الآخر وطريقة أهل السنة والجماعة ومنهجهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى أجمع من التدمرية والحموية، لكن التدمرية والحموية تمتازان بأنهما أوسع منها فى باب الصفات .

يقول : «**فالطحاوية مع شرحها**»، وهى معروفة وصـارت شائعة بين الناس الآن حيث قررت فى الجامعة الإسلامية .

قال : «**وفى النحو الأجرومية**» كتاب صغير فى النحو، لكنه مبارك جامع مقسم سهل، وأنا أنصح به كل مبتدئ بالنحو أن يقرأه، وكذلك «**ملحة الإعراب للحريرى**»، ثم قطر الندى لابن هشام وألفية ابن مـالك مع شرحها «**لابن عقيل**». . . هكذا قال الشيخ بكر، لكنى أقول : الأجرومية ثم الألفية، أما أن نحشو أذهاننا بكتب تعتبر كالتكرار لأولها، فلا حاجة .

«**ملحة الإعراب**» هذه نظم فيه بيت مشهور بين الناس وهو:

إن تجد عـيـبـاً فـسـد الخلل جـلا من لا عـيـب فيـه وعـلا

كثير من الكتّاب الذين يكتبون الكتب العلمية إذا انتهى من كـتابه قال: إن تجد عيباً . . . أنا أختار الأجرومية ثم ألفية ابن مالك، احفظها ثم استشرحها من رجل عالم بالنحو وفيها الخير الكثير .

وفى الحديث «**الأربعين**» للنووى[1]، هذا كتـاب طيب، فيه آداب ومنهج جـيد وقواعد مفيدة جداً، فى حديث واحد يبنى المرء حياته عليه . «**من حسن إسلام المرء تركه مـا لا يعنيه**»[2]. هذه القاعدة إذا جـعلتها هى الطريق التى تمشى عليهـا وتسير لكانت كـافيـة، وفى النطق : «**من كـان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فليقـل خيـراً أو ليصمت**»[3] فهى من أحـسن ما ألف، ثم «**عمدة الأحكام**» للمقدسى، ثم «**بلوغ المرام**»، وأرى أن يقتـصر على بلوغ المرام لأن عمـدة الأحكام داخلة فى بلوغ المرام، أكثر أحاديثها موجودة فى بلوغ المرام، وبلوغ المرام أوسع منها وأشد تحريراً لكن:

(١) انظر «الأربعين النووية» مع شرحها للشيخ ابن عثيمين طبعة دار العقيدة.

(٢) صحيح: أخرجه التـرمذى (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والقضـاعى فى «الشهاب» (١٩٢) وأبو الشيـخ فى «الأمثال» (٥٤)، وصـححه ابـن حبان (٢٢٩) وقـال شعيـب الأرناؤوط حسن لغيره، وصححه الألبانى -راجع تخريج شرح الأربعين للأستاذ أحمد أبو المجد.

(٣) **سبق تخريجه.**

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

إذا قال: أنا ما أستطيع أنا أحفظ بلوغ المرام لاسيما أنه يجيء صححه فلان وضعفه فلان وهذه الحيرة قلنا له: إذا لم تستطع شيئا فدعه، عندك عمدة الأحكام أى ساعة تريد أن تستدل خذ حديثاً منها ولا حاجة أن تبحث عن صحته لأنها أحاديث منتخبة من البخارى ومسلم. و«**المنتقى**» للمجد ابن تيمية، المنتقى أكبر من بلوغ المرام لكنه أضعف من حيث بيان مرتبة الحديث.

قال: «فالدخول فى الأمهات الست وغيرها» ما هى الأمهات الست؟ البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه. وسميت أمهات لأنها مرجع الأحاديث.

فإذا قال بعض العلماء: إذا رأيت حديثاً فى غير الأمهات فلا تحكم عليه حتى تحرره تخريجاً، لأن هذه الأمهات التى اشتهرت بين المسلمين وأخذوها وتلقوها بالقبول، وإن كان فيها ضعف وربما موضوع أيضاً لكن اشتهرت، واعتبرت بين المسلمين.

وفي المصطلح: «نخبة الفكر» لابن حجر، ثم «ألفية العراقي» ـ رحمه الله تعالى.

نخبة الفكر أظنها ثلاث صفحات تقريباً، لكنها نخبة . يعنى الإنسان إذا فهمها تماماً وأتقنها، تغنى عن كتب كثيرة فى المصطلح لأنها مضبوطة تماماً ولها طريقة غريبة فى تأليفها وهى السرعة والتقسيم، أكثر المؤلفات يأتى الكلام مرسلاً يعنى سلسلاً.

لكن هو ـ رحمه الله ـ اخترع هذه الطريقة : الخبر إما أن يكون له طرق محصورة بعدد أو غير محصورة، والمحصورة بعدد كذا وكذا، ثم يذكر فتجد أن

الإنسان إذا قرأها يجد نشاطاً لأنها مبنية على إثارة العقل، وأنا أشير عليكم أيها الطلبة أن تحفظوها لأنها خلاصة وزبدة . . نعم .

ثم «**ألفية العراقي**» مطولة، لكني أرى أن الإنسان يقتصر على فهمها وأنه لا حاجة إلى حفظها، لأنه قد يكون هناك متون أهم منها.

وفي الفقه مثلاً : «آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم «زاد المستقنع» للحجاوي - رحمه الله تعالى - أو «عمدة الفقه» ثم «المقنع» للخلاف المذهبي، فـ «المغني» للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى.

يعني بذلك: «عمدة الفقه»، «المقنع»، «المغني». لكن غيره ذكر أربعة وهي : «العمدة» ثم «المقنع» ثم «الكافي» ثم المغني .

كفى الناس بالكافي واقنع طالبا بمقنع فقه عن كتاب مطول

وأغنى بمغني الفقه من كان باحثا وعمدته من يعتمدها يحصل

وفي أصول الفقه : «الورقات» للجويني - رحمه الله تعالى - ثم «روضة الناظر» لابن قدامة - رحمه الله تعالى .

قفزة جيدة، الورقات من ورقة صغيرة إلى «روضة الناظر»، الفرق بينهما كبير لكن هناك كتب مختصرة جيدة في أصول الفقه يمكن أن يعتمد عليها، وربما تغنيه أيضاً عن «روضة الناظر»، و«أصول الفقه» هي عبارة عن قواعد وضوابط يتوصل الإنسان بها إلى معرفة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

وفي الفرائض : «الرحبية» ثم مع شروحها، و «الفوائد الجلية» .

أما «الرحبية» فهي للرحبي، وشروحها فهي متعددة، وأما «الفوائد الجلية» فهي للشيخ عبد العزيز بن باز. لكن أرى أن «البرهانية» أحسن من

«الرحبية»، و«البرهانية» أجمع من الرحبية من وجه، وأوسع معلومات من وجه آخر، ففى مقدمتها ذكر الحقوق المترتبة فى التركة أو المرتبة فى التركة المتعلقة بالإنسان ذكرها ولم تذكر فى «الرحبية»، وهى أخصب من «الرحبية» وأجمع. أتى بالثلثين، الرحبى ذكر أربعة أبيات، والبرهانى ذكر بيتاً واحداً فقال:

والثلثان لاثنتين استوتا فصارا ثمن له النصف أكبر

ولها شرح لابن سلوم مطول ومختصر مفيد جداً، فلذلك فأنا أرى أن البرهانية أحسن من الرحبية للوجوه التى ذكرتها.

وفى التفسير: «تفسير ابن كثير» - رحمه الله تعالى.

وهو جيد بالنسبة للتفسير بالأثر، لكنه قليل الفائدة بالنسبة لأوجه الإعراب والبلاغة، وخير ما قرأت من أوجه الإعراب والبلاغة «الكشاف» للزمخشرى. وكل من بعده فهم عيال عليه، أحياناً تجد عبارات الزمخشرى منقولة نقلاً، لكن تفسير الزمخشرى فيه بلايا من جهة العقيدة لأنه معتزلى.

وفى أصول التفسير: «المقدمة» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى.

معروف المقدمة فى التفسير، وهى كتاب مختصر جيد مفيد.

وفى السيرة النبوية: «مختصرها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و«أصلها» لابن هشام، وفى «زاد المعاد» لابن القيم - رحمه الله تعالى.

أما «السيرة النبوية» المختصر والأصل مجرد تاريخ، أما «زاد المعاد» فإنه تاريخ وفقه للسيرة، وقد يكون فى التوحيد، وقد يكون فى الأمور العملية.

وفى لسان العرب: العناية بأشعارها، كـ «المعلقات السبع» والقراءة فى «القاموس» للفيروز آبادى - رحمه الله تعالى.

المعلقات السبع: قصائد من أجمع القصائد، وأحسنها وأروعها، اختارتها قريش لكي تعلق في الكعبة ولهذا تسمى المعلقات. ولما ذكر ابن كثير رحمه الله «اللامية» لأبي طالب قال: هذه اللامية يحق أن تكون مع المعلقات لأنها أقوى منها، وأعظم، وفيها يقول أبو طالب.

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل

يعني: الرسول ﷺ . وهذه الشهادة للرسول ﷺ بأنه صادق، ولكن هذه الشهادة من أبي طالب لن تستلزم القبول والإذعان، ولذلك لم تنفع وخذل عند موته، فكان النبي ﷺ يقول له: «**قل لا إله إلا الله**»[1] ولكن لم يقلها. نسأل الله العافية .

ويقول: «**القراءة في القاموس**» لكن هل تقرأ في القاموس أم تراجع القاموس؟ الثاني، لأنك مهما قرأت لا تستفيد الفائدة المرجوة .

وهكذا من مراحل الطلب في الفنون . وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولات، مثل «تاريخ ابن جرير»، وابن كثير، وتفسيريهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم، لا سيما محرراتهم في الاعتقاد .

يتحدث الشيخ بكر عن طلب العلم في قطره ـ ليس عن الطلب عموماً ـ ولهذه الكتب التي يعنيها هي في قطرنا، وقد يكون ما يساويها ويشابهها في الأقطار الأخرى على هذا النمط.

أما قوله : «**يركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى**» فهذا صحيح، وغالب المتأخرين يركزون عليهما، وكان شيخنا عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ يحثنا على قراءتهما . أي قراءة كتب شيخ الإسلام

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٣٦٠) الجنائز، مسلم (٢٤) الإيمان، عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لأن فيهما من التحقيق، والتحرير، والتقعيد ما لا يوجد في غيرهما، ونشعر أن كلامهما ينبع من القلب، ولهذا يؤثر في زيادة الإيمان، وأما تمثيله أيضاً لتاريخ ابن جرير وابن كثير فهذا أيضاً عن المراجعة فلا بأس، وأما أن يجعله الإنسان قراءة يقرؤها فهذا طويل وربما يقطع عليه وقتاً كثيراً .

وقوله : «**كتب أئمة الدعوة**» المراد بها أيام الدعوة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده ومن تتلمذ عليه.

وهكذا كانت الأوقات عامرة في الطلب، ومجالس العلم، فبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تعقد الدروس، وكانوا في أدب جم، وتقدير بعزة نفس من الطرفين على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمع غفير، والحمد لله رب العالمين . فهل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة، لا على المذكرات، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم .

قوله: - وفقه الله - «**الاعتماد على هذه المتون الأصيلة لا على هذه المذكرات**» هذا صحيح لأن المذكرات قد يكون واضعها ممن لا يعرف من هذا إلا معرفة سطحية، فتجده يلتم كلمات من هذا وكلمات من هذا، ولا يكون كلاماً محرراً متناسقاً لكن هذه الكتب الأصيلة القديمة محررة ومتناسقة، مخدومة، وكذلك أيضاً الحفظ أي علم بلا حفظ يزول سريعاً وكان زمان يعيبون علينا، ويقولون لا تتعب نفسك في حفظ المتن عليك بالفهم، الفهم الفهم. لكن وجدنا أننا ضائعون إذا لم يكن عندنا حفظ، وما نفعنا الله إلا بما حفظنا من المتون، ولولا أن الله نفعنا بذلك لضاع علينا علم عظيم.

فلا نغتر بمن يقول: الفهم. ولهذا هؤلاء الدعاة القائلون بالفهم لو سألتهم أو ناقشتهم لوجدتهم ضحلاء، ليس عندهم علم **﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾** (النور: ٣٩).

وفى خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر، سير على منهاج السلف ؟ والله المستعان.

ينبغى للعالم والمتعلم أن يكون التعليم والتعلم منهما خالياً من هذه العيوب، بل ينبغى أن يكون صافياً بحيث يكون المعلم يريد بذلك إيصاله إلى الطلاب دون الاستعلاء عليهم، أو إظهار علمه عليهم أو ما أشبه ذلك، ويكون التلميذ كذلك واثقاً مطمئناً إلى ما يقول معلمه لأنه إذا كان يتعلم منه يقول إنى أتعلم الآن، ولكن إذا خرجت أبحث عن عالم آخر. فكأنه لم يأخذ عن هذا العالم أخذ واثق، أو مستذكر، وهذا يضيعه بلا شك. لكنه إذا أخذ عن العالم أخذ مستفيد واثق، بعد ذلك إذا كبر ترعرع فى العلم وصار عنده ملكة، فلا مانع أن يخالف شيخه فيما يرى أن الصواب فى خلافه لكن مادام فى زمن الطلب فليتكأ على من يتعلم على يديه، وليأخذ كلامه بثقة واطمئنان حتى يرسخ. أما أن يأخذ ويقول إذا خرجت أبحث مع ناس أو مع طلاب علم . . هذا ما يصلح أبداً ولا يستقيم للطالب طلباً على هذا الوجه.

وقال الحافظ عثمان بن خرزاذ (م سنة ٢٨٢ هـ) رحمه الله تعالى [1] : «يحتاج صاحب الحديث إلى خمس فإن عدمت واحدة فهى نقص يحتاج إلى عقل جيد، ودين وضبط وحذاقة بالصناعة مع أمانة تُعرف منه. قلت: أى الذهبى: «الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل فى الحذق، فالذى يحتاج إليه الحافظ أن يكون : تقياً، ذكياً، نحوياً، لغوياً، زكياً، حيياً، سلفياً، يكفيه أن يكتب بيديه مئتى مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مئة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات، بنية خالصة، وتواضع، وإلا فلا يتعن» اهـ.

شروط ثقيلة من الذهبى ـ رحمه الله ـ أقول: لو بقينا على كلام الحافظ عثمان ابن خرزاذ لكان أحسن، يعنى أهون علينا . الأمانة جزء من الدين فتدخل فى قوله: «ودين» والضبط يدخل فى الحفظ، لأن حذق الشىء ـ بمعنى فهمه وإدراكه جيداً. ثم يبقى من الخمس ثلاث، لكن دخل علينا أكثر من الثلاث : يحتاج أن يكون تقياً، وهذا صحيح، والتقوى رأس كل عبادة، وهى الأصل. والتقوى هى فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، لأنه بذلك تكون الوقاية من عذاب الله.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٨٠). (ز)

«**ذكياً**» يعنى ليس غبياً، بأن يكون عنده فطنة، وكم من إنسان حافظ وليس بذكى، وكان رجل ممن سبق حافظاً جداً، سريع الحفظ، قليل النسيان، حافظ الفروع لابن مفلح ثلاث مجلدات كبار، وهو حاوى لمسائل الوفاق والخلاف، وكان يحفظه كما يحفظ الفاتحة، لكن لا يفهم منه شيئاً، لأنه غير ذكى . فكانوا يلقبونه بحمار الفروع، كقوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: ٥). لكن لا ينتفع بها. «**نحويا، لغوياً**» النحو هو الذى يعنى بالإعراب والبناء، وهذا يختص بأواخر الكلمات، اللغوى يدخل فيه من علم الصرف وعلم فقه اللغة، وعلى هذا لابد من مراجعة كتب النحو، وكتب الصرف، وكتب اللغة كالقاموس ولسان العرب وغير ذلك.

«**زكياً**» الزكى والتقى معناهما متقارب، فإن ذكرا فينبغى أن يحمل التقى على من ترك المحرمات، والزكى على من قام بالمأمورات، ويعجبنى أن أذكر لكم كلمة قالها شيخ الإسلام -رحمه الله- فى أهل الكلام قال : «إنهم أتوا فُهُوماً وما أتوا علوماً» يعنى عندهم فهم لكن ما عندهم علم. «وأُتوا ذكاء وما أتوا زكاء». أذكياء لكن ليسوا أزكياء.

«**حيياً**» لكن بشرط لا يمنعه حياؤه من طلب العلم، ولهذا قال بعضهم : لا ينال العلم حيي ولا مستكبر . يكون حيياً، ولكن لا يمنعه ذلك من طلب الحق . أم سلمة قالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق : هل على المرأة الغسل إذا احتلمت ؟ قال : «**نعم إذا هى رأت الماء**»[١] .

«**سلفياً**»: يعني يأخذ بطريق السلف فى العقيدة، والآداب، والعمل، والمنهج، وفى كل شيء، لأن السلف هم صدر هذه الأمة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٢] .

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٦٠٩١) الأدب، والنسائى (١٩٧) الطهارة، وأحمد (٢٦٠٣٩) عن أم سلمة رضي الله عنها أن أم سليم سألت النبى ﷺ : «يا رسول الله ....» الحديث.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٢٦٥٢) الشهادات، مسلم (٢٥٣٣) فضائل الصحابة والترمذى (٣٨٥٩) المناقب، وابن ماجه (٢٣٦٢)، عن عبد الله بن مسعود.

«**يكفيه أن يكتب بيديه مئتى مجلد**» ونعزى أنفسنا أن المجلدات عندهم قليلة قد يكون ٥٠ صفحة، وقد يكون مجلد، فإن كان هذا هو المراد فلعل الله أن يعيننا عليه، وإن كان مراده المجلد ٦٠٠ صفحة، فالواحد منا لو يبقى ليل نهار ما أظنه يكتب مائتى مجلد . مائتى مجلد × ٦٠٠ = ١٢٠ ألف!! «ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد» أين من يقدر على تحصيل ٥٠٠ مجلد ؟! على كل حال هم يقولون على قدر استطاعتهم، ونحن نقول الله المستعان !! .

«**وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات**» هذا صحيح فإن طالب العلم يجب ألا يفتر، بأنه إذا عود نفسه الفتور والكسل اعتاد ذلك. ومن طلب العلا سهر الليالى. ويقال : أعط العلم كلك يعطك بعضه، وأعطه بعضك يفتك كله . العلم يحتاج إلى تعب وعناء، لكنى أقول لكم : إن الإنسان إذا ترعرع فى العلم سهل عليه أن يعرف أشياء قد لا تكون فى بطون الكتب لاسيما مع النية الخالصة وإرادة الحق والحكم بشرع الله، فإن الله تعالى يهبه علماً لا يطرأ على باله ولا يجده فى بطون الكتب، وكثيراً ما يبحث مسألة من المسائل فى الكتب فى مظانها ثم لا يجدها، ثم إذا فكرنا فى آية من آيات الله أو فى حديث من سنة رسول الله ﷺ وجدنا الحل، لأن بركة القرآن والسنة لا يضاهيها أى بركة.

يقول: «**بنية خالصة وتواضع**» نعم، هذا من أهم ما يكون . التواضع، أسأل الله أن يرزقنى وإياكم التواضع للحق وللخلق، من أهم شىء لطالب العلم التواضع، لأن التواضع من الأخلاق العظيمة التى قال الله فيها لرسول الله ﷺ : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم:٤). فأعظم الناس تواضعاً رسول الله ﷺ .

قال: «**وإلا فلا يتعن**» فلا يتعب نفسه إذا لم يتصف بهذا، ولكن نقول عفا الله عنك يا ذهبى ارجع إلى قول الله تعالى : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (التغابن:١٦). ولنعامل الناس بما يمكن أن يقوم به، وإلا فلا ننفر الناس.

لو قلنا للطالب يكفيك بأن تكتب ٢٠٠ مجلد، ويكفيك بأن يكون عندك من الدواوين ٥٠٠ مجلد، والأكمل ١٠٠٠ مجلد، لو قلنا للطالب هكذا لثقل عليه

الطلب، لكن نقول : يكفيك أن تكتب بيديك ما تقدر عليه بشرط أن يكون عندك حرص ونشاط فى طلب العلم.

★ ★ ★

١٧ - تلقى العلم عن الأشياخ :

الأصل فى الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقى عن الأساتيذ، والمشافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المعلم، أما الثانى عن الكتاب، فهو جماد ؛ فأنى له اتصال النسب ؟

هذا أيضاً مما ينبغى على طالب العلم مراعاته، أن يتلقى العلم عن الأشياخ لأنه يستفيد بذلك فائدتين، بل أكثر :

الفائدة الأولى- اختصار الطريق، بدل ما يذهب يقلب فى بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه ؟ وما هو القول الضعيف ؟ وما هو سبب ضعفه ؟هذه لقمة سائغة . . . المعلم يقول : اختلف العلماء فى كذا على قولين، أو ثلاثة، أو أكثر، والراجح كذا، والدليل كذا . وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم .

الفائدة الثانية- السرعة، يعنى سرعة الإدراك، لأن الإنسان إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر ممن ذهب يقرأ فى الكتب، لأنه إذا ذهب يقرأ يردد العبارة أربع أو خمس مرات، وربما فهم أيضاً على وجه خطأ غير صحيح .

الفائدة الثالثة- الرابطة بين طالب العلم ومعلمه، فيكون ارتباط بين أهل العلم من الصغر إلى الكبر .

فهذه من فوائد تلقى العلم على الأشياخ، لكن سبق أن قلنا إنه من الواجب أن يختار الإنسان من العلماء من هو كفء أمين قوى، يعنى عنده علم وإدراك، ليس علمه سطحياً، وعنده أمانة، وكذلك أيضاً إذا كان عنده عبادة فإن الطالب يقتدى بمعلمه.

وقد قيل: «من دخل فى العلم وحده، خرج وحده»[1] أى : من دخل فى طلب العلم بلا شيخ، خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق.

هذا أيضاً صحيح وقد قيل: إنه من كان دليله كتاباً خطؤه أكثر من صوابه. هذا هو الغالب بلا شك، لكن قد يندر من الناس من يكرس جهوده تكريساً صحيحاً ولا سيما إن لم يكن عنده من يتلقى العلم عنده، فيعتمد اعتماداً كاملاً على الله عز وجل ويدأب ليل نهار يحصل من العلم ما يحصل إن لم يكن له شيخ.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم، إلا من شذ مثل : على بن رضوان المصرى الطبيب (م سنة ٤٥٣ هـ)، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم . قال الحافظ الذهبى - رحمه الله تعالى - فى ترجمته له[2] : «ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً فى تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط» اهـ.

وقد بسط الصفدى فى «الوافى» الرد عليه، وعنه الزبيدى فى «شرح الإحياء» عن عدد من العلماء معللين له بعدة علل، منها ما قاله ابن بطلان فى الرد عليه[3]: «السادسة : يوجد فى الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهى معدومة عند المعلم، وهى التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع

---

(١) «الجواهر والدرر» للسخاوى: (١/ ٥٨) . (ز).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (١٨/ ١٠٥). وانظر: «شرح الإحياء»: (١/ ٦٦) و«بغية الوعاة»: (١/ ١٣١-٢٨٦) و«شذرات الذهب»: (٥/ ١١)، «الغنية» للقاضى: (ص١٦-١٧). (ز).

(٣) «شرح الإحياء»: (١/ ٦٦) (ز).

المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة، كالنورس، فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه ...

قال الصفدي : ولهذا قال العلماء : لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي، يعني: لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف ...» اهـ .

والدليل المادي القائم على بطلان نظرة ابن رضوان : أنك ترى آلاف التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومر الأعصار وتنوع المعارف، مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ، ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في «العُزاب» من «الإسفار» لراقمه . وكان أبو حيان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥ هـ) [(١)] إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول : «أين شيوخه؟» .

وقال الوليد: [(٢)] كان الأوزاعي يقول : كان هذا العلم كريماً يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله .

وروى مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي . ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نقط ولا شكل، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم بخلاف الرواية من كتاب محرر» اهـ .

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا؛ كما في «المقدمة» [(٣)] له . ولبعضهم:

---

(١) مقدمة التحقيق لكتاب «الغنية» للقاضي عياض: (ص ١٦-١٧) (ز).
(٢) «السير» (٧/ ١١٤) (ز).
(٣) «السير» (٤/ ١٢٤٥) (ز).

من لم يشافه عالماً بأصوله	**فيقينه في المشكلات ظنون**

وكان أبو حيان كثيراً ما ينشد :

يظن الغمر[1] أن الكتب تهدى	**أخا فهم لإدراك العلوم**
وما يدرى الجهول بأن فيها	**غوامض حيرت عقل الفهيم**
إذا رمت العلوم بغير شيخ	**ضللت عن الصراط المستقيم**
وتلتبس الأمور عليك حتى	**تصير أضل من «توما الحكيم»**

هذا الكلام فيما أشرنا إليه من قبل، أن الأخذ عن العلماء والمشايخ أفضل من الأخذ من الكتب، وبين ما نقله هنا فى الرد على ابن بطلان.

قال: «**يوجد فى الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهى معدومة عند المعلم وهى التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم النقط**». وكان فيما سبق يكتبون بلا نقط فيخطأ الإنسان، فمثلاً ربما تجد كلمة «بزة» : اشتريت بزة بصاع من تمر بدون مقابضة . إذا لم يكن فيها نقطة «بزة» تكون «برة»، ومعلوم أنك إذا اشتريت بر بتمر بدون مقابضة فالبيع غير صحيح، فتختلف الأحكام باختلاف النقط، كذلك «**والغلط بزوغان البصر**» فيرى الكلمة على صورة غير حقيقتها لاسيما إذا كان الكتابْ ليس جيد، كذلك «**قلة الخبرة بالإعراب**» والإعراب له أثر فى تغيير المعنى. وكذلك «**إصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب**» كل هذا يعترى من يأخذ العلم عن الكتاب، كذلك «**مذهب صاحب الكتاب**» ربما يكون مذهبه مذهب معتزلى أو جهمى أو غيره وأنت ما تدرى، وكذلك «**سقم النسخ، رداءة النقل، إدماج القارئ مواضع المقاطع**» يعنى أن الكلمة لا بد أن تقف عليها،

---

(١) الغمر: قليل الخبرة الذى لم يجرب الأمور.

فيأتى القارئ ليقرأ الكتاب فيقرأ ما بعدها فيختلف المعنى، **«وخلط مبادئ التعليم»** بحيث لا يميز بعضها من بعض، بمعنى أن الكاتب ربما لا يكون متقناً للكتاب فيخلط هذا مع هذا، والمبتدئ لا يعرف ذكر ألفاظ مصطلح عليها فى تلك الصناعة وهو لا يدرى مثل كلمة فى المصطلح «معضل، منقطع» إيش معنى منقطع؟ إذا لم يكن عنده علم أشكل عليه هذا الشىء .

يقول: «ألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالنورس» هذه العبارة لابد وأن تُفهم. ما هو النورس؟ طائر؟ والله ما أدرى، لأن الطائر ما يقال ألفاظ يونانية، فلعلها اسم لعلم من العلوم .

يقول: «فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه» .

ثم نقل عن بعض العلماء أنه قال : **«لا تأخذ العلم من صحفى ولا من مصحفى»** يعنى لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف .

وهذا كله فيما إذا كانت الكتب التى يقرأ منها ليست فيها بيان، أما إذا كان فيها بيان، كالموجود الآن من المصاحف، فالأمر واضح .

★ ★ ★

الفصل الثالث

أدب الطالب مع شيخه

١٨ ـ رعاية حرمة الشيخ :

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداء من الكتب بل لابد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب؛ لتأمن من العثار والزلل؛ فعليك إذاً بالتحلى برعاية حرمته ؛ فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح، والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك فى جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب فى تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته فى حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه فى جواب ؛ متجنباً الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملإ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل .

آداب الطالب مع شيخه . وهذه من أهم الآداب لطالب العلم، أن يعتبر شيخه معلماً، مربياً، معلماً يلقى إليه العلم، ومربياً يلقى إليه الآداب، والتلميذ إذا لم يثق بشيخه فى هذين الأمرين فإنه لن يستفيد منه الفائدة المرجوة.

فمثلا، إذا كان عنده شك فى علمه، كيف ينتفع به ؟ إن أى مسألة ترد على لسان الشيخ سوف لا يقبلها حتى يسأل ويبحث، وهذا خطأ فى التقدير من وجه، وخطأ فى التصرف من وجه آخر . أما كونه خطأ فى التقدير : فإن الشيخ المفروض فيه أنه لن يجلس للتعليم إلا وهو يرى أنه أهل، وأن التلميذ لم يأت لهذا الشيخ إلا وهو يعتقد أنه أهل .

أما فى المنهج فلأن الطالب إذا سار فى هـذا السبيل وسلك هذا المنهج سوف يبنى علمه على شـفا جرف هار، لأن نفسـه قلقة، وليس واثقاً كل الثـقة فى هذا الشيخ الذى قرأ عليه ولهذا يضيع عليه الوقت، ويضيع عليه التحصيل .

وقول شـيخنا: «**إن العلم لا يؤخذ ابـتداء من الكتب**» سبق الكلام عليه، وأنه يرى أنه لابد من القراءة على شيـخ، بل لابد من شيخ متقن . تتقن عليـه مفاتيح الطلب، وتأمن من العثـار والزلل، فعليك إذاً بالتحـلى برعاية حرمتـه، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل وهذا كما قال الشيخ واضح .

«**فليكن شـيخك محل إجـلال منك وإكرام وتقـدير وتلطف**» كل هذا صحيح ولكن فهل نحن عملنا بذلك ؟ والله ما أدرى !!

لكن إذا كان الطالب يمر بشيخه ولم يسلم هل هذا عمل؟ هذا ليس بأهل، بل إنه إذا جاء شـيخه مـر مرَّ السـحاب وعجل ليـدرك. هذا ليس من الآداب، نحن نذكر لما كنا طلبة، إذا رأينا شيخنا من بعـيد نقف ونسلم، ومثلاً إذا كنا معه ندخل المسجـد، نمكنه أن يدخل قبلنا وأنا شـخصيـاً ما أريد هذا. أن تقـفوا لى وأدخل قبلكم، ولكـن أريد السلام الذى أمر به الرسـول ﷺ بإفشـائه، وكذلك بعض الناس يمر مع زميله ثم يصنع برأسه هكذا كأنه يسبح فى الماء. وهذا غلط أيضاً.

يقول أيضاً: «**فخذ بمجامع الآداب مع شيخك فى جلوسك معه والتحدث إليه**» وهذا صحيح . اجلس جلسة المتـأدب . يعنى مثلاً : لا تمد رجليك بين يديه لأن هذا سوء أدب، ولا تجلس متكئاً، هذا أيضاً سوء أدب ولاسيما فى مكان الطلب، أما إذا كنت فى مكان جلوس عادى فهذا أمر أهون، كذلك أيضاً فى التحدث إليه لا تتحدث إلى شيـخك وكأنك تتحدث مع قرينك، لا يستقـيم هذا، تتحدث إليه تحدث الابن إلى أبيه باحترام وتواضع .

يقول: «**وحسن السؤال والاستماع**» فإذا سأل يسأل بهدوء ورفق.

حسن الاستماع أيضاً مهم، بحيث يكون قلبك وقالبك متجه إلى محدثك ومعلمك، لا تكن جالساً ببدنك سائراً بقلبك فى غير مكان الدرس، إن هذا يفوتك خيراً كثيراً وأنت جالس الآن، وقتك لابد أن يكون مملوكاً لهذا الدرس .

وهل من علامات حضور القلب تشخيص العين ؟ لا ليس من العلامات، ولكنه قد يكون قرينة، ـ وإن كان قرينة هشة ـ، كذلك أيضاً «**حسن الأدب فى تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب**» إذا تصفحت الكتاب تصفحه برفق لئلا يتمزق. «**وترك التطاول والممـاراة أمامه**» والتطاول فى الواقع ليس أمراً محسوساً مدركاً بالحسِّ الظاهر، لكن النفس تشهد بأن هذا السائل متطاول، وقد يكون هذا بسوء ظن، وقد يكون بفراسة لكن التطاول معروف . كذلك المماراة يعنى : يجادل الشيخ وإذا أجاب يقول: وإذا كان كذا، وإذا كان كذا يجيبه، ثم هذه مسألة فرضيته، يجيبه عن هذا الفرض، تجيب فرضاً آخر أضيق من الأول. هذه مماراة ما لها داعى .

كذلك : «**وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير**» الله المستعان، وهذا داء عندكم موجود، أحياناً بعضكم يجيب قبل أن أتكلم معه .

«**أو مسير**» أيضاً هذا سوء أدب، ومن ذلك أنه إذا تقدم الشيخ خارجاً من المسجد وكان حذاء الطالب عن يمين الشيخ وحذاء الشيخ عن يساره خطى أمام الشيخ من الأمام ليأخذ الحذاء . هذا تقدم فى المسير وإعاقة لسير الشيخ .

ويقول أيضاً: «**أو إكثار الكلام عنده**» المجالس تختلف إذا كان مجلس علم ومجلس جد فلا تكثر، لكن إذا كان المكان نزهة فهذا لا بأس أن يأتى أحد يكثر الكلام ويوسع صدر الشيخ وصدر الحاضرين ما فى مانع، كذلك أيضاً أو «**مداخلته فى حديثه ودرسه بكلام منك**» يعنى: الشيخ يتكلم، مستمر فى كلامه، فتأتى أنت وتدخل فيه لتقطع الكلام هذا لا يصح لا فى الدرس ولا خارج الدرس، لأن هذا سوء أدب. «أو الإلحاح عليه فى جواب» إذا سأل الشيخ قال: يا شيخ انتظر، أعاد، قال : انتظر .

هذا أيضاً غلط «**متجنباً الإكثار من السؤال**» لأن بعض الناس يحب الإكثار من السؤال، وقد يكون فى غير موضوع الدرس، فيقول الشيخ لا تكثر. «**لا سيما مع شهود الملإ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل**» صحيح . مثلاً فى مجلس كبير تسأل بعض الناس حتى إذا جلسوا على المائدة أكثر الأسئلة هذا يسأل فإذا انتهى سأل الآخر، فإذا انتهى سأل ثالث . . . وهكذا حتى يخرج الشيخ ولم يأكل الطعام وهؤلاء مستريحون .

ولا تناده باسمه مجرداً، أو مع لقبه كقولك : يا شيخ فلان ! بل قل يا شيخى ! أو يا شيخنا ! فلا تسمه ؛ فإنه أرفع فى الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بُعْدٍ من غير اضطرار .

سبحان الله !! هذا عتاب الآن «**لا تناده باسمه**» لا تقل يا محمد، يا عبد الله، يا علي مجرداً . أو مع لقبه مثل يا شيخ محمد، يا شيخ عبد الله، لا تفعل . بل تقول يا شيخى أو يا شيخنا . «**فلا تسمه، فإنه أرفع فى الأدب**» وهل يقال مثل ذلك فى مناداة الأب ؟ لا تناده باسمه، وهل تخبر عنه باسمه ؟ وقع عن الصحابة أنهم يسمون آبائهم، فيقول ابن عمر : قال عمر، وما أشبه ذلك من الكلام .

فيقال إن الخبر أهون من النداء، لأنك لو تنادى أباك فتقول : يا فلان ! صار من سوء الأدب، ولو تقول : قال فلان وكان هو مشهور بالعلم فلا يعد ذلك سوءاً، فلكل مقام مقال، وباب الطلب يجب أن يكون أشد فى الاحترام .

يقول: «**ولا تخاطبه بتاء الخطاب**» كيف تقول ؟ يعنى لا تقل : قلت أنت كذا وكذا، قلت فى الدرس الماضى كذا وكذا، لأن هذا فيه إساءة وسوء أدب وإشعار بأن هذا الكلام أنت لا ترضيه . إذاً ما تقول ؟ تقول : قلنا كذا، مرَّ علينا كذا وكذا .

«**أو تناديه من بعد**» من أقصى الشارع يا فلان . . . يا فلان ! ما يصلح إلا من ضرورة، فإن كان هناك ضرورة بحيث يكون عليه خطر هو أمامه حفرة، أمامه سيارات، أمامه أشياء خطر عليه هو، هنا لا بأس أن تنادى من بعيد .

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:٦٣). الآية.

هذه الآية للعلماء في تفسيرها قولان :

القول الأول- لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً وهذا ما ساقه المؤلف من أجل.

والثاني- لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضاً، بل عليكم أن تجيبوه، تمتثلوا أمره وتجتنبوا نهيه بخلاف غيره، فغيره إن دعاك إن شئت أجبت وإن شئت لم تجب، لكن النبي ﷺ إذا دعاك يجب أن تجيبه . لذلك قال العلماء: إن النبي ﷺ إذا دعا إنساناً وهو في صلاة، وجب عليه أن يجيبه ولو قطعها [1].

ففي الآية قولان لأهل العلم، فعلى القول الأول : تكون دعاء مضافة إلى الفاعل أو المفعول . يعني : لا تجعلوا دعائكم الرسول كدعاء بعضكم بعضاً .

وإذا قلنا دعاء الرسول، يعني إذا دعاكم الرسول فأجيبوه، تكون مضافة إلى الفاعل. لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم كدعاء بعضكم بعضاً. بناء على القاعدة التفسيرية: أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين ولا منافاة بينهما، هل يمكن أن نحملها على المعنيين ؟ نعم يمكن أن نحملها على المعنيين .

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية : «يافلان» أو «يا والدي فلان» فلا يجمل بك مع شيخك .

الأبوة الطينية لا تقول لأبيك من النسب يا فلان، فكذلك أبوك في العلم لا تقل له يا فلان، والشيخ بكر لم يقل أن تقول لوالدك ذي النسب، ذي الأبوة الطينية إشارة إلى حقارته بالنسبة لأب العلم، المعلم .

---

(١) انظر منزلة الأدب في «مدارج السالكين» (المحقق).

والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به .

هذا أيضاً مهم، أن تبدى السرور من الدرس والإفادة منه، وأن ترتقبه بفارغ الصبر، أما أن تململ، مرة تقلب الكتاب، ومرة تخطط بالأرض، ومرة تطلع السواك تتسوك ومرة تزين الغُترة وما أشبه ذلك، هذا معناه الملل . ينبغى للإنسان أن يفرح، وأنه نزل فى رياض يجنى ثماره .

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينيك؛ فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذى ينجو من الخطأ سالماً ؟

ولكن إذا بدا خطأ أو وهم من الشيخ هل تسكت أم تنبهه، وإذا نبهته هل تنبهه فى مكان الدرس أو فى مكان آخر ؟ هذا يجب التزام الأدب فيه .

نقول : لا يجوز لك أن تسكت على الخطأ، لأن هذا ضرر عليك وعلى شيخك، فإنك إذا نبهته على الخطأ وانتبه أصلح الخطأ . وكذلك الوهم قد يتوهم، قد يسبق الإنسان إلى كلمة لا يريدها فلابد من التنبيه . لكن يبقى هل تنبهه فى مكان الدرس أو خارجه ؟ هذا ينظر فى القرار تنبهه فى الحال أم تنبهه فى الدرس مثل حالنا الآن، يقتضى أن تنبهونا فى الدرس لأنَّا عندنا الأخ موسى والأخ عبد الله وكل واحد ما شاء الله ماسك بمسجل فإذا لم يصلح الخطأ فى حينه، نشر هذا العلم على خطأ، فلابد من التنبيه فى مكان الدرس . أما لو كان لا يحضر ولا يسمع هذا الوهم أو هذا الخطأ إلا الطلاب فإن من الأليق ألا تنبهه فى مكان الدرس، بل إذا خرج تلتزم الأدب معه وتمشى معه وتقول : سمعت كذا وكذا فلا أدرى أوهمت أنا فى السمع أم أن الشيخ أخطأ مثلاً .

واحذر أن تمارس معه ما يضجره، ومنه ما يسميه المولدون : «حرب الأعصاب»[1]، بمعنى : امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل .

هذا صحيح، بعض الناس يقول أمتحن الشيخ، فيأتي بأسئلة معضلة ويبدأ يسأل، كلما أجاب الشيخ في جواب إذا كان كذا الحكم وإذا كان كذا ويصعده مائة درجة بهذه التقديرات ويشوف هل يضجر ويمل ويغضب فما رأيه لو غضب الشيخ في هذه الحال. هل يحق له ذلك ؟ نعم . ولو طرد الطالب ؟ هذا ينظر فيه .

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، فاستأذنه بذلك فإنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك ...

إذا بدا لك أن تنتقل إلى شيخ آخر أو أن تتعلم من شيخ آخر علماً آخر غير الذي تتعلم على شيخك فإنه من الأدب أن تستأذن، للفائدة التي ذكرها الشيخ بكر: لأنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه ومحبتك والعطف عليك . ثم إنه قد يعلم عن الشيخ الذي تريد أنت الذهاب إليه ما لا تعلمه أنت فينصحك . لأن كثير من الشباب الصغار قد يغترون بأسلوب أحدٍ من الناس وبيان وفصاحة فيظنونه ذاك الرجل العظيم، لكنه على خطأ، لذلك فاستئذان الشيخ له فوائد، منها ما ذكره الشيخ بكر ومنها ما أشرنا له الآن .

إلى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك وفاءً لحق شيخك في «أبوته الدينية» أو ما يسميه القانون الإيرلندي باسم «الرضاع الأدبي»[2] وتسمية بعض العلماء له «الأبوة الدينية» أليق، وتركه أنسب. واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق .

---

(١) «**معجم التراكيب**» لأحمد أبو سعد: (ص ٢٨٣) تركيب مولد. (ز)
(٢) «**مقاصد الشريعة**» لجلال الفاسي: (ص ٣٣) (ز)

تنبيه مهم : أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدى، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة : سيدى، مولاى، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد .

«**أعيذك بالله**» معنى هذه الجملة يريد بها التحذير من هذا «**لحس الأيدى**» هذا ما سمعناه أن يخرج الإنسان لسانه ويلحس الأيدى، لكن تقبيل الأيدى فلا بأس به ما لا يخرج عن حدٍّ الإفراط والزيادة، وتقبيل الأكتاف ليس أيضاً مذموم، على كل حال عندما يأتى الإنسان من سفر فلا بأس أن يقبل هامته وجبهته وكذلك بأكتافه لا يضر إلا إذا اقتضى ذلك انحناء، كذلك القبض على اليمين باليمين والشمال هذا أيضاً لا نرى فيه بأس، فإن ابن مسعود ﷺ قال : «**علمنى النبى ﷺ التشهد كفى بين كفيه**» وهذا يدل على أنه يجوز أن يقبض الكف بين الكف، وإذا اعتاد الناس أن يفعلوا ذلك عند السلام فلا حرج لأنه ليس فيه نهى، صحيح أن المصافحة باليد مع اليد فقط، لكن هذا من باب إظهار الشفقة والإكرام كما هو معروف الآن، فلا نرى أن فى ذلك بأساً، بل الانحناء عند السلام، هذا خلق ذميم لأنه ورد النهى عن ذلك.

«استعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدى، مولاى» هذا ما لها داعى، وإلا حقيقة أن الشيخ سيد إلى تلميذه ولكن ينبغى ألا يتخاذل أمامه حتى يقول: سيدى، أو يقول مولاى، ولكن مع ذلك هو جائز من حيث الشرع .

وانظر ما يقوله العلامة السلفى الشيخ محمد البشير الإبراهيمى الجزائرى (م سنة ١٣٨٠ هـ) رحمه الله تعالى فى «البصائر» فإنه فائق السياق [1] .

---

(١) «آثاره» (٤/ ٤٠-٤٢). (ز)

أحالنا إلى هذا الكتاب المسمى **«البصائر»** فإنه **«فائق السياق»** لا أعرف الكتاب هذا ولا اطلعته .

★ ★ ★

١٩ - رأس مالك - أيها الطالب - من شيخك :

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقى والتلقين، فهو ربح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع فى محبة شيخك فتقع فى الشناعة من حيث لا تدرى وكل من ينظر إليك يدرى، فلا تقلده بصوت ونغمة، ولا مشية وحركة وهيئة، فإنه إنما صار شيخاً جليلاً بتلك، فلا تسقط أنت بالتبعية له فى هذه .

هذا من أهم ما يكون إذا كان شيخك على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة والشمائل الطيبة، فهنا اجعله قدوة لك، لكن قد يكون الشيخ على خلاف ذلك أو عنده نقص فى ذلك، فلا تقتدى به فى هذا ولا تقل إذا صار شيخك عنده خلق سيِّئ اقتديت به . . . تقول هذا . كان شيخى مثلاً . لأن الشيخ يكون قدوة . لكن بماذا؟

بالأخلاق السليمة والشمائل الكريمة وكذلك أنت، **«اما التلقى والتلقين فهو ربح زائد»**، والواقع أن التلقى والتلقين هو الأصل، لأن التلميذ لم يأت للشيخ من أجل أن يتعلم منه الأخلاق فقط، بل من أجل أن يتعلم منه العلم أولاً ثم الأخلاق ثانياً. ففى الحقيقة أن التلقى والتلقين أمر مقصود كما أن الاقتداء به فى أخلاقه أمر مقصود أيضاً، ولهذا لو سألت أى طالب علم لماذا حضرت عند هذا الشيخ؟ لقال لأتلقى العلم، ولا يقول لأجعله قدوة لى فى الأخلاق . وعلى كل فالشيخ شيخ فى العلم وفى الأخلاق .

اما قوله : **«فلا تقلده بصوت ونغمة»** فهذا صحيح لأن بعض الناس يملكه حبه لشيخه، أو لبعض الناس حتى يبدأ بتقليد صوته ونغمته . وكذلك : **«ولا مشية**

وحركة وهيئة» هذا أيضاً ليس على إطلاقه بل يقال: إن كانت مشية الشيخ كمشية النبى ﷺ فاقتد بها، لا لأن الشيخ قدوتك، ولكن لأن رسول الله ﷺ قدوتك، وكذلك أيضاً الحركة، والحركة قد تكون فى بعض المعلمين حركة ممقوتة مثلاً لو تحرك بحركة الكلمة تحرك كل جسده . نعم هذا تقتدى به فى هذا، لكن حركة تبين المراد أو تبين حركة النفس من انفعال هذا لا بأس بها، وربما تكون تنشط الطالب لأنك تجد فرق بين معلم يكون له حركات تنبأ عن المعنى وعما فى نفسه من إحساسات، وبين معلم يسرد له العلم سرداً، ولما كنت فى الطلب فى المعهد العلمى فى الرياض يأتينا واحد يدرسنا فى النحو، ما شاء الله ولكنه يتكلم ويتحرك كل شىء يحتاج إلى حركة يتحرك تجدنا مشدودين معه تماماً، حتى لو كان عندنا نوم فى الأول يطير عنا النوم. لكن يأتى واحد يتكلم يسرد الحديث سرداً قد يموت حيل الإنسان .

★ ★ ★

٢٠ ـ نشاط الشيخ فى درسه:

يكون على قدر مدارك الطالب فى استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه فى درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه، بالكسل، والفتور والاتكاء، وانصراف الذهن وفتوره .

قال الخطيب البغدادى ـ رحمه الله تعالى :[1] «حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع» . فليسكت، فإن بعض الأدباء. قال: «نشاط القائل على قدر فهم المستمع» ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب، قال : «قال عبد الله : حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة، فانزع» اهـ .

---

(١) «الجامع» (١/ ٣٣٠). (ز)

هذه أيضاً من حلية الطالب: أن يكون له همة وقوة في الاستماع إلى الشيوخ واتباع نطقه حتى ينشط الشيخ على هذا، ولا يظهر للشيخ أنه قد ملَّ وتعب بالاتكاء تارة والحملقة فيه تارة، أو تقليب الأوراق تارة وما أشبه ذلك، ولا ينبغي للإنسان أن يلقي العلم بين الطلبة ولا بين عامة الناس، إلا وهم متشوقون له حتى يكون كالغيث أصاب أرضاً يابسة فقبلته، أما أن يكره أو يفرض نفسه فهذا أمر لا ينبغي.

أولاً: لأن الفائدة تكون قليلة، **وثانياً:** ربما يقع في قلب السامع الذي أكره على إلقاء هذه الكلمة مثلاً يقع في قلبه كراهة إما للشخص وإما لما يلقيه الشخص، وكلا الأمرين مُرٌّ، وأمرهما أن يكره ما يلقيه الشخص .

على كل حال متى رأيت الناس متشوقين للكلام فتكلم، وإذا رأيت الأمر لا يناسب فلا تتكلم لا تثقل على الناس، وهذا قد مرَّ معنا في البخاري في حديث ابن عباس : إنك لا تلقي على القوم الحديث إلا وأنت تعلم أنهم يحبون ذلك وإلا فلا تلقه عليهم . وهنا يسوق كلام الخطيب . وهذا صحيح : إلقاء المتكلم نشاطه على قدر فهم المستمع، وشتاته على قدر انتباه المستمع، لأن الفهم مرتبة وراء الانتباه، ينتبه الإنسان أولاً ثم يفهم .

★ ★ ★

٢١ ـ الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة :

وهي تختلف من شيخ إلى آخر، فافهم . ولهذا أدب وشرط :

أما الأدب، فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب، أو كتبت ما سمعته مذاكرة .

وأما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه. [١]

كيف تختلف من شيخ إلى آخر ؟ بعضهم سريع، وبعضهم يملي إملاء،

(١) «الجامع» : (٢/ ٣٦-٣٨). (ز)

وبعضهم يلقى إلقاء، وبعضهم لا يستحق أن يكتب ما يقول، ومثل هذا قد يكون إنساناً يضيع وقته في الجلوس إليه . وأيضاً يجب في مسألة الكتابة عن الشيخ يجب أن ينتبه الإنسان إلى مسألة مهمة، يفوته بعض الكلمات من حيث لا يشعر فيكتب خلاف ما قال الشيخ .

ونحن الآن -والحمد لله- في هذا الوقت لا نحتاج أن يكتب الطالب حال إلقاء الشيخ، لماذا ؟ لأنَّا عندنا تسجيلات ينقل لك كلام الشيخ من أوله إلى آخره وأنت تستمع إليه وتقيد ما ترى أنه جدير بالتقييد .

ولابد أن **تخبر الشيخ أنك ستكتب** وإن كنت لابد أن تكتب أو تسجل تخبره أنك سوف تسجل، لأن الشيخ ربما لا يرضى أن تكتب عنه شيئاً .

«وأما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه» حتى يتبين للقارئ، لأنك لو لم تشر إلى هذا، لظن القارئ أن الشيخ أملاه عليك إملاءً، وهناك فرق بين الإملاء، وبين كتابة الدرس الذي يلقيه الشيخ بدون أن يشعر أنه يملي على الطلبة -يعني ما يُسمى بالتقرير-، فرق بين الكتابة بالتقرير والكتابة بالإملاء، لأنَّ الإملاء سوف يكون محرراً ومنقحاً، والشيخ لا يملي كلمة إلا ويعرف منتهاها، لكن التقرير يلقي الكلام هكذا مرسلاً ربما تدخل كلمات في بعض وربما سقطت كلمة سهواً وغير ذلك، فنفرق بين التقرير وبين الإملاء .

ولذلك ينبغي أن يُستَأذن الشيخ، فإن قال قائل : هل إقرار الشيخ إذن ؟ بمعنى أنه إذا رأى الطلبة يكتبون وسكت . هل يعتبر إذناً ؟ نعم . نقول هو إذن بشرط القدرة على الإنكار، فإن كان لا يقدر أن ينكر، يخشى أن تثور عليه الطلبة وتهيج عليه الطلبة إن قال لا تكتبوا، فلا نعتبر سكوته إقراراً.

★ ★ ★

٢٢ - التلقي عن المبتدع :

احْذَر (أبا الجهل) المبتدع، الذى مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يحكِّم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا فى النص؟! ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضاً : «أهل الشبهات»[1]، و «أهل الأهواء»، ولذا كان ابن المبارك رحمه الله تعالى - يسمِّى المبتدعة : «الأصاغر» .

وقال الذهبى - رحمه الله تعالى -[2] : «إذا رأيت المتكلم والمبتدع يقول : دعنا من الكتاب والأحاديث : وهات (العقل) ؛ فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدى يقول : دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسى؛ واخنقه » اهـ .

يقول رحمه الله: «**احذر أبا الجهل**» يعنى صاحب الجهل - «**المبتدع الذى مسه زيغ العقيدة وغشيته سحب الخرافة**» وهذا التحليل الذى قاله الشيخ بكر أمر لازم يجب أن نحذر أهل البدع وصائغو البدع بصياغه مغرية مزخرفة، وهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم فى العقيدة يسمون ذلك العقل، والحقيقة أنه عَقْلٌ ولكنه عَقَلَهم عن الهدى إلى اتباع الهوى، فهم كما قال ابن القيم فى أمثالهم : «هربوا من الرق الذى خلقوا له وابتلوا برق النفس والشيطان» يعدل عن النص ويقول : دل العقل على الخلاف . سبحان الله !! هل العقل يخالف النص ؟ أبداً . . لا يمكن بأى عقل صريح خالى من الشبهات والشهوات يخالف النقل الصحيح أبداً ،لكن العلة إما من النقل قد يكون غير صحيح أو من العقل قد يكون غير صريح، أما مع صراحة العقل وصحة النقل فلا يمكن أن يوجد تعارض إطلاقاً، ولهذا نعى الله

---

(١) «الجامع»: (١/ ١٣٧) (ز)

(٢) «السير»: (٤/ ٤٧٢). (ز)

سبحانه وتعالى عن المخالفين للرسل، نعى عليهم عقولهم يقول : ﴿**أَفَلا يَعْقِلُونَ**﴾ (يس:٦٨). وما أشبه ذلك .

فالعقل كما قال الشيخ : «**وهل العقل إلا فى النص ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح**». وأكثر ما يكون ذلك فى الوعاظ والقصاص تجدهم يحشون أدمغتهم من الأحاديث الضعيفة من أجل تهييج الناس ترهيباً أو ترغيباً .

نأتى بمثال : ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص:١). يقول: قال النبى ﷺ : «**إن الله يخلق من كل حرف من سورة قل هو الله أحد ألف طائر، ولكل طائر ألف لسان كلها تدعو أو تسبح لهذا الذى قرأها**». من قال هذا ؟! وأشياء غريبة وعجيبة فى فضائل الأعمال تُذكر، كذلك هذا يقال لهم أيضاً أهل الشبهات مع أهل الجهل وأهل الأهواء، وكان ابن المبارك يسمِّى المبتدعة «**الأصاغر**» وهذا وصف مطابق لموصوفه، فهم أصاغر وإن عظموا أنفسهم، وكل من خالف النص فهو صغير .

أما كلام الذهبى : فالصوفية كل دينهم ذوق ووجد، والظاهر أن الذهبى رحمه الله لقى النكر من هؤلاء ولهذا شدد فى تقبيح أوصافهم .

«**فإن جبنت منه فاهرب**» يعنى فإن عجزت عنه أن تحاوره أو تناظره فاهرب، هذا هو الحكم، وإلا فإن كنت تستطيع أن تجادله وأن تفحمه فاصرعه صرعاً حسياً أو معنوياً «**فاصرعه وابرك على صدره**» هذا يدل على أنه حسىّ. «**واقرأ عليه آية الكرسى حتى يذهب الشيطان واخنقه**» .

الإنسان يسمع كلام الذهبى هذا فى ظنى أنه إذا صرعه ثم برك على صدره ثم قرأ عليه آية الكرسى ثم خنقه سيموت، لأنه يكون خنقه حينئذ شديداً قوياً . ولكن على كل حال الظاهر أن الشيخ الذهبى -رحمه الله- قد أصابه ما أصابه من هؤلاء، والمعافى من عافاه الله، لو ذهبت إلى بعض البلاد الإسلامية لوجدت من هؤلاء القوم عجباً، كما يذكر عنهم العلماء السابقون واللاحقون، يعنى يصلون

إلى حد الجنون، يضربون بالطبول، يضربون بالعصى على الأرض ويغبرون.

والتغبير هو أن يأخذ كل واحد منهم سوط ويهللون بتهليلهم وأذكارهم ثم يطرق الإنسان الأرض ومن كان أكثر غباراً كان أشد وأقوى فيكون هذا دليل على أنه مريد حقاً.

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -[1] : «وقرأت بخط الشيخ الموفَّق قال : سمعنا درسه - أي : ابن أبى عَصْرون - مع أخى أبى عمر وانقطعنا، فسمعت أخى يقول : دخلت عليه بَعْدُ، فقال : لِمَ انقطعتم عنى ؟ قلت: إن ناساً يقولون : إنك أشعرىّ، فقال : والله ما أنا أشعرى . هذا معنى الحكاية» اهـ.

يستفاد أنك لا ينبغى أن تجلس لمبتدع وإن كانت بدعته حقيقية كبدعة الأشعرية.

وعن مالك - رحمه الله تعالى - [2] قال : «لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب فى حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه فى الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به» . خرجه الذهبى فى السير.

فيا أيها الطالب إذا كنت فى السعة والاختيار، فلا تأخذ عن مبتدع : رافضى، أو خارجى، أو مرجئ، أو قدرى، أو قُبُورى، ... وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال - صحيحَ العَقْدِ فى الدين، متينُ الاتصال بالله، صحيح النظر، تَقْفُو الأثر - إلا بهجر المبتدعة وبدعهم .

وظاهر كلام الشيخ - وفقه الله - أنه لا يؤخذ عن صاحب البدعة شىء حتى فيما لا يتعلق ببدعته. فمثلاً إذا وجدنا رجلاً مبتدعاً، لكنه جيد فى علم العربية: البلاغة والنحو والصرف.

---

(١) «السير» : (٢١/١٢٩) (ز).

(٢) كما فى «السير» : (٨/٦١) (ز).

فهل نجلس إليه ونأخذ منه هذا العلم الذى هو جيد فيه أم نهجره ؟ ظاهر كلام الشيخ أننا لا نجلس إليه لأن ذلك يوجب مفسدتين :

المفسدة الأولى- اغتراره بنفسه، فيحسب أنه على حق .

المفسدة الثانية- اغترار الناس به، حيث يتوارد عليه الناس، وطلبة العلم ويتلقون منه، والعامى لا يفرق بين علم النحو، وعلم العقيدة .

لهذا نرى أن الإنسان لا يجلس إلى أهل البدع والأهواء مطلقاً، حتى إن كان لا يجد علم العربية والبلاغة والصرف إلا فيهم، فسيجعل الله له خيراً منه، لأنا كوننا نأتى لهؤلاء ونتردد إليهم، لا شك أنه يوجب غرورهم، واغترار الناس بهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعات يطول شرحها ، لكن يطيب لى الإشارة إلى رؤوس المقيَّدات فيها : فقد كان السلف رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعته، ويُحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سُنى ومبتدع.

وكان من السلف مَن لا يصلى على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شُوهد من العلاَّمة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩هـ) - رحمه الله تعالى - انصرافه عن الصلاة على مبتدع . وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم، لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطَّافة .

وكان سهل بن عبد الله التسترى لا يرى إباحة الأكل من الميتة .. للمبتدع عند الاضطرار، لأنه باغٍ، لقول الله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (البقرة: ١٧٣) .

الآية، فهو باغ ببدعته[١] . وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك - رحمه الله تعالى - مع من سأله عن الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور : «أظنك صاحب بدعة»، وأمر به، فأخرج . وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حَذَراً من شرهم، وتحجيماً لانتشار بدعهم، وكسراً لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع، ولأن في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعاميّ : والعامي مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالباً .. ونرى في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل الأخبار في هذا .[٢]

المؤلف - وفقه الله - حذر هذا التحذير المرير من أهل البدع، وهم جديرون بذلك ولا سيما إذا كان المبتدع سليط اللسان، فصيح البيان، فإن شره يكون أشد وأعظم، ولا سيما إذا كانت بدعة مكفرة أو مفسقة، فإن خطره أعظم ولاسيما إذا كان يتظاهر أمام الناس بأنه من أهل السنة، لأن بعض أهل البدع عندهم نفاق، تجده عند من يخاف منه يَتَمَسْكَنُ ويقول : أنا من أهل السنة وأنا لا أكره فلاناً ولا فلاناً من الصحابة وأنا معكم . وهو كاذب فمثل هؤلاء يجب الحذر منهم .

وقوله : «وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع» على كل حال إذا كانت البدعة مكفرة فلا شك أن الصلاة عليه لا تجوز لقول الله تعالى لرسوله ﷺ في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ (التوبة: ٨٤). هذا لا يصلى عليه، أما إذا كانت غير مكفرة فهذا ينظر فيما يترتب على ترك الصلاة عليه من المفسدة وعدمها، فإذا كان أهل السنة أقوياء وكان أهل البدعة في عنفوان بدعتهم، فلا شك أن ترك الصلاة عليهم أولى. لأن أهل السنة أقوياء وهؤلاء في عنفوان

---

(١) «الفتاوي»: (٢٨/ ٢١٨) انظرها، فهو مهم. (ز)

(٢) منها في: «الجامع» للخطيب، باب: تخير الشيوخ إذا تباينت أوصافهم: (١٠/ ١٢٧) وفي كتاب: «مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للسامرائي: (ص ٢١٥-٢٥٥) وهو مهم وفي (التحول المذهبي) من «الإسفار» لراقمه أمثلة من آثار مخالطتهم (ز).

دعوتهم، ربما إذا تركنا الصلاة عليهم يحصل بذلك ردعاً عظيماً لهم. وما ذكر عن الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتى البلاد السعودية فى زمانه يدل على قوته رحمه الله وصرامته، حيث انصرف عن الصلاة على مبتدع. أيضاً الصلاة خلفه من باب أولى أن يحذر الإنسان منها، فإن كانت بدعته مكفرة فإن الصلاة خلفه مع العلم ببدعته المكفرة لا تصح .

وإن كانت دون ذلك فالصحيح أن الصلاة خلفه صحيحة. لكن لا ينبغى أن يصلى خلفه، أما ما ذُكر عن سهل بن عبد الله التسترى . الذى لا يبيح أكل الميتة للمبتدع، وإن اضطر إلى ذلك، فإن كان هذا المبتدع كافر فإنه لا يباح له عند الله أكل الميتة ولا أكل مذكاته لقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ (المائدة:٩٣). ولقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف:٣٢). فدل هذا على أن الطيبات من الرزق والزينة التى أخرج الله لعباده ليست خالصة لغير المؤمنين يوم القيامة، بل يحاسبون عليها فإذا كانت بدعته مكفرة فنحن نقول : لا يحل له أن يأكل الميتة عند الاضطرار ولا الذكاة عند الاختيار لكن نقول : تب من بدعتك المكفرة وكُلْ كما يأكل المؤمنون .

وإن كانت مفسقة ففى ما قاله -رحمه الله- نظر، لأن الصحيح فيما قاله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (البقرة:١٧٣). أى غير مبتغ لأكل الميتة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أى غيرمعتد لأكل ما يحتاج إليه. هذا هو الصحيح فى الآية، والدليل على أن هذا هو الصحيح، هو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة:٣). ومن العلماء من قال المراد بالباغى : الباغى على الإمام وليس كل فاعل معصية.

ففى كلام سهل رحــمه الله تفصيل : وهو إذا كانت بدعتــه مكفرة فلا يحل له أن يأكل من الميتة أو المذكاة ويحاسب على بدعــته عند الله، وإن كانت غير مكفرة ففى قوله نظر أما فى طرده من المجــالس، فنعم يطردون من المجالس، وللشيخ أن يطرد فى مجلــسه ما دون ذلك إذا رأى من أحــد الطلبة أنه يريد أن يفــسد الطلب عند زملائه وبحيث يعتدون على الشيخ ولا يهابونه ويحتقرونه، فله أن يطرده لأن هذا يعتبر مفسداً يطرد .

والإمام مالك رحمه الله قال : ما أراك إلا مــبتدعاً . لأن الذين يسألون عن مثل ذلك المبــتدعة . يســألون كيف اســتوى ؟ يحــرجون بذلك أهل السنة . يــقولون : أخبرنى كيف استوى ؟ والإخبــار عن ذلك سهل. أن الله أخبرنا أنه قد استوى، ولـم يخبرنا كيف استوى . وهل نعلم كيفية شىء لم نعلم به وهو غائب عنا ؟! أبداً .

لو قال لك قائل : إنى بنيت بيتاً . فأنت قد علمت أنه بنى بيتاً وتعلم كيف بناء البيت . لكن تعرف كيفية هذا البيت وما فيه من الحجر . . . ؟

الجواب : لا إن كنت لم تشاهده .

وقوله : «**العامى: مشــتق من العمى**» لم أعرف أنه اشتق من العمى إلى الأبد، فــينظر فى ذلك هل هو من العــمى أم هو من العــموم، أى مــن عمــوم الناس . والعامى لا شك أنه هو الجاهل الذى لا يعرف ؟

فيا أيها الطالب ! كن سلفياً على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلاً، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول . وهو : (عسل) مقلوب . وهطول الدمــعة، وحسن البــزَّةِ، والإغــراء بالخــيالات، والإدهاش بالكرامــات، ولحس الأيدى، وتقبيل الأكتــاف .. وما وراء ذلك إلا وَحَمُ البــدعة، ورَهَجُ الفــتنة، يغرسـها فى فؤادك، ويعتملك فى شراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم .

أما الأخذ عن علماء السنة، فالعق العسل ولا تسل . وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافياً، وإلا فليبك على الدين من كان باكياً . وما ذكرته لك هو فى حال

السعة والاختيار، أما إن كنت فى دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعاذة من شره، باليقظة من دسائسه على حد قولهم «اجنى الثمار وألق الخشبة فى النار» ولا تتخاذل عن الطلب، فاخشى أن يكون هذا من التولى يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره، وتتقى شره.

هنا احتراز جيد، قد يلجأ الإنسان إلى المبتدع وذلك فى الدراسات النظامية قد يندب إلى التدريس فى العلوم العربية مثلاً أو فى العلوم الأخرى . هو مبتدع ومعروف أنه من أهل البدع، ولكن ماذا تفعل إذا كنت لابد أن تدرس على هذا الشيخ؟ .

نقول : خذ من خيره ودع شره، إن تكلم أمام الطلاب فى العقيدة فعليك بمناقشته إن كنت تقدر على المناقشة، وإلا فارفع أمره لمن يقدر على مناقشته، واحذر أن تدخل معه فى نقاش لا تستطيع التخلص منه، لأن هذا ضرر لا عليك أنت، بل على القول الذى تدافع عنه، لأنك إذا فشلت أمام هذا الأستاذ مثلاً صار هذا كسر للحق ونصر الباطل، لكن إذا كان عندك قدرة فى مجادلته فعليك بذلك، وربما يكون فى هذا مصلحة للجميع، مصلحة لك أنت، يهديه الله على يديك ومصلحة له هو، يهديه الله من بدعته .

وهل تقارن مثل هذا بمن ابتلى بالدراسة مع الاختلاط على الوجه النظامى ؟ فيه تفصيل . إن دعت الضرورة بذلك، إذا لم يكن هناك جامعات أو مدارس خالية من ذلك فهنا قد تكون هناك ضرورة، وفى هذه الحال يجب على الطالب أن يبتعد عن الجلوس إلى امرأة أو التحدث معها أو تكرار النظر إليها . يعنى بقدر ما يستطيع يبتعد عن الفتنة .

أما إذا كان من الممكن أن يدرس فى مدارس أخرى خالية من الاختلاط أو فيها نصف اختلاط، كما أن يكون النساء فى جانب والرجال فى جانب آخر فليتق الله ما استطاع .

ومن النتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: «أبيعكم اللحم بالعظام»[1]. فالمقرئ - رحمه الله تعالى - حدث بلا غرر ولا جهالة، إذ بين فقال: «وكان مرجئاً».

إلى ماذا تشير هذه القصة؟ أبيعكم اللحم بالعظام. الباء هنا للمصاحبة والمعية، يعني معناها: ما من لحمة إلا وفيها عظم. فأنا أحدثكم بما حدثت به، وأقول «**وكان مرجئاً**» فيكون العظم هنا في الوسط.

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في «العقيدة السلفية» لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال رحمه الله تعالى[2]: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصاحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب، ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾(الأنعام: ٦٨) اهـ.

كلام الصابوني رحمه الله يحتاج إلى بيان، قوله: «**ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه**» لا شك أن هذا أمر واجب على كل مسلم أن يبغض في دين الله ما ليس منه، لكن إذا كانت بدعته غير مكفرة فإنه يبغض من وجه، ويحب من وجه آخر، لكن بدعته تبغض بكل حال، كذلك أيضاً «**ولا يصاحبونهم**» إن صحبته تأليفاً له، ودعوته فلا بأس، لكن بشرط أنك إذا رأيت عدم صلاحه فارقته وتركته.

---

(١) الخطيب في «جامعه»: (١/ ٢٢٤) (ز)
(٢) (ص ١٠٠). (ز)

«لا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم فى الدين ولا يناظرونهم»
كل هذه تحتاج إلى قيود، لا يسمعون كلامهم إذا لم يكن فى ذلك فائدة، فإن كان فى ذلك فائدة بحيث يسمع كـلامه ليرى ما فيه من الباطل ليـرى ما يرد عليه فإن السماع هنا والاستماع واجب، لأنك لا يمكن أن يرد على قوم حتى تعرفهم إذ أن الحكم على الشىء فـرع من تصوره، وأيـضاً لا تسـمع عن أقوال أهل البـدع من أعدائهم، بل من كتـبهم، لأنه ربما تشوه المقالة، فإن قـلـت: أنتم قلتم كذا وكذا، يقولون أبداً ما قـلنا، ولهذا يخطئ بعض الناس حين يحكم على شـخص بالبدعة أو بالفـسق دون أن يرجع إلى الأصـل، لابد من الرجـوع إلى الأصل، لأنك إذا قلت: أنتم قلتم كذا وكذا لأحد من أهل البدع.

فقالوا: نحن لم نقل هذا، هذه كتبنا، تخـسر كل الجولة، ولا يوثق بكلامك، كذلك أيضاً **«لا يجادلونهم فى الدين»** هذا أيضاً يجب أن يقـيد، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل: ١٣٥)، فلابد من المجادلـة، كيف نعرف نميز الحق عـن الباطل إلا بالمجادلة والمنـاظرة، المجادلة التى يقصـدها: المراء، هذه تترك وترفض، إذا علمنا أن الرجل يجادل مراءة ما يقصد الحق فهذا يترك.

وانظر إلى قصة أبى سفـيان حيث جعل ينادى يوم أحد: أفيكم مـحمداً، أفيكم ابن أبى قحافة؟ أفـيكم عمر، قال النبى ﷺ: **«لا تجيبوه»** لماذا؟ إهانة له، وإذلالاً وعدم مـبالاة له، فلمـا قال: «أعل هبل» وافـتخـر بصنمه قـال: **«أجـيبـوه»** الآن ما يمكن السكوت، قالوا: ما نجيـبه؟ قال: قولوا: **«الله أعلى وأجل»**، إذا كان صنمك قد علا، فالله أعلى وأجل، ثم قال: يوم بيوم بدر والحرب سجال[١]، يوم بدر لمن؟ ويوم أحد؟ لهؤلاء المشركين؟ قالوا له: **«لا سواء قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار»**[٢].

---

(١) **صحيح:** أخرجه البـخارى (٤٠٤٣) المغازى، وأحمد (١٨١٢٠) عـن البراء بن عازب فى غزوة أحد.

(٢) أخرجه بتمـامه أحمد فى «المسند» (٢٦٠٤)، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيـه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله تبارك وتعالى فى موطن كما نصر يوم أحد . . .» الحديث.

هذا أيضاً افتخر بقومه واستذل المسلمين، فلابد من مجاوبته، قالوا لا سواء قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار.

«ويرون صون آذانهم...» هذا صحيح، الإنسان الذى يخشى على نفسه من سماع البدع أن يقع فى قلبه شىء، فالواجب عليه البعد، وعدم السماع، وأما إذا كان عنده من اليقين، والقوة، والثبات ما لا يؤثر عليه سماعها، فإنه إن كان فى ذلك مصلحة سمع، واستحببنا له أن يسمعها، وإن لم يكن له فى ذلك مصلحة، قلنا إن الأولى لك ألا تسمعها لما فى ذلك من ضياع الوقت واللغو، والآية واضحة، لكن إذا كنت تريد أن تعرف ما هم عليه من الباطل لترده فإنه لا يدخل فى الآية الكريمة.

وعن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له: صبيغ، قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضى الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين، فضربه حتى دمى رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعى به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلاً جميلاً، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى باليمن: لا يجالسه أحد من المسلمين [1]. رواه الدارمى، وقيل: كان متهماً برأى الخوارج.

هذا الحديث إذا صح سنده فإنه يدل على شدة عمر ﷺ على أولئك الذين يريدون المتشابه من القرآن، لأنه كان يورد آيات متشابه، فمثلاً يقول: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٣٦)، ثم يأتى بالآيات الأخرى التى تبين أنهم يعتذرون ولا يقبل منهم، ويأتى يقول: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)، ثم يأتى بآيات أخرى تدل على إقرارهم على ذنوبهم، وما أشبه ذلك، وهذا لا شك أنه سعى فى الأرض بالفساد.

---

(١) رواه الدارمى (١٤٤) من طريق حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار.

وتشكيك الناس، وحق لمن هذه حالـه أن يفعل به أمير المؤمنين رضي الله عنه مـا فعل، وفيه أيضـاً أن بعض الناس قد يورد المتشابهات لاشـتباهها عليه حقـيقة، وهذا لا يلام، وقد يورد المتـشابهات لأنه فى الأصل لـم يركز نفسـه على إرادة الجمع بين النصوص، فتجده دائماً يتتبع الأشيـاء المتشابهة ثم يأتى فيجمع بين كذا وكذا وهذه حقيقة مهنة ليست جيدة، وأذكر أن مـحمد الخلونى رحمه الله كان له حاشية على متن «**الممتع**» وكان كلما أتى ببحث، قال: يحتـمل كذا ويحتمل كذا، فلقب عند بعض طلاب العلم بالشكـاك، لأنه لا يستـقر على رأى، ولهـذا ينبغى أن تأخـذ لنفسك طريقاً بأن تبنى على الأمور الواضحة، ولا تتبع المتشابهات لأنك إن تتبعت المتشابهات ربما تذل.

والنووى رحـمـه الله تعـالى قـال فى كـتـاب «الأذكـار» باب: التـبـرئ من أهل البـدع والمعاصى»، وذكر حديث أبى موسى رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة والشاقة» متفق عليه. [1]

الصالقة: هى التى ترفع صوتها بالنياحة، **والحالقة:** التى تحلق شعرها تسخطاً سواء حلقته بالموسى أو نتـفته باليد، **والشاقة:** التى تشق الجيب عند المصيبة وإنما برئ رسـول الله ﷺ من هؤلاء الثلاثة لعـدم إيمـانهن بالقدر، ومن فـعل من الرجـال مثلهن فـحكمـه حكمهن، لكنه ذكـر ذلك لأن الغـالب أن هذا يقع من النساء. لأن الرجال أشد تحملاً من النساء.

★ ★ ★

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى فى الجنائز، باب مـا ينهى من الحلق عند المصيبة، ومسلم (١٠٤) الإيمان عن أبو بردة بن أبى موسى رضي الله عنه.

وعن ابن عمر براءته من القدرية، رواه مسلم [1].

لأنه لما حدث بأن عندهم قوم يقولون: إن الأمر أنف، يعنى: مستأنف، وأن الله لم يقدره من قبل، قال للذى أخبره: أخبرهم بأن ابن عمر منهم برىء لأنهم أنكروا قدر الله وقدره السابق.

أتدرون من هم القدرية؟ الذين يثبتون القدر أم الذين ينفون القدر؟ الذين ينفون القدر.

وهى نسبة عكسية لأن الذى يسمع لفظ القدرية، فيظن أن المعنى: الذين يثبتون القدر، والأمر بالعكس فهى نسبة سلب لا إيجاب، وهؤلاء القدرية يسمون مجوس هذه الأمة، وقد وردت بذلك أحاديث، ووجه ذلك لأنهم جعلوا للحوادث محدثين، الحوادث الكونية التى هى من فعل الله، كإنشاء الغيم، وإنزال المطر، وما أشبه ذلك.

والحوادث التى تكون من فعل العبد، استقل بها العبد، فهم يرون أن العبد مستقل بعمله وأن الله لا علاقة له به إطلاقاً، ولهذا سموا مجوساً لأنهم كالمجوس الذين يقولون: إن للحوادث خالقين، النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر.

والأمر فى هجر المبتدع ينبنى على مراعاة المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى مواضع. [2]

إذاً عاد الشيخ إلى ما ذكرنا، وهو أن ننظر إلى المصالح، فإذا رأينا أن من المصلحة ألا نهجره، ولكن نبين الحق، لا نداهنه ويبقى على بدعته، ونحن على سنتنا إذا رأينا من المصلحة هذا، فترك الهجر أولى، وإذا رأينا من المصلحة الهجر بأن يكون أهل السنة أقوياء، وأولئك ضعفاء مهزومين فالهجر أولى.

---

(١) وانظر أبحاثاً مهمة فى: «**مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**» رحمه الله تعالى: (٢/ ١٣٢): و (٥/ ١١٩)، (١/ ٤٥٩-٤٦٠) و (٣٦/ ١١٨). (ز)

(٢) منها فى: «**مجموع الفتاوى**»: (٢٨/ ٢١٣- ٢١٦-٢١٨). (ز)

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، وفشا الجهل، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما فى خلافها من الإفك والشرك والمحال».اهـ.

فإذا اشتد ساعدك فى العلم فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان والسلام»

صحيح: إذا اشتد ساعدك فى العلم. أما إذا لم يكن عندك العلم الوافى فى رد البدعة فإياك أن تجادل، لأنك إذا هزمت وأنت سنى لعدم قدرتك على مدافعة هذا المبتدع فهو هزيمة. لمن؟ للسنة، ولذلك لا نرى أن يجوز للإنسان أن يجادل مبتدعاً إلا وعنده قدرة على مجادلته، وكذلك أيضاً مجادلة غيرالمبتدع: الكفار، لا نجادلهم إلا ونحن نعلم أننا على يقين من أمرنا، وإلا كان الأمر عكسياً بدلاً أن يكون الانتصار لنا.

★ ★ ★

الفصل الرابع

آداب الزمالة

٢٣- احذر قرين السوء:

كما إن العرق دساس[١]، فإن «أدب السوء دساس»[٢]، إذ الطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، فإنه العطب، «والدفع أسهل من الرفع»، وعليه، فتخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك، ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك، وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير[٣]:

هذه الكلمات مأخوذة من قول الرسول ﷺ : «**مثل الجليس الصالح كحامل المسك، ومثل الجليس السيء كنافخ الكير**»[٤]، فعليك باختيار الصديق الصالح الذى يدلك على الخير ويبينه لك، ويحثك عليه، ويبين لك الشر ويحذرك منه، وإياك من جليس السوء، فإن المرء على دين خليله، وكم من إنسان مستقيم قيد له شيطان من بنى آدم فصده عن الاستقامة، وكم من إنسان جائر قاصد يسر له من يدله على الخير بسبب الصحبة.

وبناء على ذلك نقول: إذا كان فى مصاحبة الفاسق سبب كهدايته فلا بأس أن تصحبه، تدعوه إلى بيتك، تأتى إلى بيته، تخرج معه للتمشى بشرط ألا يقدح ذلك فى عدالتك عند الناس، وكم من إنسان فاسق هداه الله تعالى بما يسر الله له من صحبة الخير.

وقوله: «**الدفع أسهل من الرفع**» هذه قاعدة فقهية ذكرها ابن رجب فى القواعد الفقهية وبمعناها قول الأطباء: الوقاية أسهل من العلاج، لأن الدفع ابتعاد عن الشر وأسبابه، لكن إذا نزل الشر صار من الصعب أن يدفعه الإنسان.

---

(١) وفى ذلك حديث موضوع، انظره فى : «**العلل المتناهية**»(٢/ ١٢٣-١٢٧) و«**شرح الإحياء**» (٥/ ٣٤٨) (ز).

(٢) «**شرح الإحياء**» (١/ ٧٤). (ز)

(٣) «**محاضرات إسلامية**» لمحمد الخضر حسين: (ص ١٢٥-١٣٦) (ز).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخارى (٥٥٣٤) الذبائح والصيد، ومسلم (٢٦٢٨) البر والصلة، عن أبى بردة عن أبى موسى رضي الله عنه.

١- صديق منفعة.

٢- صديق لذة.

٣- صديق فضيلة.

فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما، المنفعة فى الأول، واللذة فى الثانى، وأما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذى باعث صداقته تبادل الاعتقاد فى رسوخ الفضائل لدى كل منهما.

وصديق الفضيلة هذا «عملة صعبة» يعز الحصول عليها، ومن نفيس كلام هشام بن عبد الملك (م سنة ١٢٥ هـ) قوله[(١)]: «ما بقى من لذات الدنيا شىء إلا أخ أرفع مؤونة التحفظ بينى وبينه» اهـ.

ومن لطيف ما يقيد قول بعضهم:[(٢)] «العزلة من غير عين العلم: زلة، ومن غير زاى الزاهد: علة».

إذاً لابد من علم ولابد من زهد قبل أن ينعزل الإنسان عن الناس، هؤلاء الأصدقاء قسمهم إلى ثلاثة أصدقاء:

صديق منفعة: وهو الذى يصادقك ما دام ينتفع منك بمال أو جاه أو بغير ذلك، فإذا انقطع الانتفاع فهو عدوك لا يعرفك ولا تعرفه، وما أكثر هؤلاء، وما أكثر الذين يلمزون فى الصدقات **﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾** (التوبة:٥٨) صديق لك حميم ترى أنه من أعز الناس عندك، وأنت من أعز الناس عنده يسألك يوم من الأيام يقول: أعطنى كتابك أقرأ فيه، فتقول: والله الكتاب أنا محتاج إياه غداً، فينتفخ عليك ويعاديك، هل هذا صديق؟ هذا صديق منفعة.

الثانى صديق لذة: يعنى لا يصادقك إلا لأنه يتمتع بك فى المحادثات والمآنسات والمسامرات، ولكنه لا ينفعك، ولا تنتفع به منه أنت، كل واحد منكم لا ينفع الآخر، ليس إلا ضياع وقت فقط، هذا أيضاً احذر منه أن يضيع أوقاتك.

الثالث: صديق فضيلة: يحملك على ما يزين وينهاك، عن ما يشين، ويفتح لك أبواب الخير ويدلك عليه، وإذا زللت ينهاك على وجه لا يخدش كرامتك، هذا هو صديق الفضيلة.

---

(١) «طبقات النسابين» (ص ٣١). (ز)

(٢) «العزلة» للخطابى. (ز)

الفصل الخامس

آداب الطالب في حياته العلمية

٢٤- كبر الهمة في العلم:

من سجايا الإسلام التحلى بكبر الهمة، مركز السالب والموجب فى شخصك، الرقيب على جوارحك، كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيراً غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجرى فى عروقك دم الشهامة، والركض فى ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفاً إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطاً يديك إلا لمهمات الأمور.

وهذا من أهم ما يكون عليه الإنسان فى طلب العلم، يكون له هدف، ليس مراده مجرد قتل الوقت بهذا الطلب، بل يكون له همة، ومن أهم همم طالب العلم أن يريد القيادة والإمامة للمسلمين فى علمه، ويشعر أن هذه درجة هو يرتقى إليها درجة درجة، حتى يصل إليها، وإذا كان كذلك فسوف يرى أنه واسطة بين الله عز وجل وبين العباد فى تبليغ الشرع، هذه مزية ثانية، وإذا شعر بهذا الشعور فسوف يحرص غاية الحرص على اتباع الكتاب والسنة معرضاً عن آراء الناس، إلا أنه يستأنس بها ويستعين بها على معرفة الحق، لأن ما تكلم فيه العلماء رحمهم الله من العلم، لا شك أنه أبواب لنا، وإلا لما استطعنا أن نصل إلى درجة نستنبط الأحكام من النصوص، أو معرفة الراجح من المرجوح، وما أشبه ذلك.

والمهم أن يكون الإنسان عنده همة، وهو بإذن الله إن نوى هذه النية فإن الله سبحانه وتعالى سيعينه على الوصول إليها.

والتحلى بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان، التملق والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف، وفاقدها جبان رعديد، تغلق فمه الفهاهة.

هذا صحيح، التحلى بعلو الهمة يسلب عنك سفاسف الآمال والأعمال.

الآمال: هو أن يتمنى الإنسان الشيء دون أن السعى فى أسبابه، فإن المؤمن كيس فطن لا تلهه الآمال، لكن ينظر الأعمال ويرتقب النتائج.

وأما ما تلهيه الآمال يقول: إن شاء الله أقرأ هذا، أراجع هذا، الآن أستريح، وبعد ذلك أراجع، أو تلهيه الآمال فيما يحدث للإنسان أحياناً، يتصفح الكتاب من أجل مراجعة مسألة من المسائل، ثم ينظر فى الفهرس والصفحات، تلهيه عن المقصود الذى من أجله فتح الكتاب ليراجع مسألة، وهذا يقع كثيراً، فينتهى الوقت وهو لم يراجع المسألة التى صار يراجع هذا الكتاب أو فهرس الكتاب، فإياك والآمال المخيبة، اجعل نفسك قوى العزيمة، عالى الهمة.



ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، كبر الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبر داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

«**كبر الهمة**» إن الإنسان يحفظ وقته ويعرف كيف يصرفه، ولا يضيع الوقت بغير فائدة، وإذا جاءه إنسان يرى أن مجالسته فيها إهمال وإلهاء عرف كيف يتصرف.

وأما «**والكبر**» فهو الذى يحتقر غيره، ولا يرى الناس إلا ضفادع، ولا يهتم وربما يصعر وجهه وهو يخاطبه، فكما قال الشيخ بكر: بينهما كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.



فيا طالب العلم ارسم لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلت منها وقد أومأ الشرع إليها في فقهيات تلابس حياتك، لتكون دائماً على يقظة من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمكلف عند فقد الماء، وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالاً، وعلى هذا فقس[1] ، والله أعلم.

من علو الهمة ألا تكون متشوقاً لما فى أيدى الناس، لأنك إذا تشوقت ومَنَّ الناس عليك، ملكوك، لأن المنة ملك للرقبة فى الواقع، لو أعطاك الإنسان قرشاً لوجد أن يده أعلى من يدك، كما جاء فى الحديث: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[2]، واليد العليا هى المعطية، والسفلى هى الآخذة، لا تمد بصرك للناس، ولا تمد كفك إليهم، إذا كان الإنسان عادم الماء ووَهب له الماء لم يلزمه قبوله، بل يعدل إلى التيمم خوفاً من المنة مع أن الوضوء بالماء فرض للقادر عليه.

لذلك فرق الفقهاء رحمهم الله بين أن تجد من يبيعه ومن يهديه، فقالوا: من يبيعه أشترى منه وجوباً لأنه لا منة له، حيث إنك تعطيه العوض، ومن أهداك لا يلزمه قبوله، من أجل أن منته تقطع رقبتك، ولكن إذا كان الذى أهدى إليك الماء لا يمن عليك به، بل يرى أنك أنت المانُّ عليه بقبوله، أو من جرت العادة على أن لا منة منه مثل الأب على ابنه، والأخ المشفق مع أخيه وما أشبه ذلك. فهنا ترتفع العلة، وإذا ارتفعت العلة ارتفع الحكم، المهم إن من علو الهمة وكبرها ألا يكون الإنسان مستشرفاً لما فى أيدى الناس.



---

(١) «**السعادة العظمى**» لمحمد الخضر حسين: (ص ٧٦ - ٧٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٤٢٨) الزكاة، ومسلم عن حكيم بن حزام (١٠٣٤). وأخرجه البخارى (١٤٢٩) الزكاة، ومسلم عن ابن عمر (١٠٣٣) الزكاة، وأخرجه البخارى (٥٣٥٥) النفقات، عن أبى هريرة، وأخرجه مسلم (١٠٣٦) فى الزكاة عن أبى أمامة ﷺ جميعاً.

٢٥- النهمة في الطلب :

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» وقد قيل: «ليس كلمة أحض على طلب العلم منها» فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر: وصوابه: كم ترك الأول للآخر: فعليك بالاستكثار من ميراث النبى ﷺ وابذل الوسع فى الطلب، والتحصيل، والتدقيق، ومهما بلغت فى العلم، فتذكر: «كم ترك الأول للآخر» !.

إذا كان إنسان يحسن الفقه والشرع صار له قيمة، أحسن ممن يحسن فتل الحبال مثلاً. لأن كل منهما يحسن شيئاً، لكن فرق بين هذا وهذا فقيمة كل امرئ ما يحسنه : «**وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب منها**» وهذا القيل ليس بصحيح، أشد كلمة فى الحض على طلب العلم قول الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر: ٩)، وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: ١١) وقول النبى ﷺ : «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**» [١]، وقوله ﷺ : «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢]، وأشباه ذلك مما جاء فى الحث على طلب العلم، لكن ما نقل عن على بن أبى طالب رضي الله عنه هى كلمة لا شك أنها جامعة، لكن لا شك أنها ليست أحسن ما قيل فى الحث على طلب العلم.

★ ★ ★

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٧١) العلم، ومسلم (١٠٣٧) الزكاة عن معاوية رضي الله عنه .

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٦٨٢) العلم، وأبو داود (٣٦٤١) العلم عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ وابن ماجه (٢٢٣) المقدمة. وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

وقوله: «ما ترك الأول للآخر» إما تكون «ما» نافية أو استفهامية فإن كانت نافية فالمعنى: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وإن كانت استفهامية فيكون المعنى: أى شيء ترك الأول للآخر؟

وكلا المعنيين يوجب أن يتثبط الإنسان عن العلم، ويقول كل العلم أخذ من قبلى فلا فائدة، فيكون بذلك تثبيطاً لهمته، لأنه إذا قيل لك: إن من قبلك أخذوا كل شيء، ستقول إذاً ما الفائدة.

أما إذا قيل كم ترك الأول للآخر، فالمعنى: ما أكثر ما ترك الأول للآخر، وهذا يحملك على أن تبحث على كل ما قاله الأولون، ولا يمنعك من الزيادة على ما قال الأولون.

ولا شك أن المعنى الصواب: كم ترك الأول للآخر، فإن قيل إن الشاعر الجاهلى يقول:

ما أرانا نقول إلا معاراً   أو معاداً من قولنا مكرور

فهل هذا صواب؟ الجواب لا هذا ليس بصواب، وما أكثر الأشياء الجديدة التى تكلمنا بها ولم يتكلم بها مَنْ قبلنا، أما إن أراد بهذا حروف الكلمات أو الكلمات، وهذا صحيح لو أراد المعانى.

ولعل الشاعر الجاهلى أراد أنه كل ما يقال من الكلمات والحروف فإنه إما معار أخذه من غيره، وإما معاد.

لكن إذا كان البيت بهذا المعنى فقيمته ضعيفة جداً، رخيصة لأن هذا معلوم لا يحتاج إلى أن ينشره إنسان فى بيت شعر.

قوله: «فعليك بالاستكثار» يحثك على أن تستكثر من ميراث النبى ﷺ، وذلك العلم لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر من ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم اعلم أن ميراث النبى ﷺ إما أن يكون بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية، فإن كان بالقرآن الكريم، فقد كفيت إسناده والنظر فيه، لأن القرآن لا يحتاج إلى النظر بالسند لأنه متواتر أعظم التواتر.

أما إذا كان بالسنة النبوية فلابد أن تنظر فى السنة النبوية أولاً هل صحت نسبته إلى الرسول ﷺ أم لم تصح؟ فإن كنت تستطيع أن تمحص ذلك بنفسك فهذا هو الأولى وإلا:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

قوله: «**ابذل الوسع**» يعنى الطاقة فى التدقيق، أمر مهم لأن بعض الناس يأخذ بظواهر النصوص وبعمومها دون أن يدقق، هل هذا الظاهر مراد أم غير مراد؟ وهل هذا العام مخصص أم غير مخصص؟ أم هذا العام مقيد أم غير مقيد؟

فتجده يضرب السنة بعضها ببعض لأنه ليس عنده علم فى هذا الأمر، وهذا يغلب على كثير من الشباب اليوم الذين يعتنون بالسنة تجد الواحد منهم يتسرع فى الحكم المستفاد من الحديث، أو فى الحكم على الحديث، هذا خطر عظيم.

يقول: «**مهما بلغت فى العلم فتذكر: كم ترك الأول للآخر**» هذا طيب، ولكن نقول: إن أحسن من ذلك مهما بلغت من العلم، فتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

وفى ترجمة أحمد بن عبد الجليل من «تاريخ بغداد» للخطيب ذكر من قصيدة له:

لا يكون السرى مثل الدنى   لا ولا ذو الذكاء مثل الغبى

قيمة المرء كلَّ مَا أحسن المرء   قضاء من الإمام على

هذا سبق الكلام عليه، و«السرى» يعنى: الشريف عالى الهمة، مثل الوفى، ونفى المماثلة ظاهر أيضاً، لا يكون الإنسان الذكى مثل الإنسان الغبى ولا ذو العلم مثل الجاهل.

٢٦- الرحلة للطلب:

«من لم يكن رُحْلة لن يكون رُحَلة»[1]: فمن لم يرحل في طلب العلم، للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم، فيبعد تأهله ليرحل إليه، لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم، وتعليمهم، والتلقي عنهم: لديهم من التحريرات والضبط، والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه، أو على نظائره في بطون الأسفار.

قوله: **«من لم يكن رحلة لن يكون رحلة»** لعل: من لم يكن له.

قوله: **«التجارِب»** مكسور حرف الراء، والتجرُبة غلط ما هي لغة عربية، رغم أنها هي الشائع بين الناس الآن، حتى طلبة العلم، يقول: تجارُب، تجرُبة، رغم إن الصواب كسر الراء، والمعنى: أن من لم يكن له رحلة في طلب العلم فلن يرحل إليه وتؤتى الناس إليه.

★ ★ ★

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين: الذين يفضلون علم «الخرق» على علم «الورق»، وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟! وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

فاحذر هؤلاء، فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، بل فيهم من كان بأساً وبلاء على الإسلام.

الصوفية يدّعون أن الله يخاطبهم ويوحي إليهم، وأنه يزورهم ويزورونه، وهذا من خرافاتهم.

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم». (ز)

والعبارة الأخيرة مأخوذة من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- فى المتكلمين قال فى هؤلاء: «**لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا**» يعنى أنهم ما نصروا الإسلام الذى جاء به محمدﷺ ولا كسروا الفلاسفة الذين هاجوا وماجوا على الإسلام كله، ويدلك لذلك أن هؤلاء المتكلمين حرفوا النصوص عن ظاهرها وأولوها إلى معان أو جددوها بما يزعمون أنه عقل، فتسلط عليهم الفلاسفة وقالوا لهم: أنتم إذا آولتم آيات الصفات وأحاديث الصفات، مع ظهورها ووضوحها، فاسمحوا لنا أن نؤول آيات المعاد، أى آيات اليوم الآخر فإن ذكر أسماء الله وصفاته فى الكتب الإلهية أكثر بكثير من ذكر المعاد وما يتعلق به، فإذا أبحتم لأنفسكم أن تؤولوا فى أسماء الله وصفاته الواردة فى الكتاب والسنة، فاسمحوا لنا أن نؤول فى آيات المعاد وننكر المعاد رأساً، ولا شك أن هذه حجة قوية لهؤلاء الفلاسفة على هؤلاء المتكلمين، إذ لا فرق.

المهم أن الشيخ وفقه الله هاجم الصوفية، فهم جديرون بالمهاجمة، لأن بعضهم يصل إلى حد الكفر والإلحاد بالله، حتى يعتقد أنه هو الرب كما يقول بعضهم «ما فى الجبة إلا الله» يعنى نفسه، ويقول:

الرب عبد والعبد رب ... يا ليت شعرى من المكلف

يعنى هما شىء واحد، إلى أمثال ذلك من الخرافات التى يقولونها، لكن ينبغى أيضاً أن نهاجم ونركز على مهاجمة أهل الكلام الذين سلبوا الله من كماله بكلامهم فأنكروا الصفات.

فمنهم من أنكر الصفات رأساً كالمعتزلة، ومنهم من أثبت الأسماء، لكن جعلها أسماء جامدة لا تدل على معنى، وغالى بعضهم وقال: إنها أسماء واحدة، وأن السميع هو البصير، وأن السميع والبصير هما العزيز وهما شىء واحد، وغالى بعضهم فقال: هى أسماء متعددة، لكن لا تدل على معنى مسلوبة المعنى.

لأنهم لو أثبتوا لها معنى -بزعمهم- لزم تعدد الصفات، وبتعددها وبتعدد الصفات يرون أنه شرك، لأنهم يقولون يلزم تعدد الصفات القديمة كالعلم والسمع والبصر، فيلزم من ذلك تعدد القدماء، وهو أشد شركاً من النصارى.

فالحاصل: أنه أيضاً ينبغي أن يهاجم على أهل الكلام الذين عطلوا لله مما يجب له من صفات كمال بعقول واهية.

والعلماء رحمهم الله الذين تكلموا عن الرحلة لم يدركوا هذا الأثر، الأشرطة المسجلة تغنى عن الرحلة، لكن الرحلة أكبر لأن الرحلة إلى العالم، يكتسب الإنسان من علمه وأدبه وأخلاقه، ثم يترك الرجل يتكلم ليس كما يعمله إياه فى الشريط.

مثلاً: الخطبة، أنت عند رجل يخطب وكلامه جيد، تتأثر به لكن لو تسمع هذا الكلام من الشريط لن تتأثر به تأثرك وأنت تشاهد الخطيب.

★ ★ ★

٢٧- حفظ العلم كتابة:[١]

ابذل الجهد فى حفظ العلم (حفظ كتاب)، لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما فى مسائل العلم التى تكون فى غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديك مادة تستجر منها مادة تكتب فيها بلا عناء فى البحث والتقصى.

«**ابذل**» همزة وصل، لكن عند الابتداء بها تكون همزة قطع. بذل الجهد فى الكتابة مهم، لا سيما فى نوادر المسائل أو التقسيمات التى لا تجدها فى بعض الكتب.

★ ★ ★

---

(١) «الجامع» للخطيب: (٢/١٦، ١٨٣-١٨٥). (ز)

كم من مسألة نادرة مهمة لا يقيدها اعتماداً على أنه يقول: إن شاء الله لا أنساها . فإذا به ينساها ويتمنى لو كتبها، ولكن احذر أن تكتب على كتابك على هامشه أو بين سطوره، كتـابة تطمس الأصل فـإن بعض الناس يكتب على هامش الكتـاب أو بين سطوره كتـابة تطمس الأصل، لكن يجب إذا أردت أن تكتب على كتابك، أن تجعله على الهامش البعيد من الأصل لئلا يلتبس هذا بهذا فإن لم يتيسر هذا، كأن ما تريد تعليقه أكثر من الهامش فلا ضير علـيك أن تجعل ورقة بيضاء تـلصقها بين الورقـات وتشير إلى موضعـها من الأصل وتكتب ما شئت، وكان طلبة الشيخ عبـد الرحمن بن سعدى -رحمه الله- يحدثوننا أنهم يأخذون مذكـرات صغيرة يجعلونها فى الجـيب كلما ذكر الإنسان منهم مسألة قـيدها، إما فائدة علم فى خاطر، أو مسألة يسأل عنها الشيخ فيقيدها، فاستفادوا بذلك كثيراً.

ولذا، فاجعل لك (كناشا) [1] أو (مذكرة) لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة فى غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، فحسن ثم تنقل ما يجتمع لك بعد فى مذكرة، مرتباً له على الموضوعات، مقيداً رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيدته : «نقل» حتى لا يختلط بما لم ينقل، كما تكتب : «بلغ صفحة كذا» فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة .

وللعلماء مؤلفات عدة فى هذا، منها : «بدائع الفوائد» لابن القيم، و«خبايا الزوايا» للزركشى، ومنها : كتاب «الإغفال»، و«بقايا الخبايا»، وغيرها .

ومنها أيضاً «**صيد الخاطر**» لابن الجوزى، لكن أحسن ما رأيت «**بدائع الفوائد**» لابن القيم أربعـة أجزاء فى مجلدين، فـيها من بدائع العلوم مـا لا تكاد تجده فى كتاب آخـر لكل فن . كل ما طرأ على باله قيـده، لذلك تجد فيه من العـقائد فى التوحيد، فى الفقه، فى النحو، فى ابلاغة، فى التفسير، فى كل شىء .

---

(1) الكنُاش - بضم الكاف - وتخفـيف النون، وشين معجمـة، على وزن (غراب)، لفظ سريانى، بمعنى: المجموعة، والتذكرة، وانظر: «**التراتيب الإدارية**» (٢/ ٢٧٠). (ز)

أحيـاناً يبحث فى كلمة من الكلمـات اللغوية فى صفـحة تحليلاً، وتفـريعاً، واشتـقاقاً وغيـر ذلك. بحث بحثاً بالغـاً فى الفرق بين «المدح والحمـد»، كتب كتـابة فائقة فى ذلـك، وقال: كان شـيخنا إذا بحث فى مثل هـذا أتى بالعجب العجاب لكنه كما قيل:

تألق البـــرق نجـديا فـقـلـت له إليك عنى فــإنى عنك مـشــغـول

يعنى -رحمه الله- مشغول بما هو أهم من التحقق فى اللغة العربية وإلا فهو -شيخ الإسلام- رحمـه الله آية فى اللغة العربية، لما قدم مصر اجـتمع بأبى حيان المصرى الشهـير صاحب «**البحر المحيط**» فى التفسيـر، وكان أبو حيان يثنى على شيخ الإسلام ثناءاً عطراً، ويمدحه بقصائد عصامية، ومن جملة ما يقول فيه:

قام ابن تيمية فى نصر شريعـتنا مقـــام سيد يتـم إذا عصت مضر

يعنى أبا بكر يوم الردة . فلما قدم مصر شيخ الإسلام اجتمع بهذا الرجل ـ أبى حيان ـ وتناظر معه مسألة نحوية واحتج عليـه أبو حيان بقول سيبويه فى كتابه قال إن سيبويه فى كتابه قال كذا وكذا . فكيف تخالفه ؟ .

فقال له شـيخ الإسلام: «وهل سيبويه نبى النحـو؟!» يعنى: حتى يجب علينا اتباعه، ثم قال: «لقد غلط فى الكتاب فى أكثر من ٨٠ موضع لا تعلمها أنت ولا هو». سبحان الله !! هكذا يقول لسيد النحاة .

يقال: إن أبا حيان بعد ذلك أخذ عليه وصار بنفسه فـأنشا قصيدة يهجوه فيها. عفا الله عنا وعنهم جميعاً . المهم أن كتاب «**بدائع الفوائد**» من أجمل الكتب، فيه فوائد لا تجدها فى غيره .

★ ★ ★

وعليه، فقيد العلم بالكتاب[1]، لا سيما بدائع الفوائد فى غير مظانها، وخبايا الزوايا فى غير مساقها، ودرراً منثورة تراها وتسمعها تخشى فواتها .. وهكذا، فإن الحفظ يضعف، والنسيان يعرض .

قوله: «**لاسيما بدائع**» الأفصح فى هذا أن تكون مرفوعة بعد لا سيما، يجوز النصب ولكن الأحسن الرفع .

ومعنى الكلام: أنه يحث على كتابة هذه الأشياء، بدائع الفوائد التى تعرض للإنسان حتى لا ينساها وكذلك أيضاً ولاسيما إذا كانت فى غير مظانها لأنك أحياناً تبحث عن مسألة تظنها مثلاً فى باب الصيد وهى مذكورة فى مكان آخر، فإذا ذكرت فى مكان آخر فقيدها، وكذلك أيضاً «**خبايا الزوايا فى غير مساقها**» وهى بمعنى الجملة الأولى . و«**درراً منثورة تراها وتسمعها تخشى فواتها**» . وهذه أيضاً مسائل تعرض لك أو تعرض فى كتب أهل العلم وهى منثورة فهذه يجب أن تجمعها وتجعلهافى كتاب .



قال الشعبى: «إذا سمعت شيئاً، فاكتبه، ولو فى الحائط» . رواه خيثمة، وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع، فرتبه فى (تذكرة) أو (كناش) على الموضوعات، فإنه يسعفك فى أضيق الأوقات التى قد يعجز عن الإدراك فيها كبار الأثبات .

وهل الأولى أن ترتبها على الموضوعات أو أن ترتبها على ألف باء؟ نرى أنه على ألف باء أحسن، وذلك لأن ترتيبها على الموضوعات تختلف فيه كتب العلماء، تجد مثلاً : ترتيب الحنابلة يفترق عن الشافعية لاسيما فى المعاملات، بل إن نفس المذهب الواحد يختلف ترتيبه . ترتيب المتقدمين منهم والمتأخرين .



---

(1) وقد صح نحو هذا الأمر مرفوعاً إلى النبى ﷺ فانظره فى «**السلسلة الصحيحة**» (رقم ٢٠٢٦). (ز)

٢٨ـ حفـظ الـرعـايـة :

ابذل الوسع فى حفظ العلم (حفظ رعاية) بالعمل والاتباع، قال الخطيب البغدادى رحمه الله تعالى [(١)] : «يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته فى طلبه ويكون قصده وجه الله سبحانه . وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض، وطريقاً إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه .

جاء الوعيد لمن طلب علماً -وهو ما يبتغى به وجه الله- لم يجد عَرْف الجنة[(٢)]، أى ريحها وما ذكره الخطيب البغدادى ـ رحمه الله ـ حق أن يخلص الإنسان النية فى طلب العلم بأن ينوى امتثال أمر الله تعالى والوصول إلى ثواب طلب العلم وحماية الشريعة، والذب عنها، ورفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن غيره، كل هذه تدل على الإخلاص، ولا يكون قصده نيل الأعراض كالجاه، والرئاسة، والمرتبة، أو طريقاً إلى أحد الأعواض كالمرتبات لا يريد هذا.

فإذا قال قائل: كل الذين يطلبون العلم فى الكليات إنما يقصدون الشهادة ولذلك نرى بعضهم يريد الوصول إلى هذه الشهادات ولو بالباطل كالشهادات المزيفة، والغش، وما أشبه ذلك.

فيقال: يمكن للإنسان أن يريد الشهادة فى الكلية مع إخلاص النية، وذلك أن يريد بها الوصول إلى منفعة الخلق لأن من لم يحمل الشهادة لا يتمكن من أن يكون مدرساً أو مديراً أو ما أشبه ذلك مما يتوقف على نيل الشهادة .

فإذا قال : أنا أريد أن أنال الشهادة لأتمكن من التدريس فى الكلية مثلاً، ولولا هذه الشهادة ما درست . أريد الشهادة لأن أكون داعية، لأننا فى عصر لا يمكن أن يكون الإنسان فيه داعياً إلى الله إلا بالشهادة .

---

(١) «الجامع» للخطيب: (١/ ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ١٤٢) (ز).

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) العلم، وابن ماجه (٢٥٢) المقدمة وأحمد (٨٢٥٢) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

فإذا كانت هذه نية الإنسان فهى نية حسنة لا تضر إن شاء الله هذا فى العلم الشرعى.

أمـا فى العلم الدنيـوى فانو فـيه مـا شـئت مما أحله الله . لو تعلم الإنسـان الهندسـة وقال أريد أن أكـون مهندسـاً ليكون الراتب ١٠ آلاف ريال. فـهل هذا حرام؟ لا . . . لماذا؟ لأن هذا علم دنيـوى، كالتـاجر يتاجـر من أجل أن يحصل على ربح .

★ ★ ★

وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده فى طلب الحديث نيل الرئاسة، واتخاذ الأتباع، وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه.

وقد جاء الوعيد فيمن طلب العلم ليجارى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء [١]. فأنت لا تقصد بعلمك المفاخرة والمباهاة، وأن يكون قصدك أن تصرف وجوه الناس إليك وما أشبه ذلك. هذه نيات سـيئة وهى ستـحصل لك مع النية الصـالحة إذا نويت نية صالحة، صرت إماماً، صرت رئيساً يشير الناس إليك ويأخذوا بقولك .

وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شىء إذا كان فى اطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه .

ومعنى «**رعاية**» أن يفقه الحديث، ويعمل به، ويبينه للناس، لأن مجرد الحفظ بدون فقه للمعنى ناقص جداً، وقد قال النبى ﷺ : «**رب مبلغ أوعى من سامع**»[٢].

والمقصود بالأحـاديث أو القرآن الكريم هو فقه للمعنى حـتى يعمل به الإنسان ويدعو إليه، ولكن الله سـبحانه وتعالى بحكمتـه جعل الناس أصنافاً، منهم راوى فقط ولا يعرف من المعنى شـيئاً إلا شىء واضح بين لا يحتاج الناس إلى مناقـشته

---

(١)**حسن**: أخرجه الترمذى (٢٦٥٤) العلم عن كعب بن مالك، وحسنه الألبانى وانظر المشكاة (٢٢٣).
(٢)**صحيح**: أخرجه البـخارى (١٧٤١)، وأحمد (١٩٩٨٥) عن أبى بكرة رضي الله عنه. وأخرجـه الترمذى (٢٦٥٧) عن عبد الله بن مسعود، والدارمى (٢٣٠) عن أبى الدرداء رضي الله عنه.

فيه، لكنه فى الحفظ والثبات قوى جداً، ومن الناس من أعطاه الله فهماً وفقهاً لكنه ضعيف الحفظ إلا أنه يفجر ينابيع العلم من النصوص إلا أنه ضعيف الحفظ، ومن الناس من يعطيه الله الأمرين: قوة الحفظ وقوة الفقه، لكن هذا نادر، وقد ضرب النبى ﷺ مثلاً لما أتاه الله تعالى من العلم والحكمة.

مطر أصاب أرضاً فصارت الأرض ثلاثة أقسام :

قسم: قيعان ابتلعت الماء ولم تنبت الكلأ، فهذا مثل من أتاه الله العلم والحكمة ولكنه لم يرفع به رأساً، ولم ينتفع به، ولم ينفع به غيره .

والقسم الثانى: أرض أمسكت الماء ولكنها لم تنبت الكلأ. هؤلاء من الرواة، أمسكوا الماء فسقوا الناس واستقوا وزرعوا، لكن هم أنفسهم ليس عندهم إلا حفظ هذا الشيء.

والأرض الثالثة: أرض رياض قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ فانتفع الناس وأكلوا وأكلت مواشيهم، وهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والفقه، فنفعوا الناس وانتفعوا به.

وينبغى لطالب الحديث أن يتميز فى عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١). اهـ.

«**ينبغى**» أحياناً يراد بها الوجوب، لكن الشائع فى استعمالها أنها للندب، وهذا فى الأمور التعبدية ظاهر. أنه ينبغى للإنسان أن يتميز باستعمال آثار رسول الله ﷺ فى الأمور الاتفاقية التى وقعت اتفاقاً من غير قصد، هل يشرع أن يتبعها الإنسان أم لا؟ كان ابن عمر رضي الله عنهما وعن أبيه يتبع ذلك، حتى إنه يتحرى المكان الذى نزل فيه الرسول ﷺ وبال فيه، فينزل ويبول. وإن لم يكن محتاجاً للبول.

كل هذا من شدة تحريه لاتباع الرسول ﷺ لكن هذا قد خالفه أكثر الصحابة فيه، ورأوا أن ما وقع اتفاقاً فليس بمشروع اتباعه للإنسان. ولهذا لو قال قائل: أيسن لنا الآن ألا نقدم مكة فى الحج إلا فى اليوم الرابع لأن الرسول ﷺ قدم فى اليوم الرابع؟ الصحيح أنه لا يشرع.

ما وقع عادة فهل يشرع لنا أن نتبعه فيه؟ مثلاً: العمامة والرداء والإزار.

نقول: نعم يشرع أن نتبعه فيه.

لكن ما معنى الاتباع: هل معناه اتباعه في عين ما لبس؟ أو اتباعه في جنس ما لبس؟

الجواب: الثاني. لأنه لبس ما اعتاده الناس في ذلك الوقت.

وعلى ذلك نقول: السنة لبس ما يعتاده الناس، ما لم يكن محرماً، فإن كان محرماً وجب اجتنابه.

ما وقع على سبيل التشهي فهل نتبعه فيه؟ كان عليه الصلاة والسلام يحب الحلوى، يحب العسل، يتتبع الدباء في الأكل. هل نتبعه في ذلك.

قال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يتتبع الدباء -يعني القرع- في الطعام، فما زلت أتتبعها منذ رأيت النبي ﷺ يتتبعها.(1)

وعلى هذا فهل نقول من المشروع أنك تتبع الدباء، لأن النبي ﷺ يتبعه أم لا؟

الظاهر أن هذا الاتباع فيه أحرى من الاتباع فيما سبقه -وهو ما وقع اتفاقاً- لأن هذا لم يقع اتفاقاً، حيث إننا نعلم أن الرسول ﷺ حين يتتبعها أنه يتتبعها قصداً لا اتفاقاً.

ولاشك أن الإنسان إذا تتبع الدباء من على ظهر القصعة وهو يشعر أنه يفعل كما فعل الرسول ﷺ لاشك أن هذا يوجب له محبة لرسول الله ﷺ واتباع آثاره وحينئذ نقول: إذا تتبعت هذا فإنك على الخير، وقد يكون في الدباء منفعة طبية، تسهل، وتلين، وتكون قدماً للطعام.

قوله: «**باستعمال آثار**» هذه العبارة فيها شيء من الركاكة، ولو قال «باتباع آثار» كما عبر بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية قال: «من أصول أهل السنة والجماعة اتباع آثار النبي ﷺ ظاهراً وباطناً».

---

(1) **صحيح:** أخرجه البخاري (٢٠٩٢) البيوع، ومسلم (٢٠٤١) الأشربة عن أنس بن مالك.

وهذا هو اللفظ المطابق للقرآن ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١). أما استعمال الآثار فقد يتوهم واحد أن استعمال ثيابه وعمامته وما أشبه ذلك. لكن إذا قلنا اتباع آثار كان ذلك أحسن وأوضح.

قوله: «توظيف السنن على نفسه» يراد بذلك أن يطبق توظيفها، بمعنى تطبيق السنن على نفسه لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١). ولو ذكر آخر الآية لكان أحسن ما هي ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢١).

★ ★ ★

٢٩- تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها، أمسكها، وإن أطلقها، ذهبت» رواه الشيخان، ومالك في «الموطأ».

لو عبر بقوله: «فإن عدم التعاهد سبب لذهاب العلم» لكان أولى لقول النبي ﷺ: **«تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»**[1] فيدل ذلك على أن عدم التعاهد سببه النسيان، وليس عنوان لذهاب العلم، لأن عنوان الشيء يكون بعد الشيء.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله[2]**: «وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه، ذهب عنه أي من كان، لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يتعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟ وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه» اهـ.**

هذا فيه دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه. وهذا واضح، أن من لم يتعاهد حفظه نسيه، وكما أن هذا في المعقول، هو أيضاً في المحسوس، فمن لم

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٥٠٣٣) فضائل القرآن، ومسلم (٧٩١) صلاة المسافرين عن أبي موسى.

(٢) **«التمهيد»** (١٤/ ١٣٣-١٣٤). (ز)

يتعاهد الشجرة بالماء تموت أو تذبل، وكذلك من لم يتعاهد أغصانها تتكاثر ويفسد بعضها بعضاً فلا يستقيم وكذلك العلوم.

وقال بعضهم: [(1)] **«كل عز لم يؤكد بعلم، فإلى ذل مصيره» اهـ.**

٣٠- التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

من وراء الفقه: التفقه، ومعتمله هو الذى يعلق الأحكام بمداركها الشرعية.

وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه [(2)]**: أن رسول الله قال: «نضر الله امرأ سمع مقالتى فحفظها، ووعاها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».**

«التفقه» يعنى طلب الفقه والفقه ليس العلم. بل هو إدراك أسرار الشريعة. وكم من إنسان عنده كثير ولكنه ليس بفقيه، ولهذا حذر ابن مسعود ﷺ من ذلك فقال: «كيف بكم إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم».

الفقيه: هو العالم بأسرار الشريعة، وغاياتها، وحكمها حتى يستطيع أن يرد الفروع الشاردة إلى الأصول الموجودة، ويتمكن من تطبيق الأشياء على أصولها، فيحصل له بذلك خير كثير.

قال: «نضر الله...» نضر بمعنى: حسنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢). أى: حسنة، وقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ (الإنسان: ١١). **نضرة:** يعنى حسناً فى وجوههم، وسروراً فى قلوبهم، فيجتمع لهم حسن الظاهر والباطن. لأن الإنسان قد يغتم قلبه، ووجهه قد أعطاه الله نضارة لكن سرعان ما تزول.

---

(١) «شرح الإحياء»: (١/٩٣). (ز)

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٦٥٦) وأبو داود (٣٦٦٠) العلم وابن ماجه (٢٣٠) المقدمة عن زيد ابن ثابت، وصححه الألبانى، ورواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود برقم (٢٦٥٧) بلفظ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع» وقد سبق تخريجه. وقال أبو عيسى: وفى الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبى الدرداء، وأنس.

ومن الناس من يكون قلبه مسروراً لكن لم يعطه الله نضارة الوجه.

ومن الناس من يحصل له الأمران: السرور فى القلب ونضارة فى الوجه. وبذلك تتم النعمة.

★ ★ ★

قال ابن خير [١] -رحمه الله تعالى- فى فقه هذا الحديث: «وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك فى معانى الكلام من طريق التفهم، وفى ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث على معانى الحديث واستخراج المكنون من سره» اهـ. وللشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية رحمهما الله تعالى، فى ذلك القدح المعلى، ومن نظر فى كتب هذين الإمامين، سلك به النظر فيها إلى التفقه طريقاً مستقيماً.

لاشك أن ما ذكره -وفقه الله- هو الصواب، أن الفقه هو استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة. لكن لا ينبغى أن يقتصر على الحديث، بل نقول من الأدلة فى القرآن والسنة، ودلالات القرآن أقوى من دلالات السنة وأثبت، لأنه لا يعتريه عيب النقل بالمعنى، وأما السنة فهى تنقل بالمعنى. وعلى هذا فيقال: «**بالبحث عن معانى القرآن والحديث**».

ومن أحسن من رأيت فى استخراج الأحكام من الآيات شيخنا -رحمه الله- عبد الرحمن بن سعدى، فإنه يستخرج -أحياناً- من الآيات من الفقه ما لا تراه فى كتاب آخر، وهذا الطريق- أعنى طريق استنباط الأحكام من القرآن والسنة- هو طريق الصحابة، فما كانوا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلمونها، وما فيها من العلم والعمل.

ثم أشار الشيخ بكر إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله- وبيان ما يتوصلان إليه من الأحكام الكثيرة من الأدلة القليلة، وقد أعطاهما الله فهماً عجيباً فى القرآن والسنة.

---

(١) فى «فهرسته» (ص ٩). (ز)

ونضرب مثلاً لهذا -أعنى التفقه-، أن العلماء اتخذوا الحكم بأن أقل مدة الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) ومن قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤) فإن ثلاثين شهراً، عامان وستة أشهر، فإذا كان حمله وفصاله ﴿ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وفى الآية الأخرى ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ لزم أن يكون الحمل أقله ستة أشهر.

ومن مليح كلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قوله فى مجلس للتفقه: [1] «أما بعد، فقد كنا فى مجلس التفقه فى الدين، والنظر فى مدارك الأحكام المشروعة، تصويراً، وتقريراً، وتأصيلاً، وتفصيلاً، فوقع الكلام فى ... فأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبنى على أصل وفصلين..».

واعلم أرشدك الله أن بين يدى التفقه: «التفكر» [2] فإن الله سبحانه وتعالى دعا عباده فى غير ما آية من كتابه إلى التحرك بإحالة النظر العميق فى «التفكر» فى ملكوت السموات والأرض، وإلى أن يمعن المرء النظر فى نفسه، وما حوله، فتحاً للقوى العقلية على مصراعيها، وحتى يصل إلى تقوية الإيمان، وتعميق الأحكام، والانتصار العلمى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩). ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وعليه، فإن «التفقه» أبعد مدى من «التفكر»، إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا: ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨). **لكن هذا التفقه محجوز بالبرهان، محجور عن التشهى والهوى:** ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٥٣٤) (ز).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (ص ١٩٦-٣٢٤) «ومدارج السالكين» (١/ ١٤٦) و«التفسير الإسلامى للتاريخ» لعماد الدين خليل (ص ٢١٠-٢١٥) (ز).

إذاً نقول: المراتب، أولاً -العلم، ثم الفهم، ثم التفكير، ثم التفقه. لابد من هذا، فمن لا علم عنده كيف يتفقه؟ وكيف يعلم . . . من عنده علم وليس عنده فهم. . كيف يتفقه؟ حتى لو حاول أن يتفقه وهو مما لا يفهم لا يمكن ذلك. بعد أن تفهم. . تتفكر ما مدلول هذه الآيات؟ ما مدلول هذا الحديث؟ وتتفكر أيضاً في أنواع الدلالة، وأنواع الدلالة ثلاثة:

دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام.

فدلالة اللفظ على جميع معناه، دلالة مطابقة.

ودلالته على بعض معناه، دلالة تضمن.

ودلالته على لازم خارج، هذه دلالة التزام.

وهذا النوع الثالث من الدلالة هو الذي يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً، إذ قد يلتزم بعض الناس من الدليل ما لا يلزم، وقد يفوته ما يلزم. وبين ذلك تفاوت عظيم، فلابد أن يعمل هذه الدلالات حينئذ يصل إلى درجة التفقه واستنباط الأحكام من أدلتها.

ويذكر أن الشافعي -رحمه الله- نزل ضيفاً على الإمام أحمد بن حنبل - وأحمد تلميذ الشافعي، وكان يثني عليه عند أهله- فقدم له العشاء فأكله كله ورد الصحفة[1]. خالية، فتعجب أهل أحمد كيف يأكل الطعام كله، والسنة أن الإنسان يأكل قليلاً. **«حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»**[2] لكن الشافعي أكل كل الطعام.

هذه واحدة ثم إن الإمام أحمد انصرف إلى أهله ونام الشافعي فلما كان في آخر الليل قام يتهجد، ولم يطلب ماء يتوضأ به، أو أظنه أنه لم يقم يتهجد، ثم أذن الفجر فخرج إلى الصلاة ولم يطلب ماءً للوضوء، هذه اثنتان.

---

(١) **الصحفة:** القصعة الكبيرة.

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٩) الأطعمة عن المقدام بن معد يكرب. وقال أبو عيسي: «حديث حسن صحيح» وقال الألباني: صحيح.

فلما أصبح قال أهل الإمام أحمد له كيف تقول فى الشافعى ما تقول: والرجل أكل الطعام، ونام، وقام، ولم يتوضأ كيف إذاً؟

قال: «**آتيكم بالخبر..**» فسأله. قال: فأما الطعام فلا أجد أحل من طعام الإمام أحمد بن حنبل فأردت أن أملأ بطنى منه، أما كونى لم أتهجد فلأن التفكر فى العلم أفضل من التهجد، وأنا جعلت أتفكر فى العلم واستنبط من قول الرسول ﷺ: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[١] كذا وكذا ما أدرى قال: مائة، أو ألف.

أما كونى لم أطلب ماءً وأنا خارج لصلاة الفجر، فلم أشأ أن أطلب ماء وأنا على وضوء. فذكر ذلك لأهله. فقالوا: الآن!!

★ ★ ★

فيا أيها الطالب تحل بالنظر والتفكر، والفقه والتفقه، لعلك أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى (فقيه النفس) كما يقول الفقهاء، وهو الذى يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو (فقيه البدن) كما فى اصطلاح المحدثين.[٢]

هناك فقه ثالث ظهر، وهو فقه الواقع الذى علق عليه بعض الناس العلم. وقالوا: من لم يكن فقيه للواقع فليس بعالم، ونسوا أن النبى ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**»[٣]. ثم غفلوا عن كون الإنسان يشتغل بفقه الواقع أن ذلك يشغله عن فقه الدين، بل ربما يشغله عن الاشتغال بالتعبد الصحيح، عبادة الله وحده، وانصراف القلب إلى الله، والتفكر فى آياته الكونية والشرعية. والحقيقة أن انشغال الشباب بفقه الواقع صد لهم عن الفقه فى دين الله، لأن القلب إذا امتلأ بشىء امتنع عن الآخر.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦١٢٩) الأدب، ومسلم (٢١٥٠) الآداب، عن أنس بن مالك.

(٢) وانظر عن قولهم: «فقيه البدن»، «معالم الإيمان» (٢/ ٣٣٦، ٣٤٠) و«الثقات» لابن حبان: (٩/ ٢٤٢). (ز)

(٣) سبق تخريجه.

فانشغال الإنسان بالفقه فى الدين وتحقيق العبادة والدين والإخلاص خيراً له من البحث عن الواقع، وماذا فعل فلان؟ وربما يتلقون فقه الواقع من روايات ضعيفة أو موضوعة فى وسائل الإعلام المسموعة أو المقروءة أو المرئية أو يبنون ما يظنوه فقه واقع على تقديرات وتخمينات يقدرها الإنسان، ثم يقول هذا فعل لهذا، ويعلل بتعليلات قد تكون بعيدة من الواقع.

أو ينظر إلى أشياء خطط لها أعداؤنا من قبل على واقع معين، تغير الواقع وزال بالكلية فبقيت هذه الخطط لاشىء.

والمهم أن فقه النفس، الذى هو صلاح القلب، والعقيدة السليمة، ومحبة الخير للمسلمين وما أشبه ذلك هذا ينبنى عليه فقه البدن: معرفة هذا القول حلال أم حرام. هذا الفعل حلال أم حرام.



فَأَجِل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط. وأجمع للنظر فى فرع ما بين تتبعه وإفراغه فى قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة، كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة، وجلب التيسير، وسد باب الحيل، وسد الذرائع.

لابد لطالب العلم من أصول يرجع إليها، والأصول ثلاثة: الأدلة من القرآن والسنة، والقواعد، والضوابط المأخوذة من الكتاب والسنة.

والمهم أن يكون لدى الإنسان علم بالقواعد والضوابط حتى ينزل عليها الجزئيات والفرق بين القاعدة والضابط:

أن الضابط يكون لمسائل محصورة معينة.

والقاعدة أصل يتفرع عليه أشياء كثيرة.

فالضابط أقل رتبة من القاعدة، كما يدل ذلك اللفظ، والضابط يضبط الأشياء ويجمعها فى قالب واحد. والقاعدة أصل تفرع عنه الجزئيات.

قوله: «فأجل النظر عند الـواردات بتخريج الفروع عـلى الأصول، وتمام العناية بالقـواعد والضـوابط» هذا من أهم مـا يكون، أن الإنسان يجـعل نظره أى فكره يتجـول بتخريج الفـروع على الأصول حتى يـتمرن، لأن بعض الناس قـد يحفظ القاعدة كما يحفظ الفاتحة ولكن لا يعرف أن يخرج عليها. وهذا لاشك نقص فى التفكير. فلابد من أن يجتهد ويجيل نظره بتخريج القواعد على الأصول.

قوله: «وأجمع للنظر فى فرع مـا بين تتبعه وإفراغه فى قالـب الشريعة العام..» وهذا أيضاً مـهم عند أهل الحديث. يأتى مثـلاً نص ظاهره، الحكم بكذا لكن إذا تأملت فى هذا النص وجدته مخالفاً للقواعد العامة من الشريعة، فما موقفك؟

نقـول: لابد أن نرجع إلى القـواعد، ويحكـم على هذا بما تقتـضيـه الحاجـة. وكذلك قال العـلماء فيما لو خـالف الإنسان الثقة الثـبت من هو أرجح منه، فإن حديثه هذا -وإن كان من حيث النظر إلى مجرد الطريق نحكم بصحته- نقول: إن هذا غيـر صحـيح. لماذا؟ لأنه شاذ. والذى أوجب لكثـير من المبتـدئين فى طلب العلم أن يسلكوا مسلكاً شاذاً هو هذا.

أعنى عـدم النظر إلى القواعـد والأصول الثـابتة. وهذا أمر مـهم، وذلك لأن الشريعة إنما جـاءت لجلب المصالح الدينية والدنيوية ولدرأ المفاسـد أو تقليلها سواء كانت المفاسـد دينية أو دنيوية، ولهذا تجـد أن الله عز وجل يقدم المصلحـة العامة على المصلحة الخاصة شرعاً وقدراً.

تنزل الأمطار على الأرض، وهذا رجل تم بنيانه قـريباً. هل يضره المطر أو لا؟ نعم يضره، لكن لا عبرة. لأن العبرة بالعموم.

وكذلك تنزل وهذا الرجل قـد انتهى من السقى، والمعـروف أن الزرع إذا أصابه الماء، مطراً كان أو سقى بعد الانتهاء من سقيه أنه يضره لكن العبرة بالعموم.

فهذه مسائل ينبغى لطالب العلم أن ينتبه لها، ولهذا قال الشيخ بكر -رحمه الله- ووفقه الله **«وأصولها المطردة كقواعد المصالح»**.

وهنا نقف لنبين أن بعض الأصوليين أتى بدليل خامس: وهو المصالح المرسلة.
فقال: **الأدلة هي القرآن والسنة، والقياس الصحيح، والمصالح المرسلة.**

وهذا غلط لأن هذه المصالح الذين يدعون أنها -مصالح مرسلة- إن كان الشرع قد شهد لها أنها مصالح مرسلة فهي من الشرع داخلة في عموم الشرع: كتاب أو سنة قياس كان أو إجماع، وإن لم تكن فيها مصالح شرعية فهي باطلة فاسدة الاعتبار، وحينئذ لا نؤصل أصلاً، دليلاً ندين الله بالتعبد به بدون دليل من القرآن والسنة. لأن كونك تؤصل أصلاً يعني أنك تبني دينك على هذا.

وعلى هذا فتمسح أو فتنسخ ذكر المصالح المرسلة من الأدلة. لماذا؟ لأننا نقول: إن شهد الشرع بهذه المصلحة فهي ثابتة بالكتاب والسنة بعمومتها وقواعدها، وإن شهد ببطلانها فهي باطلة.

الآن من أهل البدع من ركب بدعته على هذا الدليل. قال: هذا من المصالح المرسلة. فالإنسان يحيي قلبه ويحركه بماذا؟ ببدعة صوفية وما أشبه ذلك وقال: نحن نطمئن الآن إذا أتينا بهذه الأذكار وعلى هذه الصفة، ويضرب الأرض حتى تتغبر قدماه. قال: هذه مصلحة عظيمة تحرك القلوب.

ماذا نقول: لو قلنا باعتبار المصالح المرسلة كل واحد يدعي أن هذه مصلحة وأصل النزاع الذي أمر الله فيه بالرد إلى الكتاب والسنة أصله أن كل واحد يرى أن كل ما عليه مصلحة، وربما يماري ليكون قوله المقبول.

المهم أن قول الشيخ بكر «**كقواعد المصالح**» مراده بذلك المصالح الشرعية، فإن كان هذا مراده فهو حق، وإن كان يريد المصالح المرسلة فهو بعيد، لأنه قال بعد ذلك «**ودفع الضرر والمشقة**» إن كان يشير إلى المصالح المرسلة فقد علمت فساد ما يجعلها دليلاً مستقلاً.

وقوله: «ودفع الضرر» أين نجد من القرآن والسنة دفع الضرر؟ كثير، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ (النساء: ٢٩). وهذه الآية تعم قتل النفس مباشرة بأن

ينتحر الإنسان أو فعل ما يكون سبباً للهلاك، ولهذا استدل عمرو بن العاص رضي الله عنه بهذه الآية على التيمم خوفاً من البرد، مع أن البرد قد لا يميت الإنسان، ولكن قد يكون سبباً لموته، استدل بها، فأقره النبي ﷺ على ذلك وضحك.

هذا من القرآن، وأيضاً من القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ (المائدة:٦). الشاهد قوله: ﴿مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ لماذا يتيمم وهو مريض، يقدر أن يستعمل الماء؟ لكن لئلا يزاد مرضه أو يتأخر برؤه.

ومن دفع المشقة أن النبي ﷺ رأى زحاماً وهو في السفر، ورجلاً قد ظلل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم. قال: «ليس من البر الصيام في السفر»[1] مع أن الرسول ﷺ يصوم وهو مسافر، وهل يفعل غير البر؟! لا لكن إذا وصلت الحال من المشقة فإنه ليس من البر، وإذا انتفى أن يكون من البر، فهو إما من الإثم وإما أن يكون من لا لك ولا عليك.

شكى إلى النبي ﷺ أن الناس عطاش وقد شق عليهم الصيام، لكنهم ينظرون متى، فدعا بماء بعد صلاة العصر ووضعه على فخذه الشريفة، وجعل الناس ينظرون إليه، فأخذه وشرب، والناس ينظرون. ثم قيل له إن بعض الناس قد صام. فقال: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»[2].

هل ورد نهي أن يبقوا على صيامهم؟ لا، ولكن العموم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء:٢٩). ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨). إذاً الشرع يراعي قواعد المصالح ودفع الضرر، دفع المشقة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٤٦) الصيام، ومسلم (١١١٥) الصيام والنسائي (٢٢٥٧) الصيام عن جابر رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١١٤) الصيام، والترمذي (٧١٠) الصوم، والنسائي (٢٢٦٣) الصيام عن جابر رضي الله عنه.

قوله: «وجلب التيسير» كل الإسلام تيسير، لكن هل اليسر هو ما تيسر على كل شخص بعينه أو باعتبار العموم؟ باعتبار العموم. ومع ذلك إذا حصل للإنسان ما يقتضى التيسير وجد الباب مفتوحاً: «**صل قائماً...**»[١] إذاً هذا تيسير، بل قال رسول الله ﷺ : «**إن الدين يسر ولا يشاد الدين أحداً إلا غلبه**»[٢].

كل الدين يسر، وكان إذا بعث البعوث يقول: «**يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا**[٣] **فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[٤].

فالحمد لله. هذا الدين للإنسان دين يسر، ، وبناء على ذلك هل يتعمد الإنسان فعل العبادة على وجه يشق عليه، أو أن يفعلها على الوجه الأيسر. أيهما أقرب إلى مقاصد الشريعة؟.

الثانى: ولهذا لو أن رجلاً فى البرد حانت صلاة الفجر وعنده ماء، أحدهما ساخن والآخر بارد.

فقال أنا أريد أن أتوضأ بالماء البارد حتى أنال أجر إسباغ الوضوء على المكاره. وقال الثانى أنا أريد أن أتوضأ بالماء الساخن حتى أوافق مراد الله الشرعى، حيث قال: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ**﴾ (البقرة: ١٨٥). أيهما أصوب؟

الثانى: بالإجماع بلاشك هو الموافق للشريعة، لأن إسباغ الوضوء على المكاره ليس المراد منه أن يتقصد الإنسان ما يكره. المراد إذا لم يمكن الوضوء إلا بمكروه.. يتوضأ هذا معناه.

وإلا لكان يقول احجج البيت على قدميك... سر من أفغانستان إلى مكة على قدميك، فإن لم تفعل فعلى سيارة خربة، تمشى قليلاً وتقف كثيراً لماذا؟ لأنها أشق. فإن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩) الإيمان، والنسائى (٥٠٣٤) الإيمان وشرائعه عن أبى هريرة.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٦٩) العلم عن أنس، ومسلم (١٧٣٢) الجهاد والسير عن أبى موسى.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٢٢٠) الوضوء، والترمذى (١٤٧) الطهارة، والنسائى (٥٦) الطهارة، وأبو داود (٣٨٠) الطهارة وأحمد (٧٢١٤) عن أبى هريرة ﷺ.

لم تستطع فعلى طيارة. ليس هذا بصحيح!! أيهما أفضل الطيارة لأنها أسهل وأيسر.

وأول ما خرجت الطيارات كنا نحدث ونحن صغار أن الحج على الطيارة ثمن الحج. وعلى السيارة نصف الحج.

والشاهد على كل حال: جلب التيسير هو الموافق لروح الدين. من هنا نرى أنه إذا اختلف عالمان فى رأى، ولم يتبين لنا الأرجح من قولهما لا من حيث الدليل، ولا من حيث الاستدلال، ولا من حيث المستدل.

وأحدهما أشد من الثانى، فمن نتبع الأيسر أم الأشد؟ الأيسر. وقيل الأشد لأنه أحوط. لكن فى هذا القول نظر لأننا نقول ما هو الأحوط؟ هل هو الأشد على بنى آدم أم هو الموافق للشرع؟ الثانى . . . ما كان أوفق للشرع.

ثم قال: **«وسد باب الحيل وسد الذرائع»**. إن هذه الأمة اتبعت سنن من كان قبلها فى مسألة الحيل، وأشد الناس حيلاً ومكراً هم اليهود، وهذه الأمة فيها من تشبه باليهود وتحايلوا على محارم الله.

والحيلة: أصلها حولة من حال يحول. هذا فى اللغة.

أما فى الشرع والاصطلاح: هى التوصل إلى إسقاط واجب أو انتهاك محرم بما ظاهره الإباحة.

مثال ذلك: رجل سافر فى نهار رمضان، قصده أن يفطر فى رمضان وليس له قصد فى السفر إلا أن يفطر. ظاهر فعله أنه حلال، لكن أراد بذلك إلى إسقاط واجب وهو الصوم.

مثال آخر: رجل تزوج بمطلقة صاحبه ثلاثاً، ورآه محزوناً عليها فذهب وتزوجها من أجل أن يحللها للزوج الأول -الذى هو صاحبه- ليس له غرض فى المرأة، وإنما يريد أن يجامعها ليلة ثم يدعها.

نقول: هذا تحيل على محرم، لأن هذه المرأة لا تحل لزوجها الأول الذى طلقها ثلاثاً وأراد أن يحللها له.

ولهذا جاء في الحديث بما هو أهل له حيث سمى **«التيس المستعار»** ومن باب الحيل أيضاً ما يفعله كثير من الناس اليوم فى مسائل الربا رجل باع سلعة بـ ١٠ آلاف إلى سنة، ثم اشتراها نقداً بـ ٨ آلاف هذه حيلة على أن يعطي ٨ آلاف ويأخذ ١٠ آلاف لأن هذا العقد صورى. ولهذا قال فيه عبد الله بن مسعود أنه دراهم بدراهم دخلت بينهم حريرة، يعنى قطعة قماش.

«سد الذرائع» الذرائع جمع ذريعة، وهى الوسيلة. والفرق بينها وبين الحيلة: أن فاعل الحيلة قد قصد التحيل. وفاعل الذريعة لم يقصد. ولكن فعله يكون ذريعة إلى الشر والفساد.

مثال ذلك: بعض النساء اليوم صارت تلبس النقاب، تغطى وجهها بالنقاب، لكن هل إن المرأة بقيت على هذا، بمعنى أنها لم تخرق فيه لستر وجهها إلا مقدار العين؟... لا، إذاً يمنع النقاب لأنه ذريعة يتوصل به إلى شىء محرم؟



وهكذا هديت لرشدك أبداً، فإن هذا يسعفك فى مواطن المضايق، وعليك بالتفقه كما أسلفت فى نصوص الشرع. والتبصر فيما يحف أحوال التشريع. والتأمل فى مقاصد الشريعة، فإن خلا فهمك من هذا، أو نبا سمعك، فإن وقتك ضائع، وإن اسم الجهل عليك لواقع، وهذه الخلة بالذات هى التى تعطيك التمييز الدقيق والمعيار الصحيح لمدى التحصيل والقدرة على التخريج:

فالفقيه: هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكما.

والبلاغى: ليس من يذكر لك أقسامها وتفريعاتها ، لكنه من تسري بصيرته البلاغية في كتاب الله، مثلاً، فيخرج من مكنون علومه وجوهها، وإن كتب أو خطب، نظم لك عقدها. وهكذا فى العلوم كافة .

هذا صحيح .. الفقيه حقيقة هو الذي يستنبط الأحكام من النصوص وينزل الأحكام عليها ، وليس من يقرأ النصوص .

من يقرأ النصوص فهو كنسخة من الكتاب، لكن من يشقق النصوص وينزل الوقائع عليها، كالبلاغى . . . وهل البلاغى هو من يبين لك البلاغة وأقسامها، والفصاحة وأقسامها ؟ أم من يكون كلامه بليغاً ؟ . . . الثانى، من يكون كلامه بليغاً فهو البلاغى، حتى ولو لم يكن يعرف من البلاغة شيئاً .

ولهذا ينبغى للإنسان أن يطبق المعلومات على الواقع . بمعنى : أنه إذا نزلت نازلة يعرف كيف يتصرف فى النصوص حتى يعرف الحكم، وإذا عرف شيئاً يمرن نفسه على أن يطبق هذا فى حياته القولية والفعلية .

★ ★ ★

٣١ ـ اللجوء إلى الله تعالى فى الطلب والتحصيل :

لا تفزع إذا لم يفتح لك فى علم من العلوم، فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك كما يعلم من تراجمهم، ومنهم : الأصمعى فى علم العروض، والرهاوى المحدث فى الخط، وابن الصلاح فى المنطق، وأبو مسلم النحوى فى علم التصريف، والسيوطى فى الحساب، وأبو عبيدة، ومحمد بن عبد الباقى الأنصارى، وأبو الحسن القطيعى، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو حامد الغزالى، خمستهم لم يفتح لهم بالنحو .

لكن هذا لا يضر . . . ما دمنا نطلب الفقه لا يضرنا أن نتكلم بكلام أو ألا نعرف النحو . لكن لا شك إذا تكلم بكلام مطابق للغة العربية فإن كلامه يكون مقبولاً محبوباً للنفس، والإنسان الذى يعرف العربية أكره ما يسمع أن يتكلم الإنسان ويلحن يكره الكلام من هذا الرجل كراهية عظيمة .

فإن عجزت عن فن فالجأ إلى الله عز وجل، ومرَّ علينا فى خلاف الأدباء أن أحد أئمة النحو ـ إذا لم يكن الكسائى ـ فهو مثله، طلب النحو وعجز عن إدراكه فى يوم من الأيام رأى نملة تريد أن تصعد بطعم لها من الجدار فكلما صعدت سقطت ثم تأخذ هذا الطعم، وتمشى، ثم تسقط، ثم تصعد، وربما كل مرة تقول:

أرفع قليلاً حتى اقتحمت العقبة وتجاوزتها، فقال : إذا كانت هذه تحاول وتفشل عدة مرات، ولكنها استمرت حتى انتهى أمرها، فرجع إلى علم النحو وتعلمه حتى صار من أئمته .

فأنت حاول لا تقول عجزت هذه المرة، تعجز هذه المرة، لكن المرة الثانية يقرب لك الأمر .

★ ★ ★

فيا أيها الطالب ! ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله فى الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - كثيراً ما يقول فى دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى : «اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمنى، ويا مفهم سليمان فهمنى» . فيجد الفتح فى ذلك . [(١)]

وهذا من باب التوسل بأفعال الله، والتوسل بأفعال الله جائز، لأن التوسل جائز وممنوع، وإن شئت فقل : مشروع وغير مشروع .

التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته وأفعاله من المشروع، وكذلك التوسل إلى الله تعالى بذكر شكوى الحال وأنه مفتقر إليه، والتوسل إلى الله بالإيمان به، والتوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، والتوسل إلى الله تعالى بدعاء من يرجى استجابة دعاءه. كل هذا مشروع.



٣٢ - الأمانة العلمية :

يجب على طالب العلم فائق التحلى بالأمانة العلمية فى الطلب، والتحمل، والعمل، والبلاغ، والأداء : «فإن [(٢)] فلاح الأمة فى صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها فى صحة علومها، وصحة علومها فى أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث فى العلم بغير أمانة، فقد مس العلم بقرحة، ووضع فى سبيل فلاح الأمة حجر عثرة .

---

(١) «فتاوى ابن تيمية»: (٤/٣٨). (ز)

(٢) «رسائل الإصلاح»: (١/١٣). (ز)

من أهم ما يكون فى طالب العلم أن يكون أميناً فى علمه، فيكون أميناً فى نقله، ويكون أميناً فى وصفه. إذا وصف الحال فيكون أميناً لا يزيد ولا ينقص، وإذا نقل فليكن أميناً فى النقل لا يزيد ولا ينقص، وكثير من الناس تنقصه هذه الأمانة، فتجده يصف فى كثير من الحال ما يوافق رأيه ويحذف الباقى، وينقل من أقوال أهل العلم، بل ومن النصوص ما يوافق رأيه ويحذف الباقى، فيكون كالذى قال:

ما قال ربك للأولى سكروا   بل قال ربك ويل للمصلين

وحذف ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥). وهذا لا شك أنه حجر عثرة، وأنه تدليس على العلم، لأن الواجب النقل بأمانة، والوصف بأمانة، وما يضرك إذا كان الدليل على خلاف ما تقول، فإنه يجب عليك أن تتبع الدليل وأن تنقله للأمة حتى تكون على بصيرة من الأمر .

ومثل هذه الحال ـ أعنى عدم الأمانة ـ يوجب أن يكون الإنسان فاسقاً لا يوثق له بخبر ولا يقبل له نقل لأنه مدلس .

★ ★ ★

لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة فى نفوسهم مستقراً، فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال .

نعم . . . لأن طلب العلم يؤدى إلى التحلى بأسنى فضيلة، وبأن ينقلوا إلى الناس ما عرفوا من الحكمة، وإنما يطلبون العلم من أجل نصر آرائهم فتجده يبحث فى الكتب ليجد شيئاً يقوى به رأيه، سواء كان خطأ أو صواباً، وهذا والعياذ بالله هو المراء والجدال المنهى عنه، أما من يقلب بطون الكتب ليعرف الحق فيصل إليه، فلا شك أن هذا هو الأمين المنصف .



وتمييز من يسرف في القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرؤونه، فلا تخفى عليهم منزلته، من القطع بصدقه، أو كذبه، أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالهما على سواء، اهـ.

٣٣ ـ الصدق : [١]

صدق اللهجة : عنوان الوقار، وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه وعلمه بأذى .

الصدق هنا قريب من مسألة الأمانة العلمية ، لأن الأمانة العلمية تكون بالصدق ، والصدق كما قال: عنوان الوقار ، وشرف النفس ، ونقاء السريرة ، وإذا كان الكذب ينجي ، فإن الصدق أنجى وأنجى ، وإن كان الكذب أيضاً لا يدوم ، لأنه سرعان ما يتبين الكذب ويفتضح الكاذب .

لكن الصدق عاقبته حميدة . فعليك بالصدق ، ولو كنت تتخيل أنه يضرك فاصبر ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

وإني لأذكر رجلاً من عامة الناس شُهر بالصدق ، فكان الناس يتناقلون أخباره في المجالس على التلذذ بها أكثر مما يذكرون أخبار العلماء الذين في وقته لأن الصدق يرفع الله به من اتصف به ، لاسيما في مسائل العلم .

فلا تقل إن الله حرم هذا وهو لم يحرمه ، ولا أوجب هذا وهو لم يوجبه ، ولا قال فلان كذا وهو لم يقله . بل تجنب هذا كله .

وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وغيره من الأئمة لا يصرحون بالتحريم إلا ما جاءت النصوص به ، وإلا فإنك تجد الإمام أحمد يقول : أكره كذا ، لا يعجبني ، لا تفعل . وما أشبه ذلك .

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» (٢٠/ ٧٤-٨٥) (ز).

وقول الشيخ بكر ـ وفقه الله ـ «**ولهذا كان فرض عين**»، يعنى الصدق فرض عين، لا فرض كفاية، فلا يقول : أنا أكذب، والثانى يصدق . . . لا . . . لا يجوز أن تكذب .

استثنى بعض العلماء ما جاء عن طريق التورية، ولكن لا حاجة للاستثناء، لأن التورية صدق باعتبار ما فى نفس القائل، كمثل قول إبراهيم عليه السلام للملك الجبار هذه أختى .

وهذا ليس بالكذب، وإن كان إبراهيم اعتذر عن الشفاعة بأنه كذب ثلاث كذبات، لكنه كذب من وجه وهو التلبيس على الظالم المعتدى، ولكنه صدق باعتبار ما فى نفس القائل .

استثنى بعض العلماء أيضاً ما جاء فى الحديث أنه لا يجوز الكذب إلا فى ثلاث : فى الحرب، والإصلاح بين الناس ،وحديث المرأة لزوجها، وحديث الرجل لزوجته .

ولكن بعض العلماء يقول : إن هذا محمولٌ على التورية، وليس على الحقيقة، فالحرب خدعة، بأن تُرى عدوك أنك تريد جهة ما، وأنت تريد الجهة الأخرى، أو تُرى عدوك أن عندك جنود كثيرة بحيث أن تجعل الجيش يتراسم، كما فعل القعقاع بن عمرو فى إحدى غزواته، قسم الجيش وهم عدد قليل، لكن العدو يظنه عدداً كثيراً .

كذلك الإصلاح بين الناس . . . لا تكذب، ولكن تأل . إذا قال لك فلان : يقول فىَّ كذا وكذا . تقول : لا لم يقل فيك شيئاً .

كذلك حديث المرأة زوجها وحديث الرجل زوجته، يعنى : على سبيل التورية لا التصريح وهذا القول ليس ببعيد، لأن الكذب كما قال الرسول ﷺ يهدى إلى الفجور، لا يهدى إلى الخير . ثم إن الإنسان إذا اعتاد هذا -لا سيما مع الزوجة- وصار كلما حدثها بحديث وبحثت عنه وجدته كذباً لم تثق فيه بعد ذلك، وربما يكون سبباً لفقدها إياه وللفراق التام .

وعند العامة يستثنى كذباً أكثر من ذلك يقولون : الكذب الحرام ما كان فيه أكل للمال بالباطل، وأما ما سواه فهو كذب أبيض، ويقسمون الكذب إلى قسمين : كذب أبيض وكذب أسود . والأبيض حلال، والأسود حرام . والأسود ما فيه أكل المال بالباطل، والأبيض ما ليس كذلك، ولكن هذا هو دين العامة وليس شريعة محمد ﷺ .

قال الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ : «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم» .

وقال وكيع ـ رحمه الله تعالى ـ : هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق» .(١)

فتعلم ـ رحمك الله ـ الصدق قبل أن تتعلم العلم.

والصدق : إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك ووديان، يجمعها ثلاثة : (٢)

١ ـ كذب المتملق : وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق لمن يعرفه فاسقاً أو مبتدعاً فيصفه بالاستقامة .

٢ ـ وكذب المنافق : وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع، كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية .

٣ ـ وكذب الغبي : بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد ؛ كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولاية .

الصدق لا شك أنه سبيل واحد، والكذب سبل، وهكذا الهداية والضلالة .

الهداية سبيلها واحد، والضلالة سبل متفرقة. قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:١٥٣).

---

(١) «الجامع» (١/ ٣٠٤) (٢/ ٧) للخطيب البغدادي.

(٢) «رسائل الإصلاح» : (١/ ٩٥-١٠٥) مهم.

وأما قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ (المائدة: ١٦).

فقد جمعها باعتبار تنوع الشرائع . . . صلاة، زكاة، صيام، حج، بر، صلة، صدقة -وما أشبه ذلك- فجمعها باعتبار وتوحيدها باعتبار آخر .

أما الكذب فضروب وألوان متعددة، ويتعدد بتعدد أغراضه فهو يجمعها ثلاثة. يقول:

١ - «كذب المتملق : وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق لمن يعرفه فاسقاً أو مبتدعاً فيصفه بالاستقامة» .

تعرف أن هذا الرجل فاسق ثم تأتي إليه وتقول : ما شاء الله أنت رجل مستقيم، مستقيم الأخلاق، مستقيم الدين، مستقيم المنهج . وأنت تعرف أنه أفسق عباد الله . هذا ماذا يقال له؟ يقال له متملق وهذا أكثر ما يكون عند الملوك والأمراء، تجد الرجل يتملق إلى الأمير أو الملك ويقول : أنت فيك كذا وأنت فيك كذا، وهذا من النفاق والعياذ بالله .

٢ - «كذب المنافق : وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع» ومنه قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ . وكونه رسول الله مطابق للواقع. ما الدليل؟ قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ . لكن شهادتهم هذه مخالفة لاعتقادهم، لأن الله قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١).

أى فى قولهم نشهد إنك لرسول الله لا فى قولهم إنه لرسول الله. هذا يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع .

وهذا باعتبار قول المنافق فى غيره، أما باعتبار قوله فى نفسه مثلاً إنه صالح، فهو يخالف الاعتقاد، ويخالف الواقع إلا ظاهراً .

٣ - «كذب الغبى: بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد». وهو أن يقول الشيء ما ليس فيه لغبائه، فيقول مثلاً عن أهل الكلام إنهم هم العقلاء، وإنهم أهل العلم والحكمة، أما أهل السنة فهم أغبياء يفوضون النصوص ولا يعرفون لها معنى .

نقول : هذا غبى، ولهذا عبر شيخ الإسلام - رحمه الله - فى كتابه «الفتوى الحموية»، عبر بهذا الوصف فقال : «**قال بعض الأغبياء : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**» .

وكذلك من يشاهد الصوفية وتصنعهم وعباداتهم، فيقول : إنهم أهل الصلاح وأهل الولاية .

نقول : أنت غبى لا تعرف حقيقتهم فلا تحكم عليهم بالصلاح حتى تعرف الحقيقة، وإلا كنت غبى .

فهذا كاذب، فهل يعذر بكذبه ؟ نقول : إذا فرط فى البحث فلا يعذر وإن كان هذا منتهى علمه، فإنه يعذر لأنه جاهل . أما الأول فهو متملق، والثانى فهو منافق فلا عذر لهم فى ذلك .



فالزم الجادة (الصدق)، فلا تضغط على عكد اللسان، ولا تضم شفتيك، ولا تفتح فاك ناطقاً إلا على حروف تعبر عن إحساسك الصادق فى الباطن، كالحب والبغض، أو إحساسك فى الظاهر، كالذى تدركه الحواس الخمس : السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس، . فالصادق لا يقول: «أحببتك» وهو مبغض، ولا يقول : «سمعت» وهو لم يسمع، وهكذا ... واحذر أن تحوم حولك الظنون، فتخونك العزيمة فى صدق اللهجة، فتسجل فى قائمة الكذابين . وطريق الضمانة لهذا -إذا نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه- أن تقهرها بذكر منزلة الصدق وشرفه، ورذيلة الكذب ودركه، وأن الكاذب عن قريب ينكشف . واستعن بالله ولا تعجزن .

ولا تفتح لنفسك سابلة المعاريض فى غير ما حصره الشرع . فيا طالب العلم ! احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامى هذا المروق (الكذب فى العلم)، لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة فى الآفاق .

هنا إضافة مهمة جـداً ،هو أن بعض الناس يتسرع فى الرقى إلى العلو بما يلفقه ويوهم الناس به من أنه عنده علم واسع، وأنه عبقرى، وأنه فى كل فن له يد وما أشبـه ذلك . وهذا لا شك أنه غلط عظيم، فهـو مع جمعـه الكذب، فيه خـيانة الناس وإيهامـهم بخلاف الواقع . وفـيه أيضـاً التغرير بالنفـس، إن الإنسان يزهو بنفسه حتى يحجمها ويكبرها وهى دون ذلك ،وكم من إنسان هلك بمثل هذا سواء فى طريق العلم أو فى طريق العبـادة، ولكن سرعان ما ينكشف، سـرعان ما يرد عليه شىء يعـجز عنه وحينئذ إما أن يـقول ما هو معلوم كذبه فـينكشف، وإما أن يتذبذب ويفتضح أمره .

ولهذا كان مما قاله عبد الله بن مسعود: «إن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم».

وذكر بعضـهم أن قول القائل : «**لا أعلم**» هى نصف العلم، ولكن فى الواقع العلم كله، والإنسـان إذا عـرف بالتـحـرى وأنه يقول بمـا لا يعلم «لا أعلم» وثق الناس بقوله، أما إذا كان يجيب على كل ما يسأل حتى لو كان لا يعرف شيئاً فيما سئل فيه، فإنه سوف ينكشف أمره وسوف لا يثق الناس بقوله حتى ولو كان حقاً. ولكن ما الذى يحمل الإنسان على أن يقول مثل هذا ؟

يحمله طلـب العلو، أن يكون فائقاً على الأقـران، أو طلب الصيت والشـهرة بحيث يقال العلامة، الفهامة، البحر الزاخر، وما أشبه ذلك .

وهذه لا شك أنها من مكائد الشـيطان، فالواجب عليك أن تعرف قـدر نفسك وأن لا تنزلها فوق منزلتها، ثم إن القول فى مسائل الدين أخطر ما يكون لأنه قولٌ على الله بلا علم، وقد قـال الله عز وجل : **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (الأعراف: ٣٣).

بعض الناس إذا عـثر على خطئـه قـال سبـحان الله، سـبحـان الذى لا ينسى نعم. . . . لكن أنت لم تنس، بل أنت جاهل من أصله.

ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن فى المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة، وأقلاماً ناقدة، فيزنون السمعة بالأثر فتتم تعريتك عن ثلاثة معان :

١ -فقد الثقة من القلوب .

٢ -ذهاب علمك وانحسار القبول .

٣ -أن لا تصدق ولو صدقت .

وبالجملة فمن يحترف زخرف القول فهو أخو الساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى [(١)] . والله أعلم .

هذا صحيح . . . الإنسان إذا تطلع إلى السمعة فقط ونزل فوق منزلته فسرعان ما ينكشف، ثم إن النية فى طلب العلم يجب فيها الإخلاص لله عز وجل، ولهذا ورد عن النبى ﷺ : «**إن من طلب علماً وهو مما يبتغى به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة . وإن من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو ليجارى به العلماء فليتبوء مقعده من النار**»[(٢)]. فالمسألة خطيرة، ولا سيما العلوم الشرعية . وذكر ثلاث مضار .

أولاً -فقد الثقة من القلوب: متى تفقد؟ إذا تبين أنه قال عن جهل ؛ ما يثقون به وينصرفون إلى غيره .

ثانياً -ذهاب علمك وانحسار القبول : لأنه إذا فقدت الثقة لم يقبله الناس فإذا كان يقبله مثلاً (١٠)، فإنهم إذا فقدوا الثقة انحسروا إلى (٥) أو إلى (٤) .

ثالثاً -أن لا تصدق ولو صدقت : حتى لو حدثتهم بحديث يعرفونه. قالوا: هذه رمية من غير رام.

---

(١) المرجع قبله.

(٢) حسن: رواه الترمذي وقد تقدم قريباً .

فالحاصل: أن الإنسان يجب أن يعـرف مقدار نفسه وأن يحـترم العلم، وأن لا يجعله له وسيلة للرقى الخادع .

★ ★ ★

٣٤ـ جُنَّـــة طـالـب العلـم :

جُنَّة العـالـم (لا أدرى) ويهتك حـجابه الاستنكاف منهـا، وقوله : يقـال ... وعليه، فإن كان نصف العلم (لا أدرى)، فنصف الجهل (يقال) و (أظن) . (١)

هذا صحـيح . . . هذا متمـم لما قبله، إن الإنسان يجب علـيه إذا لم يعلم أن يقول : لا أعلم ولا يضره، بل يزيده ثقة بقوله .

وأما قوله: «نصف الجهل أظن» أو يقال هذا صحيح . بعض العوام الآن يتصل ويقول هذا حلال أو حـرام أظنه حرام . يقال لهذا أيضـاً . نصف الجهل، ولكن هل أثق بكلام عامى ؟ ! لا . . . . لا يجـوز، ولهذا كم من الناس أفتـاهم العوام بفتاوى خاطئة ولاسيما فى أيام الحج .

★ ★ ★

٣٥ـ المحافظـة على رأس مالك (ساعات عمرك) :

الوقت الوقت للتـحصـيل، فكن حلف عـمل لا حلف بطالة وبطر، وحلس مـعـمل لا حلس تله وسـمر، فـالحفظ على الوقت، بـالجد والاجـتـهـاد، وملازمـة الطلب، ومـثـافنة الأشياخ، والاشـتغال بالعلـم قراءة وإقراء، ومطالعـة وتدبراً وحفظاً وبحثاً، لا سيمـا فى أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر ،ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العـالية، فإنها وقت جمع القلب، واجتمـاع الفكر، لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال:

---

(١) «التعالم»: (ص ٣٦) (ز).

ولهـذا قال عـمر ﷺ: **«تفـقهـوا قبل أن تسـودوا»** وفى لفظ «تسودوا» لأن الإنسان إذا ساد كثـرت المشاكل، وكثرت أفكاره وتفرقت وتمزقت عزائمـه، فبينما يعزم على شىء إذا بحـاجة نزلت به أشد إلحـاحاً مما عزم عليـه . . . فيتـفرق . ولذلك اجتهـد مادمت فى زمن الإمهال وانتبح، واعـمل، وابحث، واجعل بطون الكتب هى مرئياتك حتى تعـتاد على هذا، واعلم أنك إذا اعتدت على هذا -يعنى على الجد والاجتهاد- صار طبيعة لك بحيث لو أنك إذا كسلت يوما من الأيام فى الرحلة فإنك تستنكر هذا وتجد الفراغ، وليكن بحثك مركزاً، بحيث لا تقطف من كل زهرة جزءاً، اجعل بحثك مركـزاً الأهم فالأهم، حتى يكون لك ملكة تستطيع أن تخرج المسائل على القواعد والفروع على الأصول .

مـا للمـعـيل وللعـوالى إنما ... يـسـعى إليـهن الفـريد الفـارد

المعيل: كثير العيال.

والعوالى: جمع عالية - يعنى المنازل العالية فإذا كثرت العيال وكثرت المشاغل ألهتك لأن الإنسان بشـر، والطاقة محدودة، فمـا دمت متفرغاً فلتكن مـتفرداً. ولا تظن أن المؤلف يريد بهذا ألا تطلب العيال والنكاح، بل إن النكاح قد يكون من أسباب الراحة إذا وفق الإنسان فيه ويسرت له امرأة صالحة.

وإياك وتأمير التسويف على نفسك، فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد (التقاعد) من العمل هذا ... وهكذا، بل البدار قبل أن يصدق عليك قول أبى الطحان القينى :

حنتنى حـانيـات الدهر حـتى ... كـأنى خـاتـل أدنـو لـصـيـد

قـصيـر الخطو يحسب من رآنى ... ولـسـت مقيـداً أنـى بقيـد

خـاتل أدنو لصيـد: الرجل يكسـر ظهره كـأنه راكب يمـشى ببطء على الأرض يخشى أن الطير يحس به فيطير.

«ولست مقيداً أنى بقيد» وهذا صحيح، لأن الله عـز وجل قال فى كتابه ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤).

والإنسان فى حـالة شبـابه يظن أن لن يتعب، ولن يسـأم، ولن يمل، لكن إذا كبر فكما قال عن زكريا : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ٤). لابد أن يتعب، لا بد أن يمل، فكون الإنسان ينتهز الفرصة هذا أمرٌ لا بد منه .

وقـال أسامـة بن منقـذ:

مع الثمانين عاث الضعف فى جسـدى وساءنى ضعف رجلى واضطراب يدى

إذا كتـبت فخطى خـط مضطـرب كـخـــط مرتعش الكفـيـن مرتـعد

فاعجب لضـعف يدى عن حمله قلماً مـــن بعــد حمـل القنا فى لبة الأسد

فقــل لمن يـتمنــى طـــول مـدتــه هـــذى عواقب طول العـمر والمدد

فإن أعملت البدار، فهذا شاهد منك على أنك تحمل «كبر الهمة فى العلم» .

هذه كلهـا أبيات تدل على الحـكمة، إن الإنســان مآله إلى هذا . يقــول: «**مع الثمانين عاث الضعف فى جسدى**» أى: انتشر وشاع .

لكن المؤمن ـ والحمد لله ـ مـادام عقله باقياً وقلبه ثابـتاً، فإن بلغ هذا المبلغ من العجز البدنى، فالقلب حاضر يستطيـع أن يشغل وقته بذكر الله عز وجل والتفكير فى آياته، لأن هذا لا عجز عن مراده إلا الغفلة، والغفلة شيء مشكل .

على كل حـال فالمؤلف ـ وفـقه الله ـ يدعـونا إلى انتهـاز الفرصة وألا نـضيع الأوقات واعلم أنك إذا اعتدت على تضييع الوقت، عجزت بعد ذلك عن الحرص عليه وعن الانتفاع به، لأنك تكون قد اعتدت على الكسل . فإن قال قائل: أليس لنفسك عليك حقاً ؟ .

فالجواب: بلى، إن لنفسك عليك حقاً، ونحن لا نقول إذا تعبت أو مللت استمر . نقول : لا استرح، حتى إن الإنسان الذى يصلى إذا أتاه النعاس مأمور أن يدع الصلاة وينام .

لكن ما دمت نشيطاً فاحرص، لأن هناك فرقاً بين العجز والكسل . الكسل ضعف فى الإرادة، والعجز ضعف فى البدن، وضعف البدن لا حيلة فيه . لكن الإرادة هى التى يستطيع الإنسان أن يعود نفسه على الهمة العالية كى يستغل .

★ ★ ★

٣٦ - إجمام النفس :

خذ من وقتك سويعات تجم بها نفسك فى رياض العلم من كتب المحاضرات (الثقافة العامة)، فإن القلوب يروح عنها ساعة فساعة . وفى المأثور عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : «أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان». [١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فى حكمة النهى عن التطوع فى مطلق الأوقات [٢] : «بل فى النهى عنه بعض الأوقات مصالح أُخر من إجمام النفوس بعض الأوقات، من ثقل العبادة، كما يجم بالنوم وغيره، ولهذا قال معاذ : إنى لأحتسب نومتى، كما أحتسب قومتى ...» . [٣]

وقال [٤] : «بل قد قيل : إن من جملة حكمة النهى عن التطوع المطلق فى بعض الأوقات: إجمام النفوس فى وقت النهى لتنشط للصلاة، فإنها تنبسط إلى ما كانت ممنوعة منه، وتنشط للصلاة بعد الراحة، والله أعلم» اهـ.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (ز)

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٣/١٨٧) (ز).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٣٤٢) المغازى، ومسلم (١٨٢٤) الإمارة.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٢٣/٢١٧). (ز)

وهنا يجب أن نعلم أن إجمام النفس وإعطاءها شيئاً من الراحة حتى تنشط فى المستقبل وحتى تستريح بعض الراحة مما سبق أن هذا من الأمور الشرعية التى دل عليها قول النبى ﷺ : **«إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً فاعط كل ذى حق حقه»**(١). وهذا الحديث هو الميزان الحقيقى الذى تطمئن إليه النفس لا المروى عن عمر، ولا عن على، ولا عن غيره، فلو أن المؤلف استدل بهذا الحديث لكان أبين وأظهر، والنفس إذا جعلتها دائماً فى جد لا بد أن تمل وتسأم، وأما ما قيل إن من جملة النهى عن التطوع المطلق فى بعض الأوقات . فهذا من جملة الحكمة، وليس هو الحكمة، بل الحكمة الطبيعية هو ما ذكره النبى ﷺ :

«إن الشمس إذا طلعت فإنها تطلع بين قرنى شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، وكذلك إذا غربت يسجدون لها»(٢). فهم يسجدون لها استقبالاً، ويسجدون لها وداعاً.

أما وقت الزوال فإن الحكمة فيه : أنه الوقت التى تسجر فيه جهنم(٣) فيلحق النفس من التعب ومن الحر لاسيما فى أيام الصيف ما ينهى أن يصلى الإنسان فيه. وليس هذا القيل الذى قيل معارض للحديث ولكنه من جملة الحكمة، والله أعلم.

ولهذا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمد بعيد، وكان الأغلب فيها، يوم الجمعة، وعصر الخميس، وعند بعضهم يوم الثلاثاء، ويوم الاثنين، وفى عيدى الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام وهكذا ..

صحيح . . . العطل الأسبوعية منتشرة من زمان، لكن بعضهم يقتصر على الجمعة فقط، وبعضهم يضيف إلى الجمعة يوم الخميس، وبعضهم يجعل الجمعة ونصف الأسبوع، وكان شيخنا ـ رحمه الله ـ السعدى يفعل هذا، تكون العطلة

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (١٩٦٨) الصوم، والترمذى (٢٤١٣) عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه.
(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٨٣٢) صلاة المسافرين عن أبى أمامة.
(٣) انظر الحديث السابق.

يوم الجمعة، ويوم الثلاثاء الذى هو وسط الأسبوع لأجل لا يتوالى يومان كلاهما عطلة، وكى لا يمل الإنسان، وهذا يرجع على كل حال إلى أحوال الناس والأحوال تختلف، فيجعل من العطل ما يناسب .

★ ★ ★

ونجد ذلك فى كتب آداب التعليم، وفى السير، ومنه على سبيل المثال، «آداب المعلمين» لسحنون : (ص١٠٤)، و «الرسالة المفصلة» للقابسى : (ص١٣٥ - ١٣٧)، و«الشقائق النعمانية» (ص٢٠)، وعنه فى : «أبجد العلوم» : (١ / ١٩٥ - ١٩٦)، وكتاب «أليس الصبح بقريب» للطاهر بن عاشور، و «فتاوى رشيد رضا» : (١٢١٢)، و «معجم البلدان» : (٣ / ١٠٢)، و «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» : (٢٥ / ٣١٨ - ٣٢٠، ٣٢٩) .

★ ★ ★

٣٧ - قراءة التصحيح والضبط :

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ متقن، لتأمن من التحريف والتصحيف والغلط والوهم . وإذا استقرات تراجم العلماء - وبخاصة الحفاظ منهم - تجد عدداً غير قليل ممن جرد المطولات فى مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن .

هذه الفقرة من أهم الفقرات، وهو اتقان العلم وضبطه ومحاولة الرسوخ فى القلب، لأن ذلك هو العلم، ولا بد أن يكون على شيخ متقن أما الشيخ المتمشيخ فإياك إياك فقد يضرك ضرراً كثيراً والاتقان يكون فى كل فن بحسبه، قد تجد رجلاً متقناً فى علم الفرائض مثلاً غير متقن فى أحكام الصلاة، وتجد رجلاً متقناً لعلوم العربية غير عارف بالعلوم الشرعية وآخر بالعكس، فخذ من كل عالم ما يكون متقناً فيه مالم يتضمن ذلك ضرراً، مثل أن نجد رجلاً متقناً فى علوم العربية، لكنه منحرف فى عقيدته وسلوكه فهذا لا ينبغى أن نجلس إليه لأننا إذا جلسنا إليه اغتر به الآخرون وظنوا أنه على حق، فنحن نطلب العلم على غيره وإن كان أجود الناس فى هذا الفن، لكن ما دام منحرفاً فلا ينبغى أن نجلس إليه .

فهذا الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - قرأ «صحيح البخارى» فى عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات، و «صحيح مسلم» فى أربعة مجالس فى نحو يومين وشىء من بكرة النهار إلى الظهر .

كم عدد الساعات ؟ ١٠٠ ساعة . . الله المستعان، ولكن على كل حال هو قراءة فقط دون الشرح والتأمل .

وانتهى ذلك فى يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة ٨١٣ هـ، وقرأ «سنن ابن ماجه» فى أربعة مجالس، و «معجم الطبرانى الصغير» فى مجلس واحد، بين صلاتى الظهر والعصر . وشيخه الفيروز آبادى قرأ فى دمشق «صحيح مسلم» على شيخه ابن جهبل قراءة ضبط فى ثلاثة أيام . وللخطيب البغدادى والمؤتمن الساجى، وابن الأبار وغيرهم فى ذلك عجائب وغرائب يطول ذكرها، وانظرها فى : «السير» للذهبى : (١٨ / ٢٧٧، ٢٧٩)، و (١٩ / ٣١٠)، و (٢١ / ٢٥٣)، و «طبقات الشافعية» للسبكى : (٤ / ٣٠)، و«الجواهر والدرر» للسخاوى : (١ / ١٠٣ - ١٠٥)، و «فتح المغيث» : (٢ / ٤٦)، و «شذرات الذهب» : (٨ / ١٢١، ٢٠٦) و«خلاصة الأثر» : (١ / ٧٢ - ٧٣)، و «فهرس الفهارس» للكتانى، وَ «تاج العروس»: (١ / ٤٥ - ٤٦) . فلا تنس حظك من هذا .

الظاهر ما لنا حظٌ أبداً . . . والله المستعان .

★ ★ ★

٣٨ - جرد المطولات :

الجرد للمطولات من أهم المهمات، لتعدد المعارف، وتوسيع المدارك، واستخراج مكنونها من الفوائد والفرائد، والخبرة فى مظان الأبحاث والمسائل، ومعرفة طرائق المصنفين فى تآليفهم واصطلاحهم فيها . وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم : «بلغ»، حتى لا يفوته شىء عند المعاودة، لا سيما مع طول الزمن .

هذه فيها نظر - يعنى الجرد فى المطولات - قد يكون فيه مصلحة للطالب وقد يكون فيه مضرة، فإذا كان الطالب مبتدئ، فإن جرد المطولات له هلكة، كرجل لا يحسن السباحة يرمى نفسه فى البحر .

فإذا كان عند الإنسان علم، ولكنه أراد أن يصل إلى هذه المطولات من أجل أن يكسب فوق علمه الذى عنده، فهذا قد يكون حسن .

فهذه الفقرة تحتاج إلى تفصيل . لو أن رجلاً بدأ بالعلم من الآن ونقول له راجع المغنى وراجع المجموع شرح المهذب، وراجع الحاوى الكبير . . . راجع كذا وأعددت له الكتب الموسعة. هذا معناه أنك أهلكته ورميته فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج. أما الإنسان الذى أعطاه الله العلم، وأراد أن يتبحر ويتوسع فهنا نقول: عليك بالمطولات، وقد ذكر لى بعض الإخوة أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين لم يتجاوز «الروض المربع» فى مراجعته للفقه، ومع ذلك كان يطلق عليه مفتى الديار النجدية وله حواشى على الروض المربع وهو لم يتجاوزه، لكنه يكرره ويتأمله متطوقاً ومفهوماً إيماءً وإشارة .

أما كتابة «**بلغ**» فهذا طيب، إنك إذا راجعت كتاباً فاكتب عند المنتهى «بلغ» لتستفيد فائدتين :

الأولىـ ألا تنس ما قرأت، لأن الإنسان قد ينسى فلا يدرى أبلغ هذه الصفحة أم لا ؟ وربما يفوته بعض الصفحات إذا ظن أنه قد تقدم فى المطالعة .

الثانيةـ أن يعلم الآتى بعدك أنك قد أحصيته وأكملته فيثق به أكثر .

★ ★ ★

٣٩ـ حســـن الســـؤال :

التزم أدب المباحثة من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول : لكن الشيخ فلانا قال لى كذا، أو قال كذا، فإن هذا وهن فى الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا. وإن كنت لا بد فاعلاً، فكن واضحاً فى السؤال، وقل : ما رأيك فى الفتوى بكذا، ولا تسم أحداً .

من آداب طالب العلم :

أولاًـأن يكون عنده حسن سؤال، حسن إلقاء مثل أن يقول : أحسن الله إليك ما تقول فى كذا، وإن لم يقل هذه العبارة فليكن قوله رقيقاً بأدب .

الثانىـحسن الاستماع، أما أن تقول : يا شيخ أحسن الله إليك ماذا تقول فى كذا وكذا . . . . وانتظر .

الثالثـصحة الفهم للجواب . . . . وهذا أيضاً يفوت بعض الطلبة، تجده إذا سأل وأجيب . يستحيى أن يقول ما فهمت .

بعد هذا يأتى بعض الناس بعدما يستمع للجواب يقول: لكن قال الشيخ الفلانى كذا وكذا . . . فى وسط الحلقة . هذا من سوء الأدب، معنى هذا أنك لم تقتنع بجوابه، ومعنى هذا إثارة البلبلة بين العلماء .

وإن كان لابد فيقول : قال قائل . . . ثم يورد ما قاله الشيخ فلان لأن أحداً لا يفهم إذا قال إن قال قائل إنه أراد بذلك جواب شيخ آخر. ولهذا يقول : «**لكن إن كنت لابد فاعلاً فقل ما رأيك فى الفتوى بكذا**» وهذا أيضاً ما هو بحسن .

أحسن منه أن تقول (فإن قال قائل)، لأنك إذا قلت : ما رأيك فى الفتوى بكذا ـ وهى خلاف ما أفتاك به ـ فيعنى أنك تريد أن تعارض فتواه بفتوى آخر، لكن هى أحسن من قولك : قال الشيخ الفلانى كذا .

★ ★ ★

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- : [1] «وقيل: إذا جلست إلى عالم، فسل تفقهاً لا تعنتا» اهـ .

وقال أيضاً : «وللعلم ست مراتب» :

أولها- حسن السؤال .

الثانية- حسن الإنصات والاستماع .

الثالثة- حسن الفهم .

الرابعة- الحفظ .

الخامسة- التعليم .

السادسة- وهي ثمرته، العمل به ومراعاة حدوده» اهـ . ثم أخذ في بيانها ببحث مهم .

ترتيبها على هذا الوجه لا شك أنه مناسب .

حسن السؤال : إذا دعت الحاجة إلى حسن السؤال أما إذا لم تدع إلى السؤال فلا تلق السؤال، لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو إلى السؤال، أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال، قد يكون مثلاً هو فاهم الدرس ولكن فيه مسائل صعبة يحتاج إلى بيانها إلى بقية الطلبة، بل من أجل حاجة غيره .

والسائل من أجل حاجة غيره كالمعلم، لأن النبي ﷺ لما جاءه جبريل وسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأشراطها . قال «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[2] .

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (ص ١٨٤). (ز)

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (الإيمان) باب سؤال جبريل النبي ﷺ ، ومسلم (٨) الإيمان، والنسائي (٥٠٢) المواقيت، وأبو داود (٤٦٩٥)، وأحمد (١٨٥).

فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل . فسؤاله واضح أنه وجيه أوحاجة غيره إن سئل ليعلم غيره فهذا أيضاً طيب، أما إذا سأل ليقول الناس : ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم كثير السؤال، وابن عباس رضي الله عنهما يقول : لما سئل بما أدركت العلم ؟ قال : «**بلسان سؤول، وقلب عقول، وبدن غير ملول**»، فهذا غلط، وعلى عكس من ذلك من يقول : لا أسأل حياءً .

فالثاني مفرِّط .

والأول مفرط، وخير الأمور الوسط .

الثاني حسن الإنصات .

الثالث حسن الفهم .

الرابع الحفظ، وهذا الحفظ ينقسم إلى قسمين : قسم غريزي يهبه الله لمن يشاء، فتجد الإنسان يمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه، وقسم آخر كسبي . بمعنى أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ ويتذكر ما حفظ، فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ، سهل عليه الحفظ .

الخامسة التعليم، والذي أرى أن تكون هي السادسة وأن العمل بالعلم قبل السادسة، فيعمل بالعلم ليصلح نفسه قبل أن يبدأ بإصلاح غيره ثم بعد ذلك يعلم الناس. قال النبي ﷺ : «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»[1]. فالعمل به قبل تعليمه. بل قد تقول إن تعليمه من العمل به، لأن من جملة العمل بالعلم أن تفعل ما أوجب الله عليك فيه من بثه ونشره.



(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢٦) الزكاة، والنسائي (٢٥٤٤) عن أبي هريرة بلفظ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» وأخرجه مسلم (٩٩٧) الزكاة بلفظ: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك...».

٤٠ - المناظرة بلا مماراة : (١)

إياك والمماراة، فإنها نقمة، أما المناظرات فى الحق فإنها نعمة، إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهى مبنية على المناصحة، والحلم، ونشر العلم، أما المماراة فى المحاورات والمناظرات، فإنها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء، ومغالبة ومراء، واختيال وشحناء، ومجاراة للسفهاء، فاحذرها واحذر فاعلها، تسلم من المآثم وهتك المحارم، وأعرض تسلم وتكبت المأثم والمغرم .

المناظرة والمناقشة تشحذ الفهم وتعطى الإنسان قدرة على المجادلة . والمجادلة فى الحق مأمور بها كما قال الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل : ١٢٥) .

فإذا تمرن الإنسان على المناظرة والمجادلة حصل على خير كثير ، وكم من إنسان جادل بالباطل فغلب صاحب الحق لعدم قدرته على المجادلة . لكن المجادلة نوعان : مجادلة المماراة ، يمارى بذلك السفهاء ، ويجادل الفقهاء ، ويريد أن ينتصر قوله ، فهذه مذمومة .

والثانى لإثبات الحق وإن كان عليه ، فهذه محمودة مأمور بها . وعلامة ذلك -المجادلة الحقة- أن الإنسان إذا بلغه الحق اقتنع وأعلن الرجوع ، أما المجادل الذى يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان الحق ، وكان ظاهر الحق مع خصمه يورد إيرادات : لو قال قائل . ثم إذا أجيب . ولو قال قائل . ثم إذا أجيب ، قال ولو قال قائل . ثم تكون سلسلة لا منتهى لها ، ومثل هذا عليه خطر أن لا يقبل قلبه الحق ، لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ، لكن حتى فى خلوته ، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات . قال الله تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام : ١١٠) . وقال الله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ (المائدة : ٤٩) .

---

(١) انظر : «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» : (٢٤/ ١٧٢-١٧٤) . (ز)

فعليك يا أخى ابتغاء الحق سواء كان بمجادلة غيرك أو بمجادلة نفسك متى تبين قل: سمعنا وأطعنا . لهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به النبى ﷺ وما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات أو قول : أرأيت . . . . أرأيت .

ولهذا جادل رجل عبد الله بن عمر فقال له : أرأيت ؟! قال له : «اجعل أرأيت فى اليمن» . لأنه من أهل اليمن .

عندما سأل أهل العراق عن دم البعوضة . وهل يجوز قتل البعوضة ؟! قال : سبحان الله !! أهل العراق يقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ ويأتون يسألون عن دم البعوضة !! هذه مجادلة ولا شك .



٤١ ـ مذاكرة العلم :

تمتع مع البصراء بالمذاكرة والمطارحة، فإنها فى مواطن تفوق المطالعة، وتشحذ الذهن، وتقوى الذاكرة، ملتزماً الإنصاف والملاطفة، مبتعداً عن الحيف والشغب والمجازفة . وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق. فإن كانت مع قاصر فى العلم، بارد الذهن، فهى داء ومنافرة، وأما مذاكرتك مع نفسك فى تقليبك لمسائل العلم، فهذا ما لا يسوغ أن تنفك عنه. وقد قيل : إحياء العلم مذاكرته .

وهذا أيضاً الذى ينبغى لطالب العلم أن يقوم به، وهو المذاكرة . والمذاكرة نوعان : مذاكرة مع النفس . ومذاكرة مع الغير .

المذاكرة مع النفس: تجلس مكانك جلسة واحدة، ثم تقلب مسألة من المسائل أو تظنها مثلاً مرت عليك، ثم تأخذ فى محاولة ترجيح ما قيل فى هذه المسألة بعضها على بعض . يعنى ترجيح بعض الأقوال بعضها على بعض فى هذه المسألة .

أما المذاكرة مع الغير: فهى أيضاً واضحة يختار الإنسان مع إخوانه من الطلبة -من يكون معه- يعينه على طلب العلم، مفيداً له فيجلس معه ويتذاكرا، يقرأ

مثلاً ما حفظاه كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً أو يتذاكرا مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك، فإنه مما ينمى العلم ويزيده .

ولكن إياك والشغب والصلت، لأن هذا لا يفيد . أنت الآن تحاج فى مقام الإقناع . واعلم أنه لن يقتنع كلما اشتد غضبك عليه، بل ربما إذا اشتد غضبك عليه، اشتد غضبه عليك ثم ضاع الحق بينكما، لكن بالهدوء .

أما لو علمت منه الإعنات، مثل أن تكون أنت أعلم منه وتفهم من العلم ما لا يفهم، ولكن عرفت أن هذا الرجل يريد العنت. فحينئذ لك أن تشتد عليه وأن تقول لن أفهمك لقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (المائدة: ٤٢). ولهذا قال المؤلف : «**فإن كانت مع قاصر فى العلم بارد الذهن فهى داء ومنافرة**».

★ ★ ★

٤٢ ـ طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومهما :

فهما له كالجناحين للطائر فاحذر أن تكون مهيض الجناح .

هذا أيضاً من آداب طالب العلم . طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة، كالطائر لا يطير إلا بجناحين إذا انكسر أحدهما لم يطر، إذاً لا تراعى السنة وتغفل عن القرآن، أو القرآن وتغفل عن السنة، كثير من طلبة العلم يعتنى بالسنة وشروحها ورجالها، ومصطلحها اعتناءً كاملاً، ولكن لو سألته عن آية من كتاب الله. ما قدم الإجابة، ولا عرف شيئاً .

هذا غلط، لكن لابد أن يكون القرآن والسنة جناحين لك، والجناح الأصل هو القرآن.

وَثَمَّ أيضاً شيء ثالث ـ لكن هو داخل فى قول المؤلف (**وعلومهما**): كلام العلماء، لا تهمل كلام العلماء، ولا تغفل عنهم، لأن العلماء أشد منك رسوخاً فى العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وضوابط الشريعة ما ليس عندك فلا تغفل عنهم .

ولذلك كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح عندهم قول يقولون : «إن كان أحد قال به وإلا فلا نقول به» .

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على سعة علمه واطلاعه، إذا قال قولاً لا يعلم له قائلاً . قال : «أنا أقول به إن كان قد قيل به» . ولا يأخذ برأيه، يقول: خلاص أنا فهمت من القرآن كذا ولا على من الناس .

هذا غلط . أنت إذا رأيت أكثر العلماء على قول، فلا تعدل على أكثر العلماء إلا بعد التمحيص والتحقيق، لأنه من المستبعد أن يكون الأقل هم أهل العلم .

★ ★ ★

٤٣ ـ استكمال أدوات كل فن :

لن تكون طالبَ علم متقناً متفننا ـ حتى يلج الجمل فى سم الخياط ـ ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففى الفقه بين الفقه وأصوله، وفى الحديث بين علمى الرواية والدراية ... وهكذا، وإلا فلا تتعن . قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ (البقرة: ١٢١). فيستفاد منها أن الطالب لا يترك علماً حتى يتقنه .[1]

استكمال أدوات كل فن. يريد بذلك : أنك إذا أردت أن تكون طالب علم فى فن معين، وهو ما يعرف عندنا بالتخصص، فلابد أن تكون مستكملاً أدوات ذلك الفن، يعنى عندك علماً به، فمثلاً فى الفقه إذا كنت تريد أن تكون عالماً بالفقه، فلابد أن تقرأ الفقه وأصول الفقه لتكون متبحراً فيه، وإلا فيمكن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول ،ولكن لا يمكن أن تعرف أصول الفقه بدون الفقه .

يعنى : يمكن أن يستغنى الفقيه عن أصول الفقه، لكن لا يمكن أن يستغنى الأصولى عن الفقه، إذا كان يريد الفقه .

---

(١) «شرح الإحياء»: (١/ ٣٣٤) . (ز)

ولهذا اختلف العلماء، علماء الأصول: هل الأولى لطالب العلم أن يبدأ بأصول الفقه لابتناء الفقه عليه أو بالفقه لدعاء الحاجة إليه، حيث إن الإنسان يحتاجه في عمله، وحاجاته، ومعاملاته قبل أن يفطن إلى أصول الفقه .

والثاني هو الأولى وهو المتبع غالباً. وهنا استدل بقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**﴾ (البقرة:١٢١). والمراد بالتلاوة هنا: التلاوة اللفظية، والتلاوة المعنوية، والتلاوة العملية، مأخوذة من تلاه إذا اتبعه، فالذين آتاهم الكتاب لا يمكن أن يوصفوا بأنهم أهل الكتاب حتى يتلوه حق تلاوته.

قوله: «وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية» يعني بذلك الرواية في أسانيد الحديث ورجال الحديث . والدراية في فهم معناه .

★ ★ ★

الفصل السادس
التحلي بالعمل

٤٤ـ من علامات العلم النافع :

تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع : وهي :

١ـ العمل به .

٢ـ كراهية التزكية، والمدح، والتكبر على الخلق .

٣ـ تكاثر تواضعك كلما ازددت علماً .

٤ـ الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا .

٥ـ هجر دعوى العلم .

٦ـ إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس تنزهاً عن الوقوع بهم .

هذه من علامات العلم النافع :

أولاً : العمل به : وهذا بعد الإيمان، أن تؤمن بما علمت ثم تعمل إذ لا يمكن العمل إلا بإيمان، فإن لم يوفق الإنسان لذلك، بأن كان يعلم الأشياء ولكن لا يعمل بها فعلمه غير نافع، لكن هل هو ضار أم لا نافع ولا ضار ؟ هو ضار . . . لأن النبي ﷺ قال «**القرآن حجة لك أو عليك**»[1] ولم يقل : لا لك ولا عليك فالعلم إما نافع أو ضار .

ثانياً : كراهية التزكية، والمدح، والتكبر على الخلق : وهذه ابتلى به بعض الناس، فيزكى نفسه، ويرى أن ما قاله هو الصواب، وأن غيره إذا خالفه فهو مخطئ وما

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٣) الطهارة، والترمذى (٣٥١٧) الدعوات، والنسائى (٢٤٣٧) وابن ماجه (٢٨٠) الطهارة وسننها، وأحمد (٢٢٤٠١) عن أبى مالك الأشعرى.

أشبه ذلك، كذلك يحب المدح . تجده يسأل ماذا قالوا لما تحدثوا عنه ؟ وإذا قالوا : إنهم مدحوك، انتفخ وزاد انتفاخه حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه، كذلك التكبر على الخلق، بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ إذا آتاه الله علماً تكبر . الغنى بالمال ربما يتكبر، ولهذا جعل النبى ﷺ : العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم . [1]

لأنه ليس عنده مال يوجب الكبرياء، ولكن العالم لا ينبغى أن يكون كالغنى كلما ازداد علماً ازداد تكبراً، بل ينبغى العكس كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً، لأن من العلوم التى يقرؤها أخلاق النبى ﷺ وأخلاقه كلها تواضع للحق، وتواضع للخلق، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للخلق أو الحق . أيهما يقدم؟ التواضع للحق .

ثالثاً ـ تكاثر تواضعك كلما ازددت علماً : وهذا فى الحقيقة فرع من الثانى، يعنى تتكبر على الخلق، وينبغى كلما ازددت علماً تزداد تواضعاً .

رابعاً : الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا : هذه أيضاً قد تكون متفرعة عن كراهية التزكية والمدح، يعنى لا تحاول أن تكون رئيساً لأجل علمك، لا تحاول أن تجعل علمك مطية إلى نيل الدنيا، فإن هذا يعنى أنك جعلت الوسيلة غاية، والغاية وسيلة، ولكن هل معنى ذلك لو أنك كنت تجادل شخصاً لإثبات الحق هل ينبغى أن تجعل نفسك فوقه أو دونه ؟ فوقه لأنك لو شعرت بأنك دونه ما استطعت أن تجادله، أما لو أنك شعرت أنك فوقه من أجل أن الحق معك، فإنك حينئذ تستطيع أن تسيطر عليه .

خامساً ـ هجر دعوى العلم : معناها : لا تدعى العلم. لا تقول أنا العالم.

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٧) الإيمان، عن أبى هريرة رضي الله عنه .

ومتى كان فى المجلس تصدر المجلس، وإذا أراد أحد أن يتكلم يقول : اسكت أنا أعلم منك.

سادساً :إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس، تنزهاً عن الوقوع بهم : أن يسىء الظن بنفسه لأنها ربما تغره، وتأمره بالسوء فلا يحسن الظن بالنفس، وكلما أملت عليه أخذ بها.

أما قوله : «**إحسانه بالناس**» فهذا يحتاج إلى تفصيل . الأصل إحسان الظن بالناس وإنك متى وجدت محملاً حسناً لكلام غيرك فأحمله عليه ولا تسىء الظن، لكن إذا علم عن شخص من الناس أنه محل لإساءة الظن، فهنا لا حرج أن تسىء الظن من أجل أن تحترس منه لأنك لو أحسنت الظن به لأفضت إليه كل ما فى صدرك، ولكن ليس الأمر كذلك.

وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد :

لا تعرضن بذكرهم مع ذكرنا ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

★ ★ ★

٤٥ ـ زكاة العلم :

أد (زكاة العلم): صادعاً بالحق، أماراً بالمعروف . نهاءً عن المنكر، موازناً بين المصالح والمضار، ناشراً للعلم، وحب النفع، وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين فى نوائب الحق والمعروف .

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم وغيره.[1]

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣١) الوصية، والترمذى (١٣٧٦) الأحكام، والنسائى (٣٦٥١) الوصايا ، وأبو داود (٢٨٨٠) الوصايا عن أبى هريرة.

قال بعض أهل العلم : [1]هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعالم الباذل لعلمه، فبذله صدقة، ينتفع بها، والمتلقى لها ابن للعالم فى تعلمه عليه . فاحرص على هذه الحلية، فهى رأس ثمرة علمك . ولشرف العلم، فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان . ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفساق، وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت، فهى فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة .

هذا زكاة العلم. تكون بأمور :

منها: نشر العلم. كما يتصدق الإنسان بشىء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشىء من علمه، وصدقة العلم أبقى دواماً وأقل كلفة ومؤنة .

أبقى دواماً لأنه ربما كلمة من عالم تسمع ينتفع بها فئام من الناس ومازلنا الآن ننتفع بأحاديث أبى هريرة رضي الله عنه، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا فى عهده .

وكذلك العلماء تنتفع بكتبهم وعلومهم، فهذه زكاة. وهذه زكاة لا تنقص العلم بل تزيده .

يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفا شددت

ومن زكاة العلم أيضاً : العمل به لأن العمل به دعوة إليه بلا شك، وكثير من الناس يتأسون بالعالم وبأعماله، أكثر مما يتأسون بأقواله وهذا بلا شك زكاة أيما زكاة لأن الناس يشربون منها وينتفعون .

ومنها أيضاً: ما قاله المؤلف أن يكون صداعاً للحق . وهذا من جملة النشر، ولكن النشر قد يكون فى حال السلامة والأمن على النفس، وقد يكون فى حالة الخطر، فيكون صداعاً بالحق .

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ز)

ومنها: أى من تزكية العلم ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لاشك أنه من زكاة العلم، لأن الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر هو عارف بالمعروف وعارف بالمنكر، ثم قائم بواجبه نحو هذه المعرفة .

والمعروف: كل ما أمر به الله ورسوله . والمنكر: كل ما نهى الله عنه ورسوله. موازناً بين المصالح والمضار . لأنه قد يكون من الحكمة ألا تنهى حسب ما تقتضيه المصلحة، فالإنسان ينظر إلى المصالح والمضار .

وقوله: «**ناشراً للعلم وحب النفع**» يعنى تنشر العلم بكل وسيلة للنشر من قول باللسان وكتابة بالبنان وبكل طريق، وفى عصرنا هذا سخر الله لنا الطرق لنشر العلم، فعليك أن تنتهز هذه الفرصة من أجل أن تنشر العلم الذى أعطاك الله إياه، فإن الله تعالى أخذ على أهل العلم ميثاق أن يبينوه للناس ولا يكتموه، ثم ساق المؤلف حديث أبى هريرة ﷺ والشاهد فى قوله «**أو علم ينتفع به**» .

أما قوله: «**قال بعض أهل العلم... فبذله صدقة ينتفع بها والمتلقى لها ابن للعالم فى تعلمه عليه**».

هذا قصور . والصواب خلاف ذلك . أن المراد بالصدقة الجارية، صدقة المال . وأما صدقة العلم فذكرها بعده بقوله : «**أو علم ينتفع به أو ولد صالح**» المراد به الولد بالنسب، لا الولد بالتعليم .

فحمل الحديث على أن المراد بالعالم يُعَلِّم فيكون صدقة ويبقى علمه بعد موته ينتفع به ويكون طلابه أبناءً له، فهذا لا شك تقصير فى تفسير الحديث .

والصواب: أن الحديث دل على ثلاثة أجناس مما ينتفع به الإنسان بعد موته . الصدقة الجارية، والصدقة إما جارية وإما مؤقتة . فإذا أعطيت فقيراً يشترى طعاماً فهذه صدقة لكنها مؤقتة، وإذا حفرت بئراً ينتفع به المسلمون بالشرب، فهذه صدقة جارية .

والأولى- أن يقال «ولبركة العلم» فهذا أمثل، لكونه يزيد بكثرة الإنفاق . ووجه زيادته أن الإنسان إذا علم الناس مكث علمه فى قلبه واستقر، وإذا غفل نسى .

ثانياً- أنه إذا علم الناس فلا يخلو هذا التعليم من الفوائد الكثيرة، بمناقشة أو سؤال، فينمى علمه ويزداد، وكم من أستاذ تعلم من تلاميذه . قد يذكر التلميذ مسألة ما جرت على بال الأستاذ وينتفع بها الأستاذ فلهذا كان بذل العلم سبباً فى كثرته وزيادته .

ثم لا تيأس ولا تقل: إن الناس غلب عليهم الفسق والمجون والغفلة، لا ! ابذل النصيحة ما استطعت ولا تيأس لأنك إذا تقاعست واستحسرت فمن يفرح بذلك ؟ الفساق والفجار . كما قيل :

خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

فلا تيأس، فكم من إنسان يأست من صلاحه، ففتح الله عليه وصلح .

★ ★ ★

٤٦ـ عزة العلماء :

التحلى بـ (عزة العلماء) : صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عزه وشرفه، وبقدر ما تبذله فى هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وعليه، فاحذر أن يتمندل بك الكُبراء، أو يمتطيك السفهاء، فتلاين فى فتوى أو قضاء، أو بحث، أو خطاب ... ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره .

هذا فيه شيء صواب، وشيء فيه نظر، صيانة العلم، وتعظيمه، وحماية جنابه، لا شك أنه عز وشرف. فإن الإنسان إذا صان علمه عن الدناءة وعن التطلع إلى ما فى أيدى الناس، وعن بذل نفسه فهو أشرف له وأعز، ولكن كون الإنسان لا يسعى به إلى أهل الدنيا ولا يقف على أعتابهم، ولا يبلغه إلى غير أهله وإن عظم قدره فيه تفصيل.

فيقال إذا سعيت به إلى أهل الدنيا وكانوا ينتفعون بذلك فهذا خير، وهو داخل فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر .

أما إن كانوا يقفون من هذا العالم الذى دخل عليهم وأخذ يحدثهم، موقف الساخر المتململ، فهنا لا ينبغى أن يهدى العلم إلى هؤلاء، لأنه إهانة له وإهانة لعلمه . ولنفرض أن رجلاً دخل على أناس من هؤلاء النفر، وجلس، وجعل يتحدث إليهم بأمور شرعية، ولكنه يشاهدهم تتمعر وجوههم، ويتململون ويتغامزون، فهؤلاء لا ينبغى أن يحوم حولهم لأن هذا ذل له ولعلمه .

أما إذا دخل على هؤلاء وجلس وتحدث، ووجد وجوهاً تهش، وأفئدة تطمئن، ووجد منهم إقبالاً، فهاهنا يجب أن يفعل، ولكل مقام مقال .

لو كان دخل طالب علم صغير على هؤلاء المترفين، فلربما يقفون منه موقف الاستهزاء والسخرية، لكن لو دخل عليهم من له وزن عندهم وعند غيرهم لكان الأمر بالعكس، فلكل مقام مقال .

★ ★ ★

ومتع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمة مضوا، ترفيها بذل النفس فى سبيل هذه الحماية، لا سيما من جمع مثلاً فى هذا، مثل كتاب «من أخلاق العلماء» لمحمد سليمان - رحمه الله تعالى -.[1] وكتاب «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدرى -رحمه الله تعالى- وكتاب «مناهج العلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» لفاروق السامرائى .[2]

---

(١) مطبوع مراراً. (ز)

(٢) طبع بجدة عام ١٤٠٧هـ، نشر دار الوفاء بجدة (ز)

وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب «عزة العلماء» يسر الله إتمامه وطبعه .
وقد كان العلماء يلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز (م سنة ٣٩٢ هـ) رحمه الله تعالى كما نجدها عند عدد من مترجميه، ومطلعها :

ومن أحسن ما رأيت في هذا كتاب **«روضة العقلاء»** للبستي، كتاب عظيم على اختصاره، فيه فوائد عظيمة ومآثر كريمة للعلماء المحدثين وغيرهم، وكان مقرراً في المعاهد أيام كنا ندرس في المعهد، مقرراً كتاب مطالعة للطلاب وانتفع به الكثير.

أما ما ذكره الشيخ بكر، بعضها اطلعنا عليه، وبعضها لم نطلع عليه، لكن بعضها مختصر جداً، لا يستفيد الإنسان منه كثير فائدة . لكن **«سير أعلام النبلاء»** مفيد أيضاً فائدة كبيرة، فمراجعته عظيمة . أما كتاب «عزة العلماء» فهو من كتابات المؤلف، وهو يدعو الله تعالى أن ييسر إتمامه وطبعه .

يقولون لي فيك انقباض وإنما　　رأوا رجلاً عن موضع الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم　　ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم　　ولو عظموه في النفوس لعَظَّما

(لعَظَّما)، بفتح الظاء المعجمة المشالة.

هذا الضبط فيه نظر، والظاهر: ولو عظموه في النفوس لعُظِّما. يعني لكان عند الناس عظيماً، لكنهم لم يعظموه في النفوس بل أهانوه وبذلوه لكل غال ورخيص. وهذه مرت عليَّ في البداية والنهاية لابن كثير في ترجمة الناظم الذي نظمها.

★ ★ ★

٤٧ - صيانة العلم:

إن بلغت منصباً، فتذكر أن حبل الوصل إليه طلبك للعلم، فبفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء ... وهكذا، فأعط

العلم قدره وحظه من العمل به وإنزاله منزلته . واحذر مسلك من لا يرجون لله وقاراً، الذين يجعلون الأساس (حفظ المنصب)، فيطوون ألسنتهم عن قول الحق، ويحملهم حب الولاية على المجاراة . فالزم - رحمك الله - المحافظة على قيمتك بحفظ دينك، وعلمك، وشرف نفسك، بحكمة ودراية وحسن سياسة : «احفظ الله يحفظك» «احفظ الله فى الرخاء يحفظك فى الشدة ... ».

إذا أراد بهذا الحديث، فليس هذا لفظ الحديث، والجملة الثانية «**تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة**» هذا نص الحديث .

يريد بهذه الآداب : أن الإنسان يصون علمه، فلا يجعله مبتذلاً، بل يجعله محترماً، معظماً، فلا يلين فى جانب من لا يريد الحق، بل يبقى طوراً شامخاً، ثابتاً، وأما أن يجعله الإنسان سبيلاً إلى المداهنة وإلى المشى فوق بساط الملوك وما أشبه ذلك، فهذا أمر لا ينبغى، ولم يكن الإنسان صائناً لعلمه إذا سلك الإنسان هذا المسلك.

والواجب قول الحق، لكن قول الحق قد يكون فى مكان دون مكان، والإنسان ينتهز الفرصة فلا يفوتها، ويحذر الذلة فلا يقع فيها.

قد يكون من المستحسن أن لا أتكلم فى هذا المكان بشىء، وأن أتكلم فى مكان آخر، لأنى أعرف أن كلامى فى الموضع الآخر أقرب إلى القبول والاستجابة. فلكل مقام مقال، ولهذا يقال: «**بحكمة ودراية وحسن سياسة**»، فلابد أن الإنسان يكون عنده علم ومعرفة وسياسة، بحيث يتكلم إذا كان للكلام محل، ويسكت إذا كان ليس للكلام محل.

وقوله : «وفى الحديث «**احفظ الله يحفظك**»[1] يعنى: احفظ حدود الله كما

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥١٦) صفة القيامة، وأحمد (٢٦٦٤) عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

قال الله تعالى فى سورة التوبة : ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١١٢) . فلا ينتهكونها بفعل محرم، ولا يضيعونها بترك واجب .

وقوله: **«يحفظك»** يعنى فى دينك ودنياك وفى أهلك ومالك. **فإن قال قائل:** إننا نرى بعض الحافظين لحدود الله يصيبهم ما يصيبهم. فنقول: هذا زيادة فى تكفير سيئاتهم ورفعة درجاتهم، ولا ينافى قوله ﷺ : **«احفظ الله يحفظك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة»** .

قوله: **« يعرفك»** لا تظن أن الله تعالى لا يعرف الإنسان إذا لم يتعرف إليه، لكن هذه معرفة خاصة، فهى كالنظر الخاص المنفى عمن نفى عنه كما فى قوله تعالى: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ (آل عمران: ٧٧) . مع أن الله لا يغيب عن نظره شىء، لكن النظر، نظران :

نظر خاص، ونظر عام . كذلك المعرفة : معرفة خاصة، ومعرفة عامة . والمراد هنا المعرفة الخاصة .

بقى أن يقال : إن المشهور عند أهل العلم أن الله تعالى لا يوصف بأنه عارف. يقال: عالم، ولا يقال عارف .

وفرقوا بين العلم والمعرفة . بأن المعرفة تكون للعلم اليقينى والظنى وأنها ـ أى معرفة ـ انكشاف بعد خفاء . وأما العلم فليس كذلك .

فنقول ليس المراد بالمعرفة هنا ما أراده الفقهاء أو أراده الأصوليون إنما المراد بالمعرفة هنا: أن الله تعالى يزداد عناية لك ورحمة بك، مع علمه بأحوالك ـ عز وجل.

وإن أصبحت عاطلاً من قلادة الولاية ـ وهذا سبيلك ولو بعد حين ـ فلا بأس، فإن هذا عزل محمدة لا عزل مذمة ومنقصة .

هذه قاعدة مهمة : وهى أن الإنسان إذا أصبح عاطلاً عن قلادة الولاية، ـ وهذا سبيلك ولو بعد حين ـ يعنى سوف تترك الولاية ولو بقيت فى الولاية حتى الموت فإنك ستتركها لابد .

وقوله: «**فلا بأس، فإن هذا عزل محمدة لا عزل مذمة ومنقصة**». هذا أيضاً ليس على عمومه، لأن من الناس من يعزل عزل محمدة وعزة لكونه يقوم بالواجب عليه من الملاحظة والنزاهة، لكن يضيق على من تحته فيحفرون له حتى يقع، وهذا كثير مع الأسف. ومن الناس من يعزل لأنه قد تبين أنه ليس أهلاً للولاية، فهل هذا العزل عزل محمدة أم عزل مذمة؟ عزل مذمة لا شك.

ومن العجيب أن بعض من حرم قصداً كبيراً من التوفيق لا يكون عنده الالتزام والإنابة والرجوع إلى الله إلا بعد (التقاعد) فهذا وإن كانت توبته شرعية، لكن دينه ودين العجائز سواء. إذ لا يتعدى نفعه، أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدى نفعه، فتجده من أعظم الناس فجوراً وضرراً، أو بارد القلب أخرس اللسان عن الحق. فنعوذ بالله من الخذلان.

من العجب أن بعض الناس إذا عزل عن الولاية وترك المسئولية ازداد إنابة إلى الله عز وجل، لأنه إن عزل فى حالة يحمد عليها لجأ إلى الله وعرف أنه لا يغنيه أحد عن الله عز وجل، وعرف افتقاره إلى الله تبارك وتعالى، فصلحت حاله. وإن كان انفصاله إلى غير ذلك فلربما يمن الله عليه بالتوبة لتفرغه وعدم تحمله المسئولية، فيعود إلى الله تبارك وتعالى.

وأما قوله: «**أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدى نفعه، فتجده من أعظم الناس فجوراً وضرراً**» هذا موجود بلا شك، لكنه ليس كثيراً فى الناس، والحمد لله. لكن من الناس من يكون متهاوناً فى أداء وظيفته، فإذا تركها رجع إلى الله عز وجل.

★ ★ ★

٤٨ ـ المداراة لا المداهنة :

المداهنة خلق منحط أما المداراة، فلا، لكن لا تخلط بينهما، فتحملك المداهنة إلى حضار النفاق مجاهرة ،والمداهنة هى التى تمس دينك . (١)

لا بد أن تعرف ما الفرق بين المداهنة والمداراة .

المداهنة: أن يرضى الإنسان بما عليه قبيله، كأن يقول : لكم دينكم ولى دين، ويتركهم ..

وأما المداراة: فهو أن يعزم فى قلبه على الإنكار عليه، لكنه يداريه فيتألفه تارة، ويؤجل الكلام تارة أخرى، وهكذا حتى تتحقق المصالح .

فالفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة يراد بها الإصلاح لكن على وجه الحكمة والتدرج فى الأمور .

وأما المداهنة، فإنها الموافقة ولهذا جاءت بلفظ الدهن، لأن الدهن يسهل الأمور، والعامة يقولون فى أمثالهم: ادهن السيل يسير يعنى: أعط الرشوة إذا أردت أن تمشى أمورك .

★ ★ ★

٤٩ ـ الغرام بالكتب : (٢)

شرف العلم معلوم، لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه كحاجة البدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقصه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتد غرام الطلاب بالطلب، والغرام بجمع الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار فى هذا تطول، وفيه

---

(١) انظر «الغرباء» للآجرى: (ص ٧٩-٨٠) مهم، و«روضة العقلاء»: (ص ٧٠) لابن حبان. (ز).

(٢) انظر: «روضة المحبين»: (ص ٦٨-٦٩)، و«مفتاح دار السعادة»: (ص٨١) ففيهما أخبار طريفة وحكايات طريفة. (ز).

مقيدات فى «خبر الكتاب» يسر الله إتمامه وطبعه . وعليه، فأحرز الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يغنى منها كتاب عن كتاب، ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيما كتب المبتدعة، فإنها سم ناقع .

جمع الكتب مما ينبغى لطالب العلم أن يهتم به، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم . فإذا كان الإنسان قليل الراتب فليس من الخير ولا من الحكمة أن يشترى كتب كثيرة يلزم نفسه بغرامة قيمتها، فإن هذا من سوء التصرف .

ولذلك لم يأمر النبى ﷺ الرجل الذى أراد أن يزوجه ولم يجد شيئاً، وأن يقترض ويستدين .

واحرص على كتب الأمهات، الأصول، دون المؤلفات الحديثة لأن بعض المؤلفين حديثاً ليس عنده علم راسخ، ولهذا إذا قرأت كتاباً ما تجد أنه سطحى، قد ينقل الشىء بلفظه، وقد يحرفه إلى عبارة طويلة، لكنها غثاء .

فعليك بالأمهات، عليك بالأصل ككتب السلف، فإنها خيرٌ وأبرك بكثير من كتب الخلف .

ثم احذر أن تضم مكتبتك الكتب التى ليس فيها خير، لاأقول التى فيها ضرر بل أقول التى ليس فيها خير لأن الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام : خير، وشر، ولا خير ولا شر .

فاحرص أن تكون مكتبتك خالية من الكتب التى ليس فيها خير . هناك كتب يقال أنها كتب أدب، لكنها تقطع الوقت وتقتله من غير فائدة، هناك كتب غامضة ذات أفكار معينة ومنهج معين، فهذه أيضاً لا تدخل مكتبتك .

★ ★ ★

٥٠ـ قـــوام مكـتبتـك :

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام، والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلها كتب الشيخين : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . وعلى الجادة في ذلك من قبل ومن بعد كتب :

١ ـ الحافظ ابن عبد البر (م سنة ٤٦٣ هـ) رحمه الله تعالى، وأجلُّ كتبه «التمهيد» .

٢ ـ الحافظ ابن قدامة (م سنة ٦٢٠ هـ) رحمه الله تعالى، وأرأس كتبه «المغنى» .

٣ ـ الإمام الحافظ النووى «م سنة ٦٧٦هـ» رحمه الله تعالى .

٤ ـ الحافظ الذهبى (م سنة ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى .

٥ ـ الحافظ ابن كثير (م سنة ٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى .

٦ ـ الحافظ ابن رجب (م سنة ٧٩٥هـ) رحمه الله تعالى .

٧ ـ الحافظ ابن حجر (م سنة ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى .

٨ ـ الحافظ الشوكانى (م سنة ١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى .

٩ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب (م سنة ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى .

١٠ ـ كتب علماء الدعوة ومن أجمعها «الدرر السنية».

١١ ـ العلامة الصنعانى (م سنة ١١٨٢هـ) رحمه الله تعالى، لا سيما كتابه . النافع «سبل السلام» .

١٢ ـ العلامة صديق حسن خان القنوجى (م سنة ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى .

١٣ ـ العلامة محمد الأمين الشنقيطى (م سنة ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى . لا سيما كتابه : «أضواء البيان» .

هذا أيضاً مـهم، أن يختار الإنسـان فى مكتبتـه الكتب الأصيلة القـديمة، لأن كتب غـالب المتأخرين قليلة المعانـى، كثيرة المبـانى، تقرأ صفحـة كاملة يمكن أن تلخصها فى سطر أو سطرين مع التعـريج والمطآب والتغريزات فى بعض الكلمات التى لا تفهم إلا بعد افتراض، لكن كـتب السلف تجدها سهلة لينة رصينة، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنى .

★ ★ ★

٥١ـ التعـامـل مـع الكـتـب :

لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيراً ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته .

التعامل مع الكتاب يكون بأمور :

الأول- معرفة موضوعه، حتى يستفيد الإنسان منه لأنه يحتاج إلى التخصص.

الثانى- أن تعرف مصطلحاته، وهذا فى الغالب يكون فـى المقدمة، لأن معرفة المصطلحات يحصل بها فى الواقع أنك تحفظ أوقـات كثيرة، وهذا يفعله الناس فى مقدمات الكتب، فمثلاً نعرف أن صاحب «بلوغ المرام» إذا قال : متفق عليه، يعنى رواه البخارى ومسلم. لكن صاحب «المنتقـى» إذا قال متفق عليه فى الحديث يعنى أنه رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم .

كذلك أيضاً كتب الفقه يفرق بين القولين، الوجهين، الروايتين، والاحتمالين، كمـا يعرف الناس من تتبع كـتب الفقهـاء. الروايتين عن الإمام، والوجـهين عن أصحـابه، لكن أصحاب المذهب الكبـار أهل التوجيـه، والاحتمـالين للتردد بين قولين: والقولين أعمُّ من ذلك كله .

كذلك يحتـاج أن تعرف إذا قال المؤلف: إجماعاً أو إذا قـال: وفاقاً. إذا قال: إجماعاً يعنى بين الأمة، وفاقاً مع الأئمـة الثلاثة كما هو اصطلاح صاحب الفروع فى فقه الحنابلة.

الثالث- معرفـة أسلوبه وعباراته، ولهذا تجد أنك إذا قرأت الكتـاب أول ما تقرأ لاسيـما من الكتب العلميـة المملوءة علماً، تجـد أنك تمر بك العبارات تحـتاج إلى تأمل وتفكير فى معناها، لأنك لم تألفها فإذا كررت هذا الكتاب ألفته، وانظر مثلاً إلى كتب شيخ الإسـلام ابن تيمية، الإنسـان الذى لا يتمرن على كتـبه يصعب أن يفهمها لأول مرة، لكن إذا تمرن عرفها بيسر وسهولة .

أما ما يتـعلق بأمر خارجى عن التعامل مع الكتـاب، وهو التعليق بالهوامش أو بالحواشى، فهذا أيضاً مما يجب لطالب العلم أن يغتنمه، وإذا مرت به مسألة تحتاج إلى شرح أو دليل أو إلى تعليق ويخشى أن ينساها فـإنه يعلقها، إما بالهامش وهو الذى على يمينه أو يساره وإما بالحاشية، وهى التى تكون بأسفل .

وكذلك أيضـاً إذا كان الكتاب فيـه فقه مـذهب من المذاهب ورأيت أنه يخالف المذهب فى حكم هذه المسألة، فـإنه من المستحسن أن تقيـد المذهب فى الهامش أو الحاشية حتى تعرف أن الكتاب خـرج عن المذهب، ولاسيما إذا كان المذهب أقوى مما ذهب إليه صاحب الكتاب.

٥٢- ومـنـه :

إذا حـزت كـتـاباً، فـلا تدخله فى مكتـبتك إلا بعد أن تمر عليـه جـرداً، أو قـراءة لمقدمتـه، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنه فى المكتبة، فربما مـر زمـان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب، والله الموفق .

هذا صحيح .... وهو حاصل كثيراً، أكثر ما يكون فى حال الإنسان إذا جاءه كتاب جديد يتصفحه، أو إذا كان كثيراً يقرأ الفهرس .

قلَّ أن تجد شخصاً - مثلاً - أو مر بك حال من حين يأتيك الكتاب أن تقرأه .. هذا قليل.

وإنما قال الشيخ هذا، لأجل إن احتجت إلى مراجعته عرفت أنه يتضمن حكم الذى تريد، أما إذا لم تجرده مراجعة ولو مروراً فإنك لا تدرى ما فيه من الفوائد والمسائل، فيفوتك شيء كثير موجود فى هذا الكتاب الذى عندك فى الرف .

★ ★ ★

٥٣ - إعجام الكتابة:

إذا كتبت فأعجم الكتابة بإزالة عجمتها، وذلك بأمور :

١ - وضوح الخط .

٢ - رسمه على ضوء قواعد الرسم (الإملاء) . وفى هذا مؤلفات كثيرة من أهمها : «كتاب الإملاء» لحسين والى [١] . «قواعد الإملاء» لعبد السلام محمد هارون[٢] . «المفرد العلم» للهاشمى، رحمهم الله تعالى . [٣]

٣ - النقط للمعجم والإهمال للمهمل . [٤]

٤ - الشكل لما يُشكِل .

٥ - تثبيت علامات الترقيم فى غير آية أو حديث . [٥]

لا بد أن تكون عالماً، أخشى أن تقع فى قول القائل: يريد أن يعربه فيعجمه، لا بد أن تكون عالماً بالنحو، وإذا شكلت عليك الكلمة فأرجع إلى مظانها، إذا أشكل عليك تركيب الكلمة أو حركاتها فى تركيبها لا فى إعرابها فارجع إلى كتب اللغة لأن هناك أخطاء شائعة بين الناس، مثلاً يقولون : تجرِبة وتجارِب .

ثم ذكر قواعد إملائية يجب مراعاتها .

---

(١) طبع ثم صور عام ١٤٠٥ هـ، بيروت / دار القلم. (ز)
(٢) طبع الخانجى بمصر عام ١٣٩٩هـ الطبعة الرابعة. (ز)
(٣) الطبعة الثانية والعشرون، المكتبة التجارية الكبرى بمصر. (ز)
(٤) لأن الترك يؤدى إلى الاشتباه. (ز)
(٥) «الترقيم وعلاماته» أحمد زكى باشا، طبع عام ١٣٣٠ هـ. (ز)

الفصل السابع

المحاذير

٥٤ - حلم اليقظة:

إياك و (حلم اليقظة)، ومنه بأن تدعى العلم لما لم تعلم، أو اتقان ما لم تتقن، فإن فعلت ؛ فهو حجاب كثيف عن العلم .

هذا صحيح . . . أحياناً بعض الناس يرى الحاضرين بأنه عالم مطلع ، فتجده إذا سئل . . . يسكت قليلاً - كأنه يتأمل ويطلع على الأسرار ثم يرفع رأسه ويقول: هذه المسألة فيها قولان للعلماء !!

فلا تدعى ولا تنصب نفسك عالماً مفتياً وأنت لا علم عندك ؛ لأن هذا من السفه بالعقل وضلال فى الدين. ولهذا قال: «فإن فعلت فهو حجاب كثيف عن العلم».

٥٥ - احذر أن تكون «أبا شبر» : (١)

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل فى الشبر الأول، تكبر، ومن دخل فى الشبر الثانى، تواضع، ومن دخل فى الشبر الثالث، علم أنه ما يعلم.

يتكبر لأنه ما عرف نفسه حقيقة، والثانى تواضع، لكن يرى نفسه عالماً، والثالث يرى نفسه جاهلاً لا يعلم .

لكن هذه الأخيرة محمودة أم لا ؟ لو رأيت نفسك جاهلاً فاعلم أنك لن تقدم على عزم فى الفتيا، ولذلك ترى بعض الطلبة لا يعطيك جزماً يقول: الذى يظهر. . . يحتمل . . . إلخ .

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص ٦٥). (ز)

ما دام الله فتح عليك وكنت عالماً حقاً، فاعتبر نفسك عالماً . . اجزم بالمسألة، لا تجعل الإنسان السائل طريح الاحتمال، وإلا ما أفدت الناس .

أما الإنسان الذى ليس عنده علم وتمكن فهذا ينبغى أن يرى نفسه غير عالم .

★ ★ ★

٥٦ـ التصــدر قبــل التأهــل :

احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة فى العلم والعمل . وقد قيل : من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه .

هذا أيضاً مما يجب الحذر منه، أن يتصــدر الإنسان قبل أن يكون أهل للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأول- إعجابه بنفسه، حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام .

الثانى- أن ذلك يدل على عــدم فقــهــه ومعــرفــته بالأمــور، وإذا الناس رأوه متصدراً، أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره .

الثالث- أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل، لزمــه أن يقول على الله ما لا يعلم، لأن غالب من كان هذا قــصده الغالب أنه لا يبالى أن يحطم العلم تحطيــماً وأن يجيب عن كل ما سُئل عنه .

الرابع- أن الإنســان إذا تصدر فــإنه فى الغــالــب لا يقــبل الحق، لأنه يظن بسفهــه أنه إذا خضع لغيره، وإن كان معــه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بأهل فى العلم .



٥٧ـ التنمر بالعلم :

احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين . فإذا كان فى مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيها ؛ ليظهر علمه ! وكم فى هذا من سوأة، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته .

وقد بينت هذه مع أخوات لها فى كتاب «التعالم»، والحمد لله رب العالمين .

يأتى الإنسان بمسألة من المسائل ويبحثها، ويحققها بأدلتها، ومناقشة العلماء، عالم يشار إليه بالبنان يقول: ماذا تقول أحسن الله إليك فى كذا وكذا ؟ قال: هذا حرام. قال كيف؟ بماذا نجيب على قول النبى ﷺ كذا وعن قول فلان بكذا ويجيب بالأدلة التى لا يعرفها العالم ؛ لأن العالم ليس مُلِماً بكل شىء، لكى يظهر نفسه أنه أعلم من هذا العالم، ولذلك تجد العوام يتحدثون : والله فلان البارحة جالس مع فلان ـ كبير من العلماء ـ وأفحمه فى المسألة وصار كبير كبار العلماء.

وهذا واقع كثير من العلماء الآن وطلبة العلم، يكون له اختصاص معين كأن يدرس باب النكاح مثلاً ويحقق فيه . لكن لو تخرج به إلى باب البيع ـ الذى هو قبل باب النكاح فى ترتيب الفقهاء ـ لن تجد عنده شيئاً، كثير من الناس الآن يتنمر فى علم الحديث، يقول روى فلان عن فلان وفيه انقطاع، وسبب انقطاعه كذا . ثم لو تسأله عن آية من كتاب الله ما أجاب .

★ ★ ★

٥٨ـ تحبير الكاغد :

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية[١]، والذي نهايته «تحبير الكاغد»[٢]، فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عاراً، وتبدي به شناراً .

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه، وتمرس به بحثاً، ومراجعة، ومطالعة، وجرداً لمطولاته، وحفظاً لمختصراته، واستذكاراً لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء .

ولا تنس قول الخطيب : «من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس» .

هذه الشروط التي ذكرها الآن متعذرة . الآن تجد رسائل في مسألة معينة يكتبها أناس ليس لهم ذكر ولا معرفة، وإذا تأملت ما كتبوه وجدت أنه ليس صادراً عن علم راسخ، وأن كثيراً منه نقولات، وأحياناً ينسبون النقل إلى قائله، وأحياناً لا ينسبون، وعلى كل حال نحن لا نتكلم عن النيات، فالنية علمها عند الله عز وجل . ولكن نقول : انتظر . . . انتظر .

وإذا كان لديك علم وقدرة فاشرح هذه الكتب الموجودة شرحاً لأن بعض هذه الكتب لا يوجد فيه الدليل على وجه كامل .

★ ★ ★

---

(١) أول من ذكرها ابن حزم في «نقط العروس» وانظر تسلسل العلماء لذكرها في «إضاءة الراموس» (٢/٢٨٨) مهم . (ز)

(٢) هو القرطاس : فارسي معرب . (ز)

٥٩ـ موقفك من وهم مَنْ سبقك :

إذا ظفرت بوهم لعالم، فلا تفرح به للحطِّ منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، لا سيما المكثرين منهم .

وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالم «يريد أن يطب زكاماً فيحدث به جذاماً» .[1]

نعم ؛ ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه، والحط عليه فيغتر به من هو مثله .

هذا أيضاً مهم جداً، وهو موقف الإنسان من وهم من سبقه أو من عاصره أيضاً . هذا الموقف له جهتان :

الجهة الأولى- التصحيح وهذا أمر واجب، ويجب على كل إنسان عثر على وهم إنسان ـ ولو كان من أكابر العلماء في عصره ـ أو فيمن سبقه ـ يجب عليه أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ، لأن بيان هذا الوهم أمر واجب، ولا يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل، لأن احترام الحق أولى من مراعاته . لكن هل يصرح بذكر قائل الخطأ أو الوهم، أو يقول : توهم بعض الناس وقال كذا وكذا ؟ هذا ينظر إلى المصلحة .

قد يكون من المصلحة ألا يصرح، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره، موثوق عند الناس محبوب إليهم. فيقول: قال فلان كذا وكذا خطأ، فإن العامة لا يقبلون منه شيئاً بل يسخرون به، ويقولون: من أنت حتى ترد على فلان، ولا يقبلون الحق. ففي هذه الحال يجب أن يقول: من الوهم أن يقول القائل كذا وكذا. ولا يقل: فلان.

---

(١) «مجمع البلاغة» للراغب. (ز)

وقد يكون هذا الرجل ـ الذى توهم ـ متبوعـاً يتبعه شرذمة من الناس وليس له قدر فى المجتمع، فحينئذ يصرح، لئلا يغتر الناس به، فيقول : قال فلان كذا وكذا وهو خطأ .

الجهة الثانية: فى موقف الإنسان من وهم من سبقه أو من عاصره أن يقصد بذلك بيان معايبه لا إظهار الحق من الباطل .

وهذه إنما تقع من إنسان حاسـد ـ والعياذ بالله ـ يتمنى أن يجد قولاً ضـعيفاً أو خطأ لشـخص ما، فـينشره بين الناس ولهـذا نجد أهل البـدع يتكلمون فى شـيخ الإسلام ابن تـيميـة -رحمـه الله- وينظرون إلى أقرب شىء يمكن أن يـقدح به، فينشـرونه ويعيبونه، فـيقولون : خـالف الإجماع فى أن الثلاث طلقـات واحدة، فيكون هذا شاذاً . ومن شذَّ شذَّ فى النار، يحكم بأن الإنسان إذا قال لامرأته أنت طالق، بأن يكفر كـفارة يمين، مع إنه لـم يتكلم باليمين إطلاقـاً، وإنما قال : إذا فعلت كذا فأنت طالق مثلاً .

يقول بأن الله تعـالى لم يزل فعالاً ولم يزل فاعـلاً، وهذا يستلزم أن يكون مع الله قديم، لأن هذه المقولات الواقعة بفعل الله، إذا جعل فعل الله قديماً لم يزل، لزم أن تكون المفعولات قديمة، فيكون قد قـال بوجود إلهين . . . وما أشبهها من هذه الكلمات التى يأخـذونها زلة من زلاته يشيعونهـا بين الناس، مع أن الصواب معه. لكن الحاسد الناقم ـ والعياذ بالله ـ له مقام آخر .

فأنت فى وهم من سبقك يجب أن يكون قـصدك الحق، ومن كان قصده الحق وفق للقول، أما من كان قصده أن يظهر عـيوب الناس، فإن من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى بيت أمه .

ثم يقـول : «إذا ظفـرت بوهم لعالـم فلا تفـرح به للحط منه، ولكن افـرح به لتصحيح المسـألة فقط» . والحقيقة أنى أقول: لا تفـرح به إطلاقاً، إذا عثرت على وَهْمِ عالم فحـاول أن تدفع اللوم عنه وأن تذب عنه، لاسيما إذا كـان من العلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة .

أما أن أفرح بها، فهذا لا ينبغى حتى وإن كان قصدى تصحيح الخطأ . ولهذا لو كانت العبارة «إذا ظفرت بوهم عالم فلا تفرح به للحط منه ولكن التمس العذر له وصحح الخطأ» هذا صواب العبارة .

ثم قال : «فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، ولاسيما المكثرين منهم». والأفصح أن يقول : **«لاسيما المكثرون منهم»**.

يقول إن المنصف يعنى الذى يتكلم بالعدل، ويتتبع أقوال العلماء يعلم أنه ما من عالم إلا وله أوهام وأخطاء ،ولاسيما المكثر الذى يكثر الكتابة والفتوى . ولهذا قال بعضهم : من كثر كلامه، كثر سقطه . ومن قل كلامه، قل سقطه .

ثم قال : «وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالم» يريد أن يطب زكاما فيحدث به جذاماً.

فى الحقيقة لا يفرح به للتنقص إلا إنسان معتدى لا متعالى . معتدى يريد العدوان على الشخص نفسه ،ويريد العدوان على العلم الصحيح، لأن الناس إذا وجدوا هذا العالم أخطأ فى مسألة ضعف قوله، أو ضعفت قوة عندهم حتى فى المسائل الصحيحة .

★ ★ ★

٦٠ـ دفع الشبهات : [(١)]

لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب ـ المبتدعة ـ فتوقهم .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (ص ١٥٣). (ز)

هذه الوصية أوصى بها شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم قال: «**لا تجعل قلبك كالإسفنجة يشرب ويقبل كل ما ورد عليه، ولكن اجعله زجاجة صافية تبين ما وراءها ولا تتأثر بما يرد عليه**» .

كثير من الناس يكون قلبه غير مستقر ويورد شبهات . وقد قال العلماء رحمهم الله قولاً حقاً وهو : أننا لو طاوعنا الإيرادات العقلية ما بقى علينا نص إلا وهو محتمل مشتبه، ولهذا كان الصحابة ﷺ يأخذون بظاهر القرآن وبظاهر السنة، ولا يوردون : ولو قال قائل .

نعم إن كان الإيراد قوياً أو كان هذا الإيراد قد أورد من قبل فحينئذ يبحث الإنسان، أما أن يجعل يفكر إذا نام على فراشه «إنما الأعمال بالنيات»[1] أفلا يحتمل بالأعمال العبادات الأم : كالصلاة والزكاة والحج والصوم، والباقي لا نية له. يمكن، فيه احتمال عقلياً ؛ ثم يبنى على الاحتمال الذى أورده على نفسه احتمالات أخرى.

وما أكثر هذا فى بعض الناس، نجده دائماً يورد إيرادات، وهذا فى الواقع ثَلْمٌ عظيم فى تلقى العلم .

اترك الإيرادات، وامش على الظاهر فهو الأصل، ولهذا اقرأوا الآن سيرة النبى ﷺ وسيرة الصحابة، والأحاديث تجدوا المسألة على ظاهرها .

لمَّا حدَّث النبى ﷺ الصحابة بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير .

قالوا : يا رسول الله كيف ينزل؟ وهل السماء تسعه؟ وهل يخلو من العرش؟ هل قالوا هكذا؟! أبداً.

---

(١) سبق تخريجه.

لَمَّا حدثهم أن الموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش، ثم يُقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ثم يذبح بين الجنة والنار .

قالوا: كيف يكون الموت كبشاً؟ ما قالوا هذا !!

لذلك أنصح نفسى وإياكم ألا توردوا هذا على أنفسكم، لاسيما فى أمور الغيب المحضة، لأن العقل يحار فيها، ما يدركها، فدعها على ظاهرها ولا تتكلم فيها.

قل سمعنا وآمنا وصدقنا، وما وراءنا أعظم مما نتخيل . فهذا مما ينبغى لطالب العلم أن يسلكه.

★ ★ ★

٦١ـ احذر اللحن :

ابتعد عن اللحن فى اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق، ووقوف على ملاح المعانى لسلامة المبانى : فعن عمر رضى الله عنه أنه قال : «تعلموا العربية، فإنها تزيد فى المروءة» (١) . وأسند أيضاً عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن (٢). وأسند أيضاً ـ عن الرحبى قال: «سمعت بعض أصحابنا يقول : إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر، صار الحديث بالفارسية»(٣) وأنشد المبرد .

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن(٤)

---

(١) «الجامع» للخطيب : (٢/ ٢٥) . (ز)

(٢) «الجامع» للخطيب : (٢/٢٨-٢٩) . (ز)

(٣) «الجامع» للخطيب : (٢/٢٨) . (ز)

(٤) لبعض العلماء تعقيب على ما أنشده المبرد من أن أجل العلوم علم التوحيد، لكن الجلالة هنا نسبة إلى علوم الإله. والله أعلم. (ز)

وعليه، فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة - رحمه الله تعالى - : «تعلم النحو: أوله شغل، وآخره بغى» .

ولا بقول بشر الحافى - رحمه الله تعالى - : «لما قيل له : تعلم النحو قال : أضل . قال: قل ضرب زيد عمراً . قال بشر : يا أخى! لم ضربه؟ قال : يا أبا نصر ! ما ضربه وإنما هذا أصل وضع . فقال بشر : هذا أوله كذب، لا حاجة لى فيه» . رواهما الخطيب فى «اقتضاء العلم العمل» .

اللحن معناه: الميل سواء كان فى قواعد التصريف أو فى قواعد الإعراب. قواعد الإعراب يمكن الإحاطة بها، فيعرف الإنسان القواعد ويطبق لفظه أو كتابته عليها.

قواعد التصريف هى المشكلة، أحيانا يأتى الميزان الصرفى على غير قياس، يأتى سماعياً بحتاً، وحينئذ لا يخلو إنسان من الغلط فيه .

عندك جموع التكسير، تحتاج إلى ضبط . عندك أبنية المصادر تحتاج إلى ضبط، ومع هذا لو ضبطتها سوف تجد شاذاً كثيراً عنها، ولكن نقول : سدد وقارب . فعليك بأن تعدل لسانك وأن تعدل بنانك، وأن لا تكتب إلا بعربية، ولا تنطق إلا بعربية، فإن عدم اللحن جلالة وصفاء لون، ووقوف على ملامح المعانى لسلامة المبانى. كلما سلم المبنى اتضح المعنى .

وعن عمر ﷺ قال : «تعلموا العربية فإنها تزيد فى المروءة» . هذه يقولها فى عهده، يأمر بتعلم العربية خوفاً من أن تتغير بلسان الأعاجم بعد الفتوحات .

لكن مع الأسف أننا فى هذا الزمن - الذى ليس لنا شخصية وصرنا أذيالاً وأتباعاً لغيرنا - صار منا من يرى أن من تكلم بالإنجليزية أو بالفرنسية هو ذو مروءة، ويفخر إذا كان يعرف الإنجليزية أو الفرنسية، بل إن بعضنا يعلم أولاده اللغة غير العربية .

بعض الصبيان يأتى يقول مع السلامة، فيقول : باى باى .

فى الهاتف يقـول : آلو . لماذا لم تقل : السلام عليكم، لأنك الآن تسـتأذن، فهذه أشياء ـ مع الأسف ـ لما كنا ليس لنا شخصية، ويجب أن يكون لنا شخصية، لأننا والحمد لله أهل دين وشريعة، لكن صار بعضنا أذيالاً .

عمر يقـول : «تعلموا العربية فإنهـا تزيد فى المروءة»، وبناءً على ذلك : كلما كان الإنسان أعلم بالعربية صار أكبر مروءة وأكثر .

قـال : «وقـد ورد عن جمـاعـة من السلف أنهم كـانوا يضـربون أولادهم على اللحن» واللحن قليل فى ذلك الوقت، ومع ذلك يضربونهم عليه . عندنا الآن لا أحد يضرب على الـلحن لا أولاده، ولا تلاميذه، ولا غيره، على الأقـل بالنسبة للتلامـيذ إذا أخطأ الإنسـان فى العربيـة فرد عليه حـتى لا يكون أخطأ، وظن أن سكوتك يدل على صحة ما نطق به .

★ ★ ★

٦٢ ـ الإجهـاض الفكـــرى :

احذر (الإجهاض الفكرى)، بإخراج الفكرة قبل نضوجها .

هذا بمعنى ما سبق، أنك لا تتـعجل فيما يتبـين لك شيئاً تخرجـه، لاسيما إذا كان هذا الشىء الذى أنت تريد أن تخرجه مخالفاً لقـول أكثر العلماء أو مخالفاً لما تقتـضيه الأدلة الأخـرى الصحيـحة، لأن بعض الناس يمشى مـع بنيات الطريق، فتـجده إذا مر بحـديث ـ ولو كان ضـعيفـاً شاذاً ـ أخذ به، ثم قـام يتكلم به فى الناس، فيظن الناس لهذا أنه أدرك من العلم ما لم يدركه غيره، فنقول الذى بينك وبين الله: إذا رأيت حديثاً يدل على حكم تعارضه الأحـاديث الصحيحة التى هى عماد الأمة، والتى تلقاها الأمة بالقبـول فلا تتعجب، وكذلك إذا رأيته على حكم خالف الجمهور، فلا تتعجب . لكن إذا تبين لك الحق فلابد من القول به .

٦٣ـ الإسرائيليات الجديدة : (١)

احذر الإسرائيليات الجديدة فى نفثات المستشرقين، من يهود ونصارى، فهى أشد نكاية وأعظم خطراً من الإسرائيليات القديمة، فإن هذه قد وضح أمرها ببيان النبى ﷺ الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها، أما الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامى، فى أعقاب الثورية الحضارية، واتصال العالم بعضه ببعض، وكبح المد الإسلامى، فهى شر محض، وبلاء متدفق، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سِنَةٌ، وخَفَضَ الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيها، وقى الله المسلمين شرها .

يريد بهذا الأفكار الدخيلة التى دخلت على المسلمين بواسطة اليهود والنصارى، فهى ليست إسرائيليات إخبارية، بل إسرائيليات فكرية دخل على كثير من الكتاب الأدبيين، وغير الأدبيين، أفكار دخيلة فى الواقع منها ما يتعلق بالمعاملات، ومنها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالأنكحة، حتى إن بعض الكتاب ينكر تعدد النساء الذى ذهب كثير من العلماء إلى أن التعدد أفضل من الإفراد، وهو ينكر التعدد ويقول هذا فى زمن ولى وراح، ولم يدر أن التعدد فى هذا الزمن أشد إلحاحاً منه فيما سبق لكثرة النساء، وكثرة الفتن، واحتياج النساء إلى ما يحصن فروجهن . كذلك أيضاً من بعض الأفكار ما يتعلق بالخلافة والإمامة، كيف كان أبو بكر يبايع له دون أن يستشار الناس كلهم، حتى العجوز والطفل . . . وما أشبه ذلك.

★ ★ ★

٦٤ـ احذر الجدل البيزنطى : (٢)

أى الجدل العقيم، أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون فى جنس الملائكة والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم . وهكذا الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

---

(١) «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها» لعلال الفاسى : (صفحة ب). (ز)
(٢) «معجم التراكيب»: (ص ٢٨٠). (ز)

وهدى السلف : الكف عن كثرة الخصام والجدال وأن التوسع فيه من قلة الورع كما قال الحسن، إذ سمع قوما يتجادلون. «هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقل ورعهم، فتكلموا» . رواه أحمد فى الزهد، وأبو نعيم فى الحلية .[1]

وهذا مهم، الحذر من الجدل البيزنطي، وهو الجدال العقيم، الذى لا فائدة منه، أو الجدل الذى يؤدي إلى التنطع فى المسائل والتعمق فيها بدون أن يكلفنا الله ذلك، فدع هذا الجدل واتركه، لأنه لا يزيدك إلا قسوة فى القلب وكراهة للحق، إذا كان مع خصمك وغلبك فيه، فلهذا دع هذا النوع من الجدل .

أما الجدل الحقيقى الذى يقصد به الوصول إلى الحق، ويكون جدلاً مبنياً على السماحة، وعدم التنطع . فهذا أمر مأمور به . قال الله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** (النحل: ١٢٥) .

ثم ذكر المؤلف ـ وفقه الله ـ مثالاً للجدل العقيم : جنس الملائكة ما هم ؟ يجادل هؤلاء المتكلمون : جنسهم من كذا، وجنسهم من كذا .

ونحن نعلم أنهم خلقوا من نور وأنهم أجسام وأنهم لهم أجنحة وأنهم يصعدون وينزلون إلى آخر ما ذكره الله فى الكتاب أو ما ذكره الرسول ﷺ فى السنة من أوصافهم، ولا نتعد فى أمور الغيب غير ما بلغنا، ولا نسأل : كيف ولم ؟ لأن هذا أمر فوق العقل، وأيضاً سمعنا قصة مماثلة، كان العدو على أبواب المدينة، وكان الناس يتجادلون: أيما خُلق أولاً: الدجاجة أم البيضة .

ومن ذلك أيضاً، ما ابتلى به أهل الكلام فيما يتعلق بالعقيدة وصاروا يتنطعون ويقولون مثلاً، كلام الله هل هو صفة فعليه أم ذاتية، وهل هو حادث أو قديم وما أشبه ذلك من الكلام، وهل نزول الله إلى السماء الدنيا حقيقة أو مجاز وهل أصابعه حقيقة أم مجاز، وكم أصابعه وما أشبه ذلك. والله يا أخوة إن

---

(١) وذكره الحافظ ابن رجب فى «فضل علم السلف على الخلف».

هذا البحث يقسى القلب وينتزع الهيبة - هيبة الله عز وجل - وتعظيمه وإجلاله من القلب .

إن كان الإنسان يريد أن يتكلم عن صفات الله كأنه يشرِّح جثة ميت !! سبحان الله !! الناس قبل أن يدخلوا فى هذا الأمر تجدهم إذا ذكر الله اقشعر جلده من هيبة الله وعظمته .

كل هذا البحث فيه عقيم، كن كما كان الصحابة ﷺ لا يسألون عن مثل هذه الأمور، لأنهم إذا سألوا وبحثوا ونقبوا، فإن الضريبة هى قسوة القلب، مؤكد . لكن إذا بقى الرب -عز وجل- محل الإجلال والتعظيم فى قلبك، وعدم البحث فى هذه الأمور صار هذا أجل وأعظم، فاستمسك به فهذا إن شاء الله هو الحق .

★ ★ ★

٦٥- لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها : [١]

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام : فيا طالب العلم ! بارك الله فيك وفى علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف .

ولا تكن خراجاً ولاجاً فى الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية فى الإسلام، وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نهاباً بين الفرق، والطوائف، والمذاهب الباطلة، والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها .

فكن طالب علم على الجادة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم .وإن الحزبية [٢] ذات المسارات والقوالب

---

(١) انظر : «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣/ ٣٤١-٣٤٤، ٤١٥-٤١٦، ٤١٩) فهو مهم، (٤/ ٤٦-١٥٤) مهم أيضاً (١١/ ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥) (٣/ ٣٤٢-٤١٦-٤٢١) فهرسها (٣٦/ ١٧٩، ١٨٠) (٣٧/ ٢٨) . (ز)

(٢) وفى «حكم الانتماء» لراقمه فوائد وزوائد. (ز)

المستحدثة التى لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامى، وغشيت المسلمين بسببها الغواشى .
فاحذر - رحمك الله - أحزاباً وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هى إلا كالميازيب، تجمع الماء كدراً، وتفرقه هدراً، إلا من رحمه ربك فصار على مثل ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ﷺ .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - عند علامة أهل العبودية [1] : (العلامة الثانية: قوله : «ولم ينسبوا إلى اسم»، أى : لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التى صارت أعلاماً لأهل الطريق . وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجرى عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة فى العبودية، وهى عبودية مقيدة .

وأما العبودية المطلقة، فلا يعرف صاحبها باسم معين من معانى أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزى، ولا طريق وضعى اصطلاحى، بل إن سئل عن شيخه ؟ قال : الرسول . وعن طريقه؟ قال : الاتباع . وعن خرقته؟ قال : لباس التقوى . وعن مذهبه؟ قال : تحكيم السنة . وعن مقصده ومطلبه؟ قال : ﴿يريدون وجهه﴾ (الكهف:٢٨) وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (النور:٣٦-٣٧). وعن نسبه ؟ قال :

أبى الإسلام لا أب لى سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال : «مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها» .

---

(١) «مدارج السالكين» : (٣/ ١٧٢).

واحسرتاه تقضى العمر وانصرمت ساعـــاتـــه بين ذل العجـــز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال : قوله : «أولئك ذخائر الله حيث كانوا»، ذخائر الملك : ما يخبأ عنده، ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحد، وكذلك ذخيرة الرجل : ما يذخره لحوائجه ومهماته . وهؤلاء لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم، ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زى، كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة .

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات، فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة . هذه هى التى قطعت أكثر الخلق عن الله ،وهم لا يشعرون . والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، والسير إلى الله، وهم - إلا الواحد بعد الواحد - المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود . وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال : ما لا اسم له سوى «السنة» . يعنى : أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها .

فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس فى مكان لا يجلس فى غيره، أو مشية لا يمشى غيرها، أو بزى وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه .

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع، والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنه بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة، والخلوة، وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة فى الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، عَدَّ ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك،

أخرجوه من بينهم، وعدوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة . والله أعلم. اهـ .

هذا فصل مهم، وهو تخلى طالب العلم عن الطائفية والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة أو على حزب معين، فإن هذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصالح ليس عندهم حزبية كلهم حزب واحد، كلهم ينضمون تحت قول الله تعالى: ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ (الحج: ٧٨).

فلا حزبية، ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء فى الكتاب والسنة.

فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها، ويستدل عليه بالأدلة التى قد تكون دليل عليه، وقد تكون دليل له ويحامى دونه، ويضلل من سواه حتى ولو كانوا أقرب إلى الحق منها ويأخذ بمبدأ : من ليس معى فهو علىَّ .

وهذا مبدأ خبيث، يعنى بعض الناس يقول : إذا لم تكن معى فأنت علىَّ هناك وسط بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك فى الحق فليكن عليك فإنه فى الحقيقة معك، لأن النبى ﷺ قال : «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[1]. ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية فى الإسلام . ولذلك لما ظهرت الأحزاب فى المسلمين تنوعت الطرق وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضاً ويأكل لحم أخيه ميتاً، فالواجب عدم ذلك .

الآن مثلاً يكون بعض الناس طالب علم عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق وبالباطل . وما فى سواه يضلله ويبدعه ويرى أنه ـ شيخه ـ العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل وإما مفسد، وهذا غلط كبير، خذ الحق من أى إنسان، وإذا استروحت نفسك لشخص من الناس فالزم مجلسه، لكن لا يعنى

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٤٣)، (٢٤٤٤)، (٦٩٥٢) عن أنس بن مالك.

ذلك أن تكون معه على الحق والباطل، وأن تضلل من سواه، وتزدريهم أو ما أشبه ذلك فإن هذا غلط .

يقول الشيخ : **«أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام»** صحيح ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ (الحج:٧٨). كلنا مسلمون، فهذه سمة المسلم وعلامته: مسلماً لله، مستسلماً له، قائماً بأمره تابعاً لرسوله. هذا هو سمة المسلم.

فيا طالب العلم بارك الله فيك وفى علمك، اطلب العلم واطلب العمل، لا تكن مثل بعض الناس، ليس إلا كتب مجموعة، يحفظ كثيراً ويفهم كثيراً، لكنه يعمل قليلاً. فهذا لا ينتج .

كن طالباً للعلم عاملاً به، داعياً إلى الحق. ثلاثة أشياء: صدق الطلب، العمل به، الدعوة . لا بد من هذا، أما مجرد أن تحشر العلوم ولا ينتفع الناس بعلمك، فهذا نقص كبير .

وادع إلى الله على طريقة السلف. وما هى طريقة السلف فى الدعوة إلى الله؟ هى التى أرشدهم الله إليها بقوله: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل:١٢٥). لين فى موضع اللين، وشدة فى موضع الشدة.

قال: **«ولا تكن خراجاً ولاَّجاً فى الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج»**.

يقول: إن بعض الناس يكون ولاجاً خراجاً، بينما تجده منضماً إلى قوم أو فئة، اليوم تجده خارجاً منها ووالجاً فى جهة أخرى، وهذا مضيعة للوقت، ودليل على أن الإنسان ليس له قاعدة يبنى عليها حياته.

يقول: **«المسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية فى الإسلام»**. بل يجب أن نكون أمة واحدة، وإن اختلفنا فى الرأى،

أما أن نكون أحزاباً : هذا إخوانى ـ يعنى من الإخوان المسلمين ـ وهذا سلفى، وهذا تبليغى .

وهذا لا يجوز، الواجب أن كل هذه الأسماء ينبغى أن تزول . وتكون أمة واحدة، وحزب واحد على أعدائنا .

قال: **«وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نهاباً بين الفرق، والطوائف، والمذاهب الباطلة، والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها»** . هذه أيضاً طريق سيئة، أن يكون الإنسان نهاباً بين الفرق والطوائف، يأخذ من هذا، ومن هذا ثم لا يستقر على رأى . فإن هذا آفة عظيمة، والواجب على الإنسان أن يكون مختاراً ما هو أنسب فى العلم والدين ويستمر عليه وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : «من بورك له فى شىء فليلزمه وهذه فى الحقيقة قاعدة لمنهج المسلم يجب أن يسير عليها من بورك له فى شىء فليلزمه وليستمر عليه حتى لا تتقطع أوقاته يوماً هنا ويوماً هنا .

يقول: **«فكن طالب علم على الجادة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم»** .

هذه أيضاً وصية نافعة، أن الإنسان ينبغى له أن يتبع الأثر وأن يدع الأهواء والأفكار الواردة على الإسلام والتى هى فى الحقيقة دخيلة على الإسلام وبعيدة الوضوح.

ثم نقل كلام ابن القيم: (العلامة الثانية) قوله: **«ولم ينسبوا إلى اسم»** أى: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التى صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجرى عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة فى العبودية، وهى عبودية مقيدة . وأما العبودية المطلقة، فلا يعرف صاحبها باسم معين من معانى أسمائها .

هذا هو الصحيح، العبودية المطلقة أن يعبد الإنسان ربه على حسب ما تقتضيه الشريعة. مرة من المصلين، ومرة من الصائمين، ومرة من المجاهدين، ومرة من المتصدقين حسب ما تقتضيه المصلحة، ولذلك تجد النبى ﷺ هكذا حاله، لا تكاد تراه صائماً إلا وجدته صائماً، ولا مفطراً إلا وجدته مفطراً، ولا قائماً إلا وجدته قائماً. يتبع المصلحة، أحياناً يترك الأشياء التى يحبها من أجل مصلحة الناس، فإياك أن تكون قاصراً على عبادة معينة، بحيث لا تتزحزح عنها .

قال: «**فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها»، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزيٍّ، ولا طريق وضعى اصطلاحى، بل إن سئل عن شيخه؟ قال : الرسول . وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته ؟ قال : لباس التقوى . وعن مذهبه؟ قال : تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟** قال : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام:٥٢). وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (النور:٣٦-٣٧). وعن نسبه ؟ قال :

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه ؟ قال : «مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها» .

هذه قالها النبى ﷺ فى ضالة الإبل، لما سئل عن التقاطها غضب عليه الصلاة والسلام. وقال: «**مالك ولها ؟ دعها فإن معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وترعى الشجر حتى تلقى ربها**»[1] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٢٧) اللقطة، ومسلم (١٧٢٢) اللقطة عن زيد بن خالد الجهنى.

ابن القـيم ـ رحمـه الله ـ نقلها إلى هذا المـعنى الجليل، يعنى : هؤلاء العـباد الذين تفننوا فى العـبادة وأخذوا لكل نوع منهـا نصيب . لو سـئل من أين يجرى عليك الرزق. يجيب: مالك ولها دعنى!! يرزقنى الله عز وجل .

واحسرتاه تقضى العمـر وانصرمت ساعـــاته بين ذل العجـــز والكســل

والقوم قد أخذوا درب النجـاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قـال : قـولـه : «أولئك ذخـائر الله حيث كـانوا» ذخـائر الملك : مـا يخـبـأ عنده، ويدخـره لمهـمـاته، ولا يبـذله لكل أحـد، وكـذلك ذخـيرة الرجـل : مـا يدخـره لحـوائجـه ومـهـمـاته . وهؤلاء لما كـانوا مـسـتورين عن النـاس بأسـبـابهم، غـيـر مـشـار إليـهـم، ولا مـتـمـيـزيـن برسـم دون النـاس، ولا منتـسـبـين إلـى اسـم طريق أو مـذهـب أو شـيخ أو زى، كـانوا بمنزلة الذخـائر المخبـوءة. هؤلاء أبعـد الخلق عـن الآفات، فإن الآفات كلهـا تحت الرسـوم والتـقـيـد بهـا، ولـزوم الطـرق الاصطلاحـيـة، والأوضـاع المتـداولـة الحـادثـة . هـذه هـى الـتى قطعـت أكثـر الخلـق عـن الله وهـم لا يشعـرون» .

صحيح هذا . . لا شك أن الأمر كما قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ هؤلاء الذين لهم مراسم معينة، ولهم طقوس معينة، وأشكال معينة، هؤلاء لا شك أنهم ينقطعون عن الله عز وجل بحسب ما معـهم من هذه الرسومات الاصطلاحية وما أشبـهها، تجـد الواحد منهم إذا رأيته قلت : من هذا الـرجل ؟ من هذا العالم . لكنه عـالم بالزى والشكل فقط، وليـس عنده علم راسخ، بل وربما تقول إيمـانه ضـعيف أيضـاً، وإلا لكان يعـتـمد على مـا عنده من العلـم والإيمان والدعـوة والصلاح . قال :

«والعـجب أن أهلهـا هم المعـروفـون بـالطلب والإرادة، والسـيـر إلى الله، وهم ـ إلا الواحد بعد الواحد ـ المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود».

العجب من أن الإنسـان يستغرب أن يكون هؤلاء الذين أخـذوا العلم بالرسوم والاصطلاحـات الحـادثة، هم المعـروفـون بالطلـب والإرادة لأنهم يغـرون الناس بلباسهم ونبرات كلامهم، وغير ذلك .

ثم قال : «وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال : ما لا اسم له سوى «السنة».
يعنى : أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها . فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس فى مكان لا يجلس فى غيره، أو مشية لا يمشى غيرها، أو بزى وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه .
فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع، والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنه بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة، والخلوة، وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة فى الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، عد ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك، أخرجوه من بينهم، وعدوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة . والله أعلم. اهـ.

قوله: «يتعبد بالرياضة» المراد: الرياضة القلبية على زعمهم، فتجدهم منعزلين عن الناس، بعيدين عن الناس، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ولا يتعلمون ظناً منهم أن هذا هو الخير، ولكنهم فى الواقع ضلوا، الخير أن تتبع الخير حيث ما كان .

فتارة فى مجالس العلم، وتارة فى مصارف الجهاد، وتارة فى الحسبة، وتارة فى الصلاة، وتارة فى القرآن، حسب ما ترى أنه أنفع لعباد الله، وأخشى لقلبك، لكن من الناس من لا يتحمل، فتجده يركن إلى شىء معين من العبادة يدعى أن فيه صلاح قلبه ويستمر عليه .

★ ★ ★

٦٦- نواقض هذه الحلية :

يا أخي ! - وقانا الله وإياك العثرات - إن كنت قرأت مثلاً من حلية طالب العلم وآدابه، وعلمت بعضاً من نواقضها، فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها :

١ - إفشاء السر .

٢ - ونقل الكلام من قوم إلى آخرين .

٣ - والصلف واللسانة .

٤ - وكثرة المزاح .

٥ - والدخول في حديث بين اثنين .

٦ - والحقد .

٧ - والحسد .

٨ - وسوء الظن .

٩ - ومجالسة المبتدعة .

١٠ - ونقل الخطى إلى المحارم .

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت، وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيف، لعَّابٌ، مغتاب، نمام، فأنى لك أن تكون طالب علم، يشار إليك بالبنان، منعماً بالعلم والعمل ؟

سدد الله الخطى، ومنح الجميع التقوى، وحسن العاقبة في الآخرة والأولى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بكر بن عبد الله أبو زيد

في ٢٥ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ.

هذه النواقض والخوارم التى ذكرها هى فى الحقيقة خدش عظيم لطالب العلم وللعامة أيضاً .

١- إفشاء السر محرم : لأنه خيانة للأمانة. فإذا استكتمك الإنسان حديثاً فإنه لا يحل لك أن تفشيه لأى أحد كان، واحذر أن يخدعك أحد، لأن بعض الناس يظن أنه أفشى إليك بحديث، ثم يأتى إليك وكأن الأمر مسلم أنه علم بذلك. فيقول مثلاً :

ما شاء الله، من أدراك عن كذا وكذا، فيبهت الآخر، فيظن أنه قد علم ثم يفضى له السر وهذه طريقة تجسس من بعض الناس .

فاحذر هذا، فما دمت استكتمك صاحبك فإذا جاء أحد يبهتك بمثل هذا الأسلوب، فلا تخف . قل : أبداً، ما صار هذا، وأنا أبرأ إلى الله منه ـ وتقصد منه ـ هذا الكلام الذى قلت، لأنه تجسس .

قال العلماء : وإذا حدثك الإنسان بحديث والتفت، فقد استأمنك، فهو أمانة وسر، فلا يجوز أن تفشيه . حتى وإن لم يقل لا تخبر أحداً . لأن التفاته يعنى أنه لا يريد أحداً يسمعه . فإذا أفشيته فهذا من إفشاء السر .

٢- ونقل الكلام من قوم إلى آخرين : وهذه هى النميمة، وقد قال النبى ﷺ : «**لا يدخل الجنة قتات**»[١]. أى : نمام، ومرَّ بقبرين يعذبان، وذكر أن أحدهما كان يمشى بالنميمة[٢]. فهى من كبائر الذنوب .

يأتى الشخص لآخر ويقول: فلان يقول فيك كذا وكذا. لكن إذا كان المقصود بذلك النصيحة. كيف النصيحة؟! يعنى: أن هذا الرجل مغتر بالشخص ويفضى

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٦٠٥٦) الأدب، ومسلم (١٠٥) الإيمان عن حذيفة رضي الله عنه .
(٢) **صحيح:** أخرجه البخارى (٢١٦) الوضوء، ومسلم (٢٩٢) الطهارة عن ابن عباس.

إليه أسراره ويستشيره فى أموره، فجاء إنسان وقال : يا فلان، أنا رأيتك تفضى سرك إلى فلان وتثق به، والرجل ليس بأمين، الرجل يفشى كل ما تقول . فهل يعتبر هذا نميمة ؟ هذه نصيحة !

٣ـ والصلف واللسانة، الصلف: يعنى التشدد فى الشيء، يكون الإنسان غير لين لا بمقاله ولا بحاله . بل هو صلت ولسن، يعنى رفيع الصوت، أو يعنى عنده بياناً يبدى به الباطل ويخفى به الحق .

وأما قوة الصوت وارتفاعه، فإنه ليس إلى اللسانة هذه من خلقة الله عز وجل، ولما أنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ (الحجرات: ٢). كان ثابت بن قيس رضي الله عنه ـ وهو من أحد الشعراء والخطباء ـ كان جهورى الصوت، فلزم بيته يبكى، ولم يكن له وجه يخرج إلى الناس، ويقابل الناس به، ففقده النبى ﷺ فسأل عنه وأرسل إليه رسولاً، فقال «إن الله أنزل هذه الآية وإنى خفت أن يحبط عملى وأنا لا أشعر» . فأرسل إليه النبى ﷺ فقال له : «**إنه يحيى سعيداً، ويقتل شهيداً، ويدخل الجنة**» .

٤ـ كثرة المزاح، ولم يقل المزاح لأن المزاح فى الكلام، كالملح فى الطعام إن أكثرت منه فسد الطعام، وإن لم تجعل فيه الملح لم يُشْتَه إلى الطعام . فكثرة المزاح تذهب الهيبة، وتنزل مرتبة طالب العلم. أما المزاح القليل الذى يقصد به إدخال السرور على صاحبك فهو من السنة، فكان النبى ﷺ ، يمزح ولا يقول إلا حقاً.

جاء رجل يريد أن يحمله على بعير يجاهد عليها فى سبيل الله، فقال النبى ﷺ : «**إنا حاملوك على ولد الناقة**» قال الرجل كيف؟! فقال النبى ﷺ : «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»[1]. فهذا مزح ولكنه حق .

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (١٩٩١) البر والصلة، وأبو داود (٤٩٩٨) الأدب، وأحمد (١٣٤٠٥) عن أنس بن مالك، وصححه الألبانى.

وقال لأبي عمير ـ غلام صغير ـ معه طير يلعب به، فمات الطير . فدخل النبي ﷺ عليه ذات يوم فقال : «**يا أبا عمير ما فعل النغير**» .

أما ما يفعله بعض الناس، كل كلامه مزح، فهذا كما أنه لا يليق بالرجل العاقل، فضلاً عن طالب العلم، فإنه يجعل كلامه مزحاً حتى إن المخاطبين يقولون له أنت صادق أم تمزح؟ لأنه يجعل كل كلامه مزحاً .

٥ـ الدخول في حديث بين اثنين: فإن بعض الناس إذا رأى اثنين يتحدثان، دخل بينهما وهذا كالمتسلق للجدار، لم يأت البيوت من أبوابها .

ولهذا كان من آداب حاضر صلاة الجمعة ألا يفرق بين اثنين كما جاءت به السنة، فالتفريق بين اثنين في الكلام وفي الحديث من خوارم المروءة وكذلك أيضاً لا ينبغي إذا رأيت اثنين يتحدثان أن تقترب منهما بل من الأدب والمروءة أن تبتعد، لأنه ربما يكون بينهما حديث السر ويخجلان أن يقولا لك ابعد، فالحديث سر، أو إذا كانا لا يستطيعان ذلك عَدَلاً عن حديث السر فقطعت حديثهما.

٦ـ الحقد: والحقد يعني الكراهية والبغضاء، فإن بعض الناس إذا رأى أن الله أنعم على غيره نعمة حقد عليه، مع أن هذا الذي أنعم عليه لم يتعرض له بسوء، لكن حاقد عليه . وما قصة ابني آدم بغريب علينا .

قربا قُرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. فقال الذي لم يتقبل منه إلى الذي تقبل منه لأقتلنك. كرهه وحقد عليه إلى حد أنه أودى بحياته، فقال له ذلك: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة: ٢٧). وليس بيدي تزكية نفسي أو الثناء عليها.

وإنما يريد أن يحث ذلك على التقوى حتى يقبل منه . كأنه قال له : اتق الله يُقبل منك. ولكن: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ**﴾ (المائدة: ٣٠).

فلا يجوز للإنسان أن يحقد على أخيه المسلم، ولاسيما أن يكون سبب الحقد ما مَنَّ الله عليه من النعمة سواء دينياً أو دنيوياً .

٧ـ الحسد: من أخلاق اليهود، وبئس الخلق خلق الحسد، فما هو الحسد.

الحسد قيل هو : أن يتمنى زوال نعمة الله على غيره .

يتمنى فقره إذا كان أنعم الله عليه بالمال، ونسيانه وجهله إذا كان أنعم الله عليه بالعلم، وفقد أولاده وعقم زوجته إذا كان الله من عليه بالأولاد وما أشبه ذلك .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «الحسد كراهة نعمة الله على غيره». يعنى ما يتمنى زوالها، لكن يكره أن الله أنعم على هذا الإنسان بهذه النعمة، فأما لو تمنى أن يرزقه الله مثلها، فليس هذا من الحسد بل هذا من الغبطة، التى أشار إليها النبى ﷺ بقوله: **«لا حسد إلا فى اثنتين»**[1]. ومضار الحسد إحدى عشرة وهى:

١ ـ أنه من كبائر الذنوب .

٢ ـ أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والحديث ضعيف .

٣ ـ أنه من أخلاق اليهود .

٤ ـ أنه ينافى الإخوة الإيمانية .

٥ ـ أنه فيه عدم الرضا بقضاء الله وقدره .

٦ ـ أنه سبيل للتعاسة .

٧ ـ الحاسد متبع لخطوات الشيطان .

٨ ـ يورث العداوة والبغضاء بين الناس .

٩ ـ قد يؤدى إلى العدوان على الغير.

١٠ ـ فيه ازدراء لنعمة الله على الحاسد .

١١ ـ يشغل القلب عن الله .

٨ـ سوء الظن: أن يظن بغيره ظناً سيئاً، مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياءً، لم يلق هذا الطالب هذا السؤال إلا رياء ليعرف أنه طالب. وكان المنافقون إذا أتى المتصدق

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٧٣) العلم، ومسلم (٨١٦) عن عبد الله بن مسعود، وفى الباب عن عمر بن الخطاب. وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة.

من المسلمين بالصدقة - إن كانت كثيرة - قالوا : مرائى، وإن كانت قليلة، قالوا : إن الله غنى عن صدقة هذا، فهم يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات، ويلمزون الذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم. فإياك وسوء الظن.

فالواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون فى نفسك سوء الظن به، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما فى نفسك من هذا الوهم . لأن بعض الناس قد يسىء الظن بشخص ما بناءً على وهم كاذب لا حقيقة له.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات: ١٢). ولم يقل كل الظن، لأن بعض الظنون لها أصل ولها مبرر ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢). وليس كل الظن، فالظن الذى يحصل فيه العدوان على الغير هذا لا شك أنه إثم، والظن الذى لا مستند له، هو أيضاً إثم .

٩- ومجالسة المبتدعة: وليته عمم: مجالسة كل من تخرم مجالستهم المروءة سواء كان ذلك لابتداع أو سوء أخلاق أو انحطاط رتبة عن المجتمع أو ما أشبه ذلك، فينبغي لطالب العلم أن يكون مترفعاً عن مجالسة من تخدش مجالستهم المروءة أو تخدش الدين. لكن كأنه خص ذلك بالمبتدعة لأن المقام مقام تعليم، فإذا وجدنا مبتدعاً عنده طلاقة فى اللسان، وسحرٌ فى البيان، فإنه لا يجوز أن يجلس إليه، لأنه مبتدع . لماذا لا يجوز؟ .

أولاً- لأننا نخشى من شره، فإن النبى ﷺ قال : «**إن من البيان لسحراً**»[١]. قد يسحر عقولنا حتى نوافقه على بدعته .

ثانياً- أن فيه تشجيعاً لهذا المبتدع أن يكثر الناس حوله أو أن يجلس إليه فلان وفلان من الوجهاء والأعيان، فهذا يزيده رفعة واغتراراً بما عنده من البدعة وغروراً فى نفسه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥١٤٦) النكاح، وأبو داود (٥٠٠٧) الأدب ومالك فى الموطأ (١٨٥٠) عن ابن عمر. وأخرجه أحمد (١٧٨٥٣) عن عمار.

ثالثاً- إساءة الظن بهذا الذى اجتمع إلى صاحب البدعة، وقد لا يتبين هذا إلا بعد حين.

١٠- نقل الخطى إلى المحارم: يعنى أن يمشى الإنسان إلى الأمور المحرمة، فإن هذا من خوارم هذه الحلية. إذ أن الذى ينبغى لطالب العلم أن يتجنب هذا، بل بل إن بعض العلماء يقول يتجنب حتى الخطى إلى أمر ينتقده الناس فيه، كما لو ذهب طالب العلم إلى مبيع النساء.

النساء لها أسواق للبيع، فذهب طالب العلم لأسواق النساء، هل هذا مما يحمد عليه أو مما يُذم عليه ؟ مما يذم عليه، يقال فلان طالب العلم يروح لأسواق النساء، حتى لو قال أنا أريد أن أذهب لأسواق النساء حتى أشترى لأهلى من هذه الأثواب التى تباع بالأسواق.

قلنا وكِّل من يشترى عنك، أما أنت طالب علم ينتقد عليك هذا الفعل، ويقتدى بك من نيته سيئة.

ثم قال : «**فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت، وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيف، لَعَّابٌ، مغتاب، نمام، فأنى لك أن تكون طالب علم، يُشار إليك بالبنان، منعماً بالعلم والعمل ؟**

يعنى : ينبغى للإنسان أن يُنزِّل (نفسه) منزلتها وألا يدنسها بالأخلاق (الرديئة)، لأن طالب العلم شرفَّه الله تعالى بالعلم وجعله قدوة، حتى إن الله تعالى ردَّ أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء. فقال : ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: ٤٣).

فالحاصل: أنك يا طالب العلم محترم فلا تنزل نفسك إلى ساحة الذلِّ والضعة، بل كن كما ينبغى أن تكون .

فهذه الحلية لا شك أنها مفيدة ونافعة لطالب العلم، وينبغى للإنسان أن يحرص عليها ويتبعها.

لكن لا يعنى ذلك أن يقتصر عليها بل هناك كذلك كتب أخرى صنفت فى آداب العلم ما بين قليل وكثير ومتوسط، وأهم شىء أن الإنسان يترسم خطى النبى ﷺ ويمشى عليها، فهى الحلية الحقيقية التى ينبغى للإنسان أن يتحلى بها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

نسأل الله تعالى أن يختم لنا ولكم بصالح الأعمال، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه.

★ ★ ★



فهرس الموضوعات

الفصل الثاني
كيفية الطلب والتلقي

الفصل الثالث
آداب الطالب مع شيخه

الفصل الرابع
أدب الزَّمالة

الفصل الخامس
آداب الطالب في حياته العلمية

الفصل السادس

التحلي بالعمل

الفصل السابع

المحاذير